النمرة غلط

مذكرات واحد علي المعاش

بقلم
محمد عرموش

النمرة غلط

مذكرات واحد علي المعاش

بقلم

محمد عرموش

تقديم

هذه مذكراتي وأفكاري وهمومي التي قد لا يهتم أحد بمعرفتها فأنا لست شخصية عامة أو مشهورة يرغب الناس في معرفة أسرارها ، لذلك أكتبها لنفسي ولا أكتبها ليطلع عليها أحد ، وهي ليست مذكرات بالمعني المعروف فهي خواطر وأفكار ومشاعر أكثر منها أحداث ومواقف بعينها ، وعلي أي حال كتابتها بالنسبة لي تريحني نفسيًا إلي درجة كبيرة ، وقد تتوافق تلك المشاعر والأحاسيس مع مشاعر آخرين مروا بنفس التجربة وهي تجربة الخروج إلي المعاش ، فإذا وقعت بين يديك هذه الأوراق فليس عليك أن تقرأ ما تحتويه فهي مجرد ثرثرة مع النفس أو فضفضة كما يقولون ، والغرض من كتابتها غرض شخصي بحت كما أوضحت ، وأي تشابه في المواقف والشخصيات والأحداث تأكد أنها مجرد مصادفة وغير مقصودة كما يكتبون في نهاية بعض الأفلام ، وستتطرق هذه المذكرات إلي بعض السلبيات التي تتواجد في المجتمع ، وهو أمر اضطررت إلي التعرض له في سياق الحديث عن بعض الموضوعات ، كما ستتطرق إلي علاقتي بالقراءة والتاريخ والكرة والتليفزيون وستجد بها موضوعات ليس لها علاقة ببعضها البعض ولكنها خواطر وردت لي دون ترتيب فستجدني أتحدث عن تربية الحيوانات الأليفة ثم أنتقل إلي موضوعات أخري فأحدثك عن تصفحي للمواقع الدينية وأنقل لك جانبًا منها ، كما أحدثك عن تجربتي مع الكتابة والنشر والسيرة الذاتية الأدبية وهي تختلف عن السيرة الذاتية المهنية ، وهذه المذكرات تنقل الكثير من الموضوعات التي احتجت الكتابة عنها من مواقع الانترنت المختلفة وأوردت روابط تلك المواقع لعلك تزورها إذا جاءتك رغبة لذلك ، فروابط المواقع أصبحت تحتل أماكن المراجع كمصادر ، ولا ينبغي أن أمضي بهذا الموضوع بحد أبعد من ذلك

المحتويات

Contents

تقديم ٣

المحتويات ٣

النمرة غلط ٤

إنت وراءك إيه ؟ ١٠

هل تعرف أحد في المكان الفلاني ؟ : ١٥

حب العزلة ومراقبة المجتمع ١٩
خفة ظل المصريين عبر التاريخ..... ٢٤
أنا والكرة ٣٢
أنا والتليفزيون ٤١
نشر ما هو منشور ٤٩
أنا والرواية..... ٨٣
المعاش والحيوان الأليف : ٩٣
علي المعاش توشك أن تصل :..... ١٠٥
الملحق المرفق ١٢٢

النمرة غلط

كنت أعرف أن النمرة غلط وأن هؤلاء الأشخاص يتصلون بي بحكم العادة منذ أن كنت أعمل معهم ، فمازالت نمرتي واسمي ووظيفتي مسجلة علي هواتفهم المحمولة ، وفي البداية كان المتحدث ينكر أنه اتصل عن طريق الخطأ فكان يشعر بالحرج فيُكمل المكالمة بالسؤال عن الأحوال والصحة ، وكنت بالطبع أرفع عنه الحرج وأجاريه ، ولكن بمرور الوقت وتكرار الاتصال من نفس الأشخاص أصبح الوضع يتطلب الاعتراف بأنه اتصل عن طريق الخطأ فلم يعد الوقت يحتمل الضياع ، خاصة عندما يكون الموقف ملح ويتطلب الحسم ، وبالتالي مطلوب أن يتصل بالرقم الصحيح أو إن شئت فقل بالشخص الصحيح حتي يستفسر منه عن موضوع لم يعد في وسعي أن أتحدث فيه بعد خروجي إلي المعاش

وبعد فترة صمت طويلة مر بها هاتفي ، أيقنت أن الجميع قد حذف رقمي من هاتفه أو قد أضاف كلمة بالمعاش بجوار اسمي ورقمي أو قام بتعديل الوظيفة أو الرمز الذي يسبق اسمي حتي لا يظهر اسمي ضمن نتائج بحثه عن الرقم أو الاسم المطلوب الاتصال به فيرفع عن نفسه وعني الحرج

وكل هذه الأمور طبيعية جدًا ولا شئ فيها ، ولكنها بشكل عام تجعلك تشعر أنك علي المعاش وأن الدور الذي كنت تلعبه في حياة بعض الناس أصبح لا وجود له ، وبالتالي أصبح الاتصال من شخص ينتمي

لعائلتك فقط أو من الأصدقاء المقربين وليس الأصدقاء الذين كان العمل هو الدافع لصداقتهم وبانتهاء الدافع انتهت الصداقة ، ولا نقول العلاقة ، وعلي أي حال لابد أن يدرك الجميع أن دوره سينتهي بالنسبة للآخرين يومًا ما فالخروج للمعاش لا يقتصر علي العمل فقط بل يخرج الشخص بمرور الوقت من حياة أشخاص ومجموعات وهيئات إلخ إلي أن يخرج من الحياة كلها ، ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

وبخروج الشخص إلي المعاش سيعتاد الأمر مع الوقت بل قد يجد متعة ما عندما يتخلص من العلاقات المرتبطة بأسباب ودوافع تنتهي بنهايتها ، فلم يعد هناك داعي لأن يتكلف في الحديث أو أن يبحث عن كلمات المجاملة المملة والغير صادقة أحيانًا ، كالكلمات المحفوظة علي مواقع التواصل الاجتماعي والتي تحولت مع الوقت إلي صور تهنئة أو تعازي أو معايدة يتم تبادلها في المناسبات المختلفة ، كما انتشرت الرموز التي تعبر عن حالة الشخص دون الحاجة للكتابة كالورود والقلوب وما إلي ذلك من تعبيرات متوفرة علي الهواتف الحديثة مما أفقد الكثيرين القدرة علي اختيار الكلمات المناسبة لكل موقف ، بالرغم من أن لغتنا العربية تحتوي علي كنز من الكلمات والتعبيرات لا تنافسها فيه لغة أخري ، وهذا يذكرني ببيت شهير من الشعر كتبه شاعر النيل حافظ إبراهيم علي لسان اللغة العربية حيث قال :

أنا البحرُ في أحشائِهِ الدرُّ كَامِنٌ . . . فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتي

وعندما انتشرت الاختراعات الحديثة في العالم أخذ العرب يبحثون عن كلمات تعبر عن معني تلك الاختراعات الحديثة ، وعندما اشتكي البعض من صعوبة إيجاد كلمات مناسبة عبَّر أيضًا شاعر النيل في نفس القصيدة عن ذلك حزينًا ساخرًا فقال علي لسان اللغة العربية :

فيا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِني . . . وَمِنْكُم وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتي

فَلا تَكِلُوني للزَّمَانِ فإنَّني . . . أَخَافُ عَلَيْكُمْ أنْ تَحِينَ وَفَاتي

أَرَى لرِجَالِ الغَرْبِ عِزَّاً وَمَنْعَةً . . . وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتِ

أَتَوا أَهْلَهُمْ بالمُعْجزَاتِ تَفَنُّنَاً . . . فَيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بالكَلِمَاتِ

فهم يخترعون ويتفننون ويأتون بالمعجزات وكل ما علينا هو أن نأتي بالكلمات فقط ، فهل نعجز عن هذا أيضًا كما عجزنا عن –أو قل أهملنا– البحث العلمي

ويحضرني هنا ما كتبه أحد الأساتذة عن تعرض اللغة العربية والحضارة العربية الإسلامية عمومًا لهجمة شرسة من الغرب للقضاء علي الهوية الثقافية العربية حيث عملت القوي الاستعمارية المختلفة علي

القضاء علي الهوية الثقافية العربية وطمسها ، لمحو واحد من أهم أسس القومية العربية عن طريق التهجم علي التراث الثقافي العربي ، وقطع الصلة بين العرب وماضيهم والتقليل من إضافات العرب إلي التراث الإنساني ، فحاولوا رد الحضارة العربية " الإسلامية" إلي أصول يونانية وفارسية وهندية ، وأخذت الدوائر التعليمية المتأثرة بالاستعمار تروج لهذه الفكرة ، وتابع الاستعمار هجومه علي الأدب العربي ، وانقض المستعمرون علي اللغة العربية كأداة اتصال وتفاهم بين العرب ووعاء لفظ تراثهم الثقافي ، فنادي دعاة الاستعمار باستخدام الحروف اللاتينية في الكتابة العربية مثلما حدث في تركيا ، كما ارتفعت أصوات تطالب بنبذ العربية الفصحى وجعل اللهجة العامية لغة التعليم والصحافة ، محاولين بذلك قطع الصلة بين العرب وتراثهم ، ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

علي أي حال قد ارتحت نسبيًا بعد خروجي إلي المعاش من المجاملات وتكلف العبارات التي تُقال في المناسبات المختلفة خلال المكالمات التليفونية

ولكن لم تكن الاتصالات التي كنت أتلقاها عن طريق الخطأ هي المشكلة الاجتماعية الوحيدة التي واجهتني بل كانت هناك مشاكل أخري ، منها أن يضعك أحدهم علي هامش وقته ، فمثلًا إذا طلبت مقابلة أحد الاشخاص يحدد لك موعد لا يعطله عن مشاويره الخاصة ، فيقول لك أنه يتواجد عادةً في المكان الفلاني في التوقيت الفلاني لإجراء الشئ الفلاني فيمكنك أن تستغل ذلك وتحاول مقابلته بحيث لا يكون نزوله من بيته مخصوص من أجلك أنت وحدك

وقد واجهتني مشكلة أخري عندما ابتعدت عن الوسط الذي كان يجمعني بزملاء العمل والذي تحكمه مجموعة من الضوابط والأصول والأعراف تحدد كيف يتم التعامل بين الجميع ، طبقًا لمكانة ووضع وتاريخ كل شخص ووظيفته وهذه القواعد لم أجدها الطبع بعد الخروج من هذا الوسط إلي الفضاء الإجتماعي العام إذا جاز التعبير فهو مجتمع يحتاج بالطبع إلي مهارات اجتماعية كي تتعامل معه ولا أخفيك القول أن هذه المهارات لا تتوفر بشكل كامل لدي فقد كنت اعتمد علي القواعد التي تربطني بالزملاء فكلٌ منا يعرف حدوده في الكلام ، وقد تجبرك الظروف أن تذهب إلي أحد الأماكن العامة أو المصالح الحكومية ولا يعرفك فيها أحد وكما يقولون (اللي ما يعرفك يجهلك) أو(من خرج من داره اتقل مقداره) فأصبحت بعد خروجي إلي المعاش أشعر إلي حد ما بما يسمي بالرهاب الإجتماعي أو (social phobia) ، وتزداد هذه المشكلة وتتفاقم إذا كانت هناك بعض الأمراض الإجتماعية في المجتمع نفسه ، فنحن في مجتمع لا يخلو من

السلبيات ، وقد اكتشفت بعضها بنفسي وقرأت عن بعضها الآخر في الكتب ، فقمت بتحليل الكثير من السلوكيات وكتابتها والبحث عن أصولها التاريخية وكما يقال (الفاضي يعمل قاضي)

وكما يوجد في مواقع التواصل الإجتماعي بعض الناس الذين تذخر منشوراتهم شبه اليومية بالحِكَم والمواعظ والنصائح التي تؤكد عليك الابتعاد عن الأشخاص الذين لا يفضلون الاقتراب منهم كما يقوم البعض أيضًا بوصف المجتمع ، فقررت أن أصف أنا الآخر ما وجدته بعد خروجي لمواجهة هذا المجتمع

وربما أهم ما يميز المصريين كما أراهم حالياً أنهم شعب عاطفي إلي أبعد الحدود ، فلا يجب أن تسأل المصري عن رأيه في موضوع ما أو في شخص ما ولكن يمكنك أن تسأله عن مشاعره تجاه هذا الموضوع أو ذلك الشخص ، فالمصري لا يؤيد ولا يعارض ولكنه يحب ويكره فإذا أحب نسي أو تناسي أي إساءة ممن يحب

والعاطفة قد تكون مشكلة كبيرة جداً في بعض المجتمعات فهي قد تضع شخص في غير مكانه الصحيح وقد تزيح أيضاً شخص من المكان الذي يناسبه فلا مكان هنا للقياس المنطقي بل المشاعر وحدها هي التي تتحكم وتأمر بل لا أريد أن أبالغ وأقول أن العاطفة قد تطيح أيضاً بالفطرة السوية ، وقد يحب الشعب المصري بعض ظالميه من الحكام لأنه شعب ودود وعاطفي ويتأثر بطول العشرة حتي مع من يسئ إليه

أما العاطفة الوطنية أي حبنا للوطن فقد يصل بنا إلي نتائج لن أستطيع أن أصفها كما وصفها المفكر الكبير د جمال حمدان في كتابه الموسوعي الممتع شخصية مصر وتحديداً في الجزء الأول حيث يقول : (، ، – – – فنحن كشعب – لابد لنا بصراحة أن نعترف – لا نحب فقط أن نمجد أنفسنا بحق وبغير حق ، ولكننا أيضاً نحب أن نسمع عن أنفسنا ما يريضينا ويعجبنا أو يرضي إعجابنا بذاتنا الوطنية وبشخصيتنا القومية ، بل إننا لنكره أشد الكره أن نسمع عن عيوبنا وشوائبنا ، ونرفض بإباء أن نواجهها أو نُواجه بها ، ولا تكاد توجد فضيلة أو ميزة علي وجه الأرض إلا وننسبها إلي أنفسنا ونلصقها بها ، وأيما رذيلة أو عيب فينا – إن هي وجدت علي الإطلاق – فلا محل لها لدينا من الإعراب أو الاعتراف ، وإن اعترفنا بها علي مضض واستثناء فلها عندنا العذر الجاهز والمبرر والحجة المُقنعة أو المُقنّعة ، ويبدو عموماً أننا كلما زاد جهلنا بمصر كلما زاد تعصبنا لها ، بل الملاحظ أننا كلما ازدادت أحوالنا سوءاً وتدهوراً كلما زاد تفاخرنا بمجدنا وعظمتنا ، أياً ما كان ، فنحن معجبون بأنفسنا أكثر مما ينبغي وإلي درجة تتجاوز الكبرياء الصحي إلي الكبر المرضي ، ونحن نتلذذ بممارسة عبادة الذات في نرجسية تتجاوز العزة الوطنية المتزنة السمحاء إلي النعرة الشوفينية الساذجة البلهاء أو الهوجاء ، وبديهي أن هذا الشعور يرجع في حالتنا إلي

ميراث القرون والأجيال الكاتمة الكئيبة من الاستعمار والتبعية والاستبداد والمذلة والتخلف والفقر ، ومن هنا جميعاً تبدو الهوة هائلة والتناقض فاحشاً إلي حد السخرية بين واقعنا وحقيقتنا وبين ادعاءاتنا وطنطناتنا حتي عن مستقبل مصر نحن إما متفائلون بإسراف يدعو إلي السخرية والإشفاق أو متشائمون إلي حد متطرف قابض للنفس ، ففي النظر إلي مستقبلنا نلاحظ غالباً أن هناك من جهة خطر المتفائلين إما بسذاجة أو بخبث شديد أولئك الذين يفضلون خداع النفس لراحة البال علي مواجهة الحقيقة المرة (في عينها) ، ومن جهة أخري خطر المتشائمين المنذرين الذين أفقدهم التوتر حس النسبية الصحيح هم أيضاً ، باختصار مصر إما بخير دائماً ، أو في خطر أبداً ، وكلا الحكمين لا يري أو يضع الحقائق في حجمها الطبيعي السليم ، وقد أورد أيضاً الدكتور جمال حمدان في كتابه الممتع شخصية مصر قائمة بخصائص الشخصية المصرية ، وذكر أنها قائمة مربكة بقدر ما هي مقلقة فادحة ، ولكن بصفة عامة علي أية حال فلعل هناك شبه اتفاق علي بعض خصائص أساسية تُعد أركان أو أقطاب تلك الشخصية ، أولها دائماً التدين ، وثانيها حتماً المحافظة ، وثالثها باستمرار الاعتدال ، ورابعها غالباً الواقعية ، وخامسها أحياناً السلبية ، وبهذا الشكل تبدو السلسلة كمتوالية تنازلية إلي حد ما ، تتدرج نسبياً من الموجب إلي السالب أو من القوة إلي الضعف ، وبذا أيضاً تتابع منطقيًا فيما بينها ، بحيث تؤدي كل واحدة منها إلي تاليتها ، التي تترتب بدورها علي كل سابقاتها ، وفيما عدا هذا ، فلأن خاصية الاعتدال بالذات تمثل نقطة الوسط والارتكاز بين تلك الخصائص والنواة النووية في قلبها ، فلعل لنا من قبيل اليسر والتبسيط الأكاديمي أن نتخذ منها المظلة الجامعة والعنوان الرئيسي العريض الشامل لها جميعاً

فأما التدين إذا أردنا تفصيل ما أجملنا ، فسمة مصرية أصيلة وقديمة قدم الأديان ، بل سابقة هي للأديان ، ولعلها هي التي منحت المصري قوة داخلية ومقاومة خارجية وصلابة غير عادية ضد الكثير من الأخطار والمحن والمآسي التي تعرض لها عبر التاريخ ، سياسية كانت أو إجتماعية ، خارجية أو داخلية ، من استعمار الغزاة أو قهر الطغاة ، غير أن هذه الخاصية –يخشي البعض– كانت أيضاً مهرباً إلي حد ما من الصدام مع تلك الأخطار والتحديات ، ومن ثم قد في النهاية تفضي بنا إلي خاصية السلبية وتؤكد تشخيصها ، ومهما يكن ، فإن التدين والنزوع الديني إذا جاز أن يرد في دوافعه إلي الزراعة طبيعة الحضارة الزراعية ، علي الأقل جزئياً ، فلعله أن يكون بدوره دافعاً جزئياً مثلها وبجانبها إلي الصبر والدأب والجلد والتحمل ، وهي الصفات التي تبدو عريقة القدم والجذور في التاريخ المصري ، ويكاد يجمع الكل بلا تردد علي إلتصاقها الشديد بالانسان المصري عامة والفلاح المصري خاصة

أما المحافظة ، بل والمحافظة الشديدة كما يشدد العقاد ، فتعني أن المصري مقيم علي القديم والتراث والتقاليد والموروثات ، ولا يقبل الجديد بسهولة ، وهذا يعني بدوره أنه تقليدي مقلد ، غير ثوري غير مجدد ، بل إنه –عند العقاد أيضاً– إذا ثار علي الإطلاق فإنما ليحافظ علي القديم والموروث ، أي أنه – للغرابة والدهشة ، وبصيغة نقيض النقيض – ثوري من أجل المحافظة

ومن المحافظة وعدم الثورية ، علي أية حال خطوة قصيرة ومنطقية إلي الاستقرار ، فالاستقرار نتيجة المحافظة ولكنه بالمقابل يعود فيدعمها ، ومن هذه الحلقة المفرغة أو اللولب الصاعد يتحقق الاستمرار إلي أبعد حد وينتفي التغير إلي حد بعيد ، وهكذا تنتهي الدائرة مرة أخري لتعود بنا حيث بدأنا بالمحافظة علي القديم وعدم التجديد ، ، إلخ ، وإذا كان ثمة من مصل مضاد نوعاً لهذه المحافظة المستمرة أو الاستمرار في المحافظة ، المستمرة أو الاستمرارية في المحافظة ، فهو الاعتدال ، وإن كان هذا نفسه غير بعيد عن المحافظة ، إن لم يكن حقاً امتداداً مباشراً لها ، فالاعتدال المغروس المركوز في طبيعة المصري ، أياً كان أصله ، فيبتعد به عن التطرف الشديد يميناً ويساراً ، يبتعد به ضمناً وديالكتيكياً ولحسن الحظ عن التطرف في المحافظة ، بذلك يوفر له هامشاً معقولاً من المرونة والتلاؤم والتغيير والحيوية ، التي تضمن له علي أقل تقدير القدرة علي التطور البطئ ، التطور خطوة خطوة بالجرعات الصغيرة ، وبالتالي تضمن له البقاء الطويل علي المدي البعيد

وأخيراً وبحكم الاعتدال كان المصري العادي أو المتوسط أميل في الغالب إلي الوداعة والهدوء والدماثة والبشاشة ، وإلي الشخصية الاجتماعية الودود ، السلسة السهلة المنطلقة extrovert غير المنغلقة أو المعقدة ، كما كان أجنح إلي التعاون منه إلي التنافس ، وفي الوقت نفسه أبعد شئ عن العنف والقسوة والدموية والمزاج الحمراوي الدموي

ومن الاعتدال بعد هذا نقلة لا شك قصيرة ومباشرة إلي الواقعية ، فالانسان المصري رجل عملي ، علمته البيئة والتجربة ، أي الجغرافيا والتاريخ ، احترام الواقع والالتصاق به وعدم الانفصال عنه أو التناقض معه ، فهو إلا في القليل النادر لا يهرب من الواقع سواء بالتدين المفرط (الدروشة) أو بأحلام اليقظة والتمني المجنحة (الغيبيات) أكثر كثيراً مما يتصادم معه ويتحداه ، وهو من ثم مطيع بالضرورة ، أكثر مما هو متمرد بالطبع ، فإذا ما عجز عن تغيير الواقع فإنه في العادة أو في النهاية يخضع له ويرضخ للأمر الواقع ، إلا أنه حينئذ قد يسخر منه للتعويض والتنفيس

من هنا تأتي شهرته الداوية في السخرية التعويضية والتعويض بالتعريض بالواقع دون التعرض له ، وهو بدوره التناقض الخفيف الذي أفضي به في نظر البعض إلي الشخصية الفهلوية smart التي تعوض عن عجزها العملي بالتذاكي المفرط smartig واصطناع اللامبالاة أو إدعاء الحلم والتخفي وراء العقل والتعقل ، والنموذج المثالي أو التقليدي في ذلك هو علاقة الفلاح المصري بالسلطة والحكومة ، فهو يكرهها ويخشاها منذ قال الجبرتي (والمصري يكره الحكام في كل صورة حتي أدناها) إلي أن حدد العقاد علاقته بالحكومة كعلاقة عداوة مريبة ، لكنه مع ذلك يقبل بها وقد يتملقها ، إلا أنه حتماً يسخر منها ويتندر بها سراً وعلناً

ولقد يعود بنا هذا السلوك أو التصرف الواقعي إلي صفة الاعتدال كنوع من الإفراط في العقل ، إلا أنه أدعي وأفضي إلي السلبية كالنتج النهائي لكل الخصائص السابقة وكالحلقة الأخيرة في سلسلتها المترابطة المتداعية ، فالمحصلة النهائية لتلك المتوالية التنازلية من التدين إلي المحافظة إلي الاعتدال إلي الواقعية إنما هي منطقياً شخصية سلبية نوعاً أكثر منها إيجابية جداً

فهو –المصري العادي أو المتوسط– في الأعم الأغلب وفي أغلب الآراء يتجنب الصدام ويتحاشاه لاسيما في المواقف العدائية وبالتالي يؤثر السلامة علي المواجهة والسلام علي الصراع – – – –

تلك في عجالة سريعة مقتضبة ولكنها مركزة الخصائص الرئيسية الخمس التي تميز الشخصية المصرية في أغلب الآراء ، وإن جادل أو عدل البعض في بعضها أو كلها بدرجات متفاوتة ، ثم اختلفوا أكثر في تقييمها وتأويلها سلباً أو إيجاباً وقوة أو ضعفاً ، بحيث سنجد دائماً في الحساب الختامي الرأي المضاد والحكم ونقيضه وفي النهاية الصورة الوردية والصورة القاتمة

وعلي أي حال كان لابد أحيانًا من التعامل مع الشخصية المصرية بكل تلك الخصائص التي ذكرها د جمال حمدان مع ملاحظة عدم وجود الضوابط والأصول والأعراف التي تحدد كيف يتم التعامل بين الجميع ، طبقًا لمكانة ووضع وتاريخ كل شخص ووظيفته وقد أشرت إليها عند الحديث عن وسط العمل الذي تركته

إنت وراءك إيه ؟

أعود مرة أخري للحديث عن مشاكل الخروج للمعاش فمن المشاكل الأخري التي قد تواجه المتقاعدين مشكلة انعدام الخصوصية إلي حد ما ، حيث قد يفرض عليّ المقربين مني مواعيد مع أشخاص لا أحب مقابلتهم أو أعمال لا أحب ممارستها ظنًا منهم أن هذا سيكون مفيد لوقتي ، متجاهلين رغباتي الخاصة ،

فوقتي الخاص ملك لي وحدي الآن ، بعد أن كان ملك للعمل ، فالمفروض أنني وحدي من أقرر كيف أقضيه ومع من ، وأشعر بالغضب عندما يقولون لي العبارة أو السؤال السخيف : إنت وراءك إيه ؟

لقد قضيت عمري المهني كله أجلس وأتكلم مع أشخاص بسبب العمل فقط لأنني لا أحب بعضهم ، أليس من حقي الآن أن أختار مع من أتكلم وماذا أفعل ، ولا أخفي عليك أنني أصبحت أكثر حساسية لكل كلمة وكل نظرة أو لفتة ، فأنت إن لم تجد فرصة للعمل بعد المعاش لن يتركك أحد تمارس حياتك كما تحب وسيتدخلون في كل تفاصيل حياتك وكأنك وأنت علي المعاش لم تعد ملكًا للعمل وأصبحت ملكًا لمن حولك

ومن الأمور التي تستجد عليك هو شعورك بأوجاع وأمراض لم تكن تلقي لها بالًا لأن الاندماج في العمل يجعلك تتجاهل الكثير من الأعراض التي قد تشعر بها بل وقد تتعايش معها وتعتاد علي وجودها ، أما عندما تخرج إلي المعاش فكل ألم ووجع يلفت نظرك وتريد أن تعرف سببه فتدور في دوامة التحاليل والإشعة وتمكث فترات طويلة في انتظار الكشف في عيادات الأطباء وتبحث عن الوصفات والأعشاب وأنواع العطارة المختلفة ، فإذا قررت أن تجلس علي المقاهي والكافيهات فسوف تخسر بعض النقود وقد يلومك أهل بيتك ويوضحون لك حاجتهم وحاجة البيت لهذه النقود التي تهدرها في كلام فارغ من وجهة نظرهم ، وقد يوضح لك أحدهم أولويات الإنفاق طبقًا لهرم الحاجات ، والغريب والمدهش في نفس الوقت أنك كنت تشتري الكثير من المشتروات قبل المعاش دون أن يعلق أحد عليها ، أما الآن فتشعر أن مشترواتك مراقبة من أعين الجميع ممن حولك ، والخروج علي المعاش يُعتبر فرصة بلا شك لممارسة هوايات كنت لا تجد الوقت لممارستها وقد تحتاج هذه الهوايات بعض النقود لممارستها فهل يليق بك أن تصرح بذلك لمن تعولهم وهم في أمس الحاجة لهذه النقود ، فمثلًا يمكن للبعض زراعة بعض النباتات والإعتناء بها أو تربية أسماك وطيور الزينة أو الحمام والحيوانات الأليفة وهي كلها أمور تبعث علي البهجة والسكينة وتدعوا إلي التأمل في خلق الله سبحانه ، وتهدئ الأعصاب ، كما يمكن اقتناء الكتب والاستمتاع بالقراءة ، كما يمكن زيارة المناطق الأثرية ، أما إذا قررت أن ترتاد المساجد بالسمت الإسلامي فقد تواجهك مواقف من نوع آخر ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة أيضًا بحد أبعد من ذلك

أما المعاش في الدول المتقدمة فإن له طقوس خاصة ويتم الإعداد له من فترة طويلة قبل حدوثه فمنهم من يُجهز منزلًا خاصًا ليقيم فيه بعد التقاعد وقد يكون منزل ريفي داخل مزرعة وتحيط به الأشجار والحيوانات المحببة للشخص أو قد يكون منزل علي البحر لممارسة هواية الصيد مثلًا أو الرياضات البحرية ، وفي الحالتين يتم تجهيز هذا المنزل بكل ما من شأنه شغل وقت الفراغ والاستمتاع بالاسترخاء ، واستحضار

الذكريات الممتعة ، ومنهم من يدخر المال ويقوم بالسفر للسياحة ومشاهدة الأماكن التي كان يحلم برؤيتها ويتمني زيارتها وكل ما سبق بالطبع يحتاج إلي أموال كثيرة

نعود إلي مصرنا الحبيبة ونقول ، إذن أنت علي المعاش في مصر ، فهل هناك مجال لأن ترتاح وتستمتع بما تبقي لك من حياة وتعيش في هدوء وسكينة ؟ أم لابد أن تبحث عن عمل آخر حتي تستطيع أن تستمر في نفس مكانتك ووضعك بالنسبة لمن حولك ، مع أنك إذا بحثت عن عمل ووجدته بالفعل فسوف تزاحم الشباب الذين هم أيضًا يبحثون عن فرصة العمل التي خطفتها منهم فهم أولي وأحق بها منك بلا شك

فهل لم تعد مصر جنة الشيوخ أو جنة كبار السن كما وصفها علماء الحملة الفرنسية في كتابهم الشهير وصف مصر عندما قارن أحدهم بينها وبين فرنسا وأوروبا حيث كتب ما يلي : إن المفكر يستطيع أن ينعي علي الشعوب الأوروبية – التي تطورت صناعاتها ومعارفها لحد مذهل – هذه اللامبالاة الشديدة نحو الشيخوخة ونستعير هنا ، حول هذا الموضوع ، بعض الافكار التي وردت علي لسان مؤلف كتاب رسائل عن مصر Lettres sur L'Egypte الذي انتقدنا بمرارة وأحيانًا تحامل صارم ، وترسم أقواله بدقة ذلك الفرق الكائن بين أفكار وعادات شعوب الشرق ، وبين مثيلاتها عند شعوب الغرب ، بخصوص الشيخوخة : إن الشيخوخة عند كل الشعوب المتحضرة ، حيث يعيش الإنسان وسط عائلته فترة أقل ، لا تلقي من الاحترام نفس ما تلقاه في مصر ، بل إنها تكاد تكون في معظم الأحيان نقيصة ، حيث ينبغي علي ذي الشعيرات البيضاء أن يصمت أمام غرور الشباب ومباهاته ، وأن يلعب دور طفل حتي يمكن تحمله في داخل نطاق العائلة ، فما أن يحس الإنسان عندنا بأن سنوات العمر قد بدأت تثقل كاهله ، حتي يري نفسه وقد أصبح عبئًا ثقيلًا علي أولئك الذين يدينون بوجودهم له ، يري نفسه وقد أنكر عليه حق الرعاية وأغلقت دونه القلوب ، وترتجف من برودة الوحدة روحه ، أما المشاهد التي كنت أراها هنا في مصر قد اضطرتني أن أقدم لكم النقيض المقابل ، فهنا في مصر ، يبتسم العجوز وهو يلقي الاحترام ، يبتسم برغم وطأة وضعف هذه الشيخوخة – لأحفاده وهم يأتون لمداعبته ، وينشرح صدره وهو يري أربعة أجيال تهرع نحوه لتقدم إليه ما تفرضه عليها الشفقة الحنون ، فيتذوق بذلك بهجة الحياة حتي آخر لحظة من لحظات عمره ، وفي واقع الأمر فإن الأوروبيين لا يمكنهم أن يرضوا عن أنفسهم بثقة وإعجاب عندما يرون هذا الاحترام الذي يبلغ مرتبة التقديس ، فهؤلاء الناس الذين نطلق عليهم ذلك النعت المقزز المرعب : المتوحشون البرابرة ، يقدمون لنا في هذا الخصوص مثالًا يجدر بالاحتزاء ، علي أجمل الفضائل ، فكل شئ في كبار السن يفصح عن المهابة والأهمية ، فإذا تكلموا أنصت الجميع لما يقولون في احترام شديد ،

ويترجم العرب كلمة Vieillard (مسن–عجوز) بكلمة : شيخ ، وهو لقب شرف يوحي بمعني التشريف والسيادة ، والكلمة الأولي في كل العائلات المصرية للأكبر سنًا ، وفضلًا عن ذلك فإن الشرق – الذي نتفق علي أنه مهد الحضارات – كان مسرحًا للتقاليد الأبوية القديمة ، وإذا كانت أوروبا هي وطن الفنون ومسرح ملذات الشباب ومغامراته ، فإن الشرق ، – ومصر بوجه خاص – هو علي نحو ما ، جنة الشيوخ

وذلك التقديس لكبار السن الذي أشار إليه علماء الحملة له دوافع دينية من منطلق بر الوالدين وكما ورد في الأثر ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ، ولكن علماء الحملة فسروا تلك السلوكيات تفسير آخر بعيد عن الدين ، وعلي أي حال لقد تغير الوضع كثيرًا حاليًا ، فلم تعد مصر جنة لكبار السن والله أعلم كما أعتقد أنها ليست جنة للشباب أيضًا بطبيعة الحال

وللأسف الشديد حارب الغرب أخلاقنا وثوابتنا التي كان يحسدنا عليها لتصبح أخلاقنا مثل أخلاقهم ، دون أن نصل إلي تقدمهم العلمي ، فكنا نتميز بالأخلاق وهم يتميزون بالإنتاج فحرمونا الميزة الخاصة بنا دون أن يعطونا الميزة الخاصة بهم ، من خلال ما يبثونه لنا من أفكار مسمومة في الأعمال الفنية من خلال القنوات الفضائية وشبكة الانترنت ، فهم يدعوننا لأن نحيا حياتهم التي لا تخلو من الانحرافات الأخلاقية دون أن يلتقطونا من التخلف وقد اقتنع الكثيرون أن الحياة علي الطريقة الغربية هي الحياة الأفضل وللأسف قد يؤدي ذلك إلي تدمير الشباب وتحويلهم إلي مسخ مشوه تافه لا يعرف أي ثوابت أو مبادئ ولا يهتم إلا بأتفه الأمور ويجهل تماماً هويته وتراثه وتاريخه وتراه غزير المعلومات عميقها في كل ما يختص بكرة القدم العالمية أو المحلية والأعمال الفنية المختلفة وتراه مع كل هذا عبداً لشهواته منجذباً إلي الغرب الذي يذله ويدمر أوطانه ويشعر بدونية وهزيمة نفسية بشعة علي الدوام أمام الغرب معتقداً أن التغريب هو التحديث وهناك فرق كبير بين التغريب والتحديث ، فكما قال أحد المؤرخين عن ذلك : اليابان وحدها عرفت الجواب الصحيح : التحديث لا التغريب ، ولكي يتحقق التحديث لابد من رفض التغريب ، بل نزعم أنه بقدر الإصرار والنجاح في رفض التغريب يكون النجاح في تحقيق التحديث ، تمسكت اليابان بدينها ، وتمسكت بنظامها الملكي ، وبينما كان يجري التحديث بأعلي معدل عرفته دولة إلي النصف الثاني للقرن العشرين ، كان الياباني محتفظاً بحياته العائلية والاجتماعية وتقاليده وتراثه ، يرتدي القفطان (الكيمونو) والقبقاب ، ويأكل علي الطبلية بالعصي ، محتقراً الجنس الأبيض ، مقتنعاً بإصرار متزايد أنه خير أمة علي ظهر الأرض ، محتفلاً بأعياده القومية ، ظل المسرح الياباني يقدم روايات التراث وبنفس الأسلوب منذ قرون ، وظلت المرأة في مكانها التقليدي ودورها الأساسي وظلت علي احترامها للزوج وخلع حذائه بيديها ، واليابان

هي البلد الشرقي الوحيد الذي لم تظهر فيه حركة تحرير المرأة لذلك أصبحت مجتمعاً حراً وحافظت علي استقلالها ، لأنها عرفت أن المرأة لا تتحرر وحدها ، وأنه لا حرية لامرأة ولا لرجل في مجتمع ضعيف متخلف فاقد الاستقلال ، أو مهدد بفقده في أية لحظة ، وبعكس ما بُذل من جهد في بلادنا لتعليمنا استخدام الشوكة والسكين أو آداب المائدة ، لم يحدث قط أن حاول اليابانيون الأكل علي الطريقة الغربية ، فالأمة التي تُلقَّن أنها بحاجة إلي أن تتعلم آداب المائدة من عدوها هي أمة فقدت احترامها لنفسها ، ويستحيل أن تنجز أي تفوق ، التحديث : هو امتلاك كل المعرفة التي يتفوق بها الغرب ، إنتاج كل المعدات التي ينتجها الغرب ، وكل ما تحتاجه أمة من الأمم لتحقيق هذا التحديث هو إرادة قومية ، وتعبئة هذه الإرادة وتوجيهها في طريق التصنيع أو التحديث إذا كان البلد مستقلاً ، أو في طريق تحرير الإرادة القومية عبر حرب التحرير الوطنية ، التي يتم التحديث خلالها ، لكن يُشترط قبل ذلك أن تؤمن الأمة بأن تخلفها هو ظاهرة عارضة ، وأن أصالتها تمكنها من تجاوز هذه المرحلة العارضة

أما التغريب ، فيبدأ من إقناع الأمة الشرقية أنها متخلفة في جوهرها ، متخلفة في تاريخها وصميم تكوينها ، ومن ثَم فلابد من انسلاخها تماماً عن كل ما يربطها بماضيها ويميز ذاتها ، وإعادة تشكيل المجتمع علي الطراز الغربي من ناحية العادات والمظاهر السلوكية ، مع إبقائه متخلفاً عاجزاً عن إنتاج سلع الغرب ، عاجزاً عن اكتساب معرفة الغرب ، فإذا ما اكتسب بعض أفراده هذه المعرفة ، يجدون أنفسهم غرباء عاطلين عن العمل في مجتمعهم فيضطرون إلي النزوح إلي عالم المتفوقين ، المجتمع المُغرَّب هو ذلك المجتمع الذي تزدحم طرقاته بأفخر وأحدث السيارات المستوردة ، وتضم مدنه أفخم دور عرض الأفلام المستوردة ، ويرتدي أهله أحدث المنسوجات المستوردة ، وعلي أحدث الموضات الغربية ، ويثرثر مثقفوه في قاعات مكيفة بأجهزة – مستوردة – في مشاكل المجتمع الغربي وآلامه ، ويملأون صفحات من ورق مستورد تطبع بحبر مستورد وبآلات مستوردة حول قضايا –الغرب – علي بعد خطوات من كهوف مواطنيهم حيث البلهاريسيا والكوليرا وكل تراكمات التخلف ، كأن التغريب هو الطريق المضمون لخسارة معركة التحديث ، وكل الدول التي تم تغريبها أو اختارت طريق التغريب وانشغلت في قضاياه ، ظلت علي تخلفها ، بل وأخطر من ذلك أن التغريب يقضي علي روح المقاومة في الأمة الشرقية ، فيجعل استعمارها من قِبل الدول الغربية المتفوقة أسهل ، وحكمها أيسر ، ويجعل استغلالها أعمق وأكبر عائداً وأقل كلفة ومخاطر ، من هنا كان اهتمام الغرب بترويج فكرة التغريب بين صفوفنا ، فمنذ الحملة الفرنسية وهناك استثمارات فكرية تهدف إلي إقناعنا بأنه لا تحديث إلا بالتغريب

ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة أيضًا بحد أبعد من ذلك

هل تعرف أحد في المكان الفلاني ؟ :

(هل تعرف أحد في المكان الفلاني ؟) هذا السؤال قد تسمعه بكثرة هذه الأيام فتشعر أنك لن تتمكن من إنهاء مصلحتك في أي مكان إلا إذا كنت تعرف أحد يعمل فيه، كي يخدمك أو علي الأقل تعرف أحد الأشخاص الذين لهم علاقة بهذا المكان فبعض الأشخاص قد يستخدم وظيفته في خدمة نفسه وأسرته وأقاربه ومعارفه فمن العيب جداً –كما يعتقد– أن يتوجه إليه قريب له أو صديق ولا يخدمه خدمه خاصة تليق بالصداقة أو القرابة مع أنه من المفروض أنه يجب أن يؤدي نفس الخدمة بنفس الجودة للجميع ، كما يحدث في المجتمعات بالدول التي يصفونها بالدول المتقدمة ، فهناك والله أعلم لا تحتاج لأن تعرف أحد في أي مكان كي تنهي مصلحتك في أمان وسرعة ، ولكن للأسف الشديد في بعض مجتمعات الدول – –التي يصفونها بالمتخلفة– تحتاج إلي علاقاتك ومعارفك وذكاءك الفردي ، الذي يجعلك تنهي جميع مصالحك دون أن تشعر بالذل والإهانة أو البطء وعدم الاهتمام ، كما أن هذا النوع من المجتمع قد يؤدي إلي انتشار الرشاوي فهي البديل الوحيد للعلاقات ، فأنت إن لم تتمكن من تنفيذ خدمة من مكان عملك للشخص الذي ذهبت أنت لمكان عمله كمصالح متبادلة تنتهي بجملة (أي خدمة يا باشا من المكان الذي أعمل فيه) إذا كنت لا تملك ذكاء فردي أو خدمات متبادلة فقد تحتاج لتخليص الموضوع بالرشوة أما إذا لم تكن تملك مالاً ففوت علينا بكرة يا سيد لأن أوراقك غير كاملة ، في حين أنه قد يكون هناك من ينهي لنفسه هذه المصلحة وليس فقط أوراقه غير كاملة بل إنه لم يغادر منزله أساساً وكل حاجة تخلص ، لأنه علي علاقة جيدة بمن في أيديهم هذه المصلحة

وبالمناسبة أنا لا ألوم أحد علي الإطلاق إذا حصل علي حقه باستخدام العلاقات ولكن بشرط أن يكون حقه فعلًا وليس حق شخص آخر ، وأن يكون هذا هو الطريق الوحيد للحصول عليه ، فهي ثقافة عامة سائدة في بعض الأوساط ، وأحيانًا يفخر بها بعض الناس فهي في نظرهم جدعنة أو شهامة فكيف أكون أعمل في مكان ما وأعز أحبابي وأصدقائي يتعثرون فيه ؟ هذا لا يمكن حدوثه ، ولا نريد أن نبالغ ونقول أن العلاقات قد توقف القطار مثلاً في محطة لا يجب أن يقف فيها ، بل من الممكن أن يقف في مكان ليس فيه محطة أساساً ، والمؤسف أن الذكاء الفردي قد يستغل فساد البعض ويُدخل بضائع إلي البلد لا تصلح للاستخدام أو أدوية أو قطع غيار أو أغذية أو أي شئ ليس في صالح المجتمع ، والعلاقات أو ما أسميه الذكاء الفردي ويسميه بعض الناس (الواسطة) ، قد تعطي شهادات دراسية بل قد تصل إلي شهادات عليا

لمن لا يستحقها ، وكل واحد في مكانه باشا كبير والجميع في حاجة إليه ، وعندما يذهب إلي مكان آخر أصبح في حاجة إلي من في المكان الآخر ، وعليه أن يقوم بما يرضي الباشا الآخر ، وهنا قد نجد روح الانتقام إلي حد ما تسود مثل هذه المجتمعات التي أسميها مجتمعات الغباء الجماعي ، فكل منهم ينتظر الآخرين عند حضورهم إلي ملعبه ليشبع غروره ويريهم سلطاته وإمكانياته فيعذب المجتمع نفسه بنفسه

وعندما يخرج الشخص إلي المعاش في مثل تلك المجتمعات فلن يكون لديه ما يقدمه للآخرين من وجهة نظرهم بالطبع فهم يعتبرونه غير ممسك بأي خدمات لتقديمها في مقابل خدمات أخري

ومما لفت نظري أيضًا في بعض الأوساط ما يمكن أن نسميه بالشماعة الافتراضية

فإذا انتشر الفساد في مجتمع ما ، يكون له ميزة رائعة لبعض الفاسدين ، ولا أريد أن أقول لمعظم أفراد المجتمع فهذا العبث العام يصبح شماعة لجميع الأخطاء ومبرر قوي ومقنع لكل مخالفة ، فهناك مصطلح يستخدمه البعض فيقول (الدنيا خربانة) ، وما أكثر ما يُستخدم هذا المصطلح لتبرير الأخطاء ، فإذا لام شخص شخص آخر علي خطأ فادح ارتكبه يرد علي الفور أن (الدنيا خربانة) وهذا الخطأ ليس السبب الوحيد في خرابها فالأسباب كثيرة جداً وليس من المعقول أن يكون هذا الخطأ فقط هو المسئول عن كل ما يحدث في الدنيا التي يراها خربانة ، بل يتمني البعض أن يظل هذا العبث مستمر وهذا الخراب المزعوم مستمر كي لا يعمل بالشكل الصحيح فالجميع في نظره كذلك ولن تقف الدنيا عليه هو فقط ، فيا له من مبرر ومخدر للضمير إذا كان هناك ضمير حي من الأساس

فعندما يتخيل ذلك الشخص أن كل شئ في المجتمع يسير بشكل منضبط سيقول بينه وبين نفسه :

(يا للهول) ، فسوف يكون عليه أن يؤدي عمله علي أكمل وجه ، ولن يلجأ إلي الطرق الملتوية لتحقيق أهدافه كم سيكون ذلك شاقاً ومؤلماً ، فالأفضل أن تظل الدنيا في نظره خربانة والشماعة جاهزة والضمير في غيبوبة مريحة ، بل الطريف أن في مثل هذه المجتمعات التي تتسم بالغباء الجماعي عندما يقوم أحدهم بعمله كما ينبغي يصبح مثار للسخرية والتهكم من الآخرين ويقولون أنه (عايش الدور) وكلام من هذا القبيل فهم يكرهون من يفضح مسلكهم ويقطع الطريق علي مبرراتهم فالمناخ من وجهة نظرهم لا يصلح للعمل ويريدونه هكذا دائماً فكيف يعمل هذا الشخص في هذا المناخ ، وقد قيل من قبل أنه إذا أردت أن تعمل فابحث عن الوسائل ، وإذا أردت أن لا تعمل فابحث عن المبررات

ولا يمكن أن نحكم علي شعب ما بأنه شعب غير أصيل وغير طيب إلا عندما نعرف الظروف التي يمر بها والدوافع التي تجعل تصرفاته تتسم بصفات غير حميدة ، فقد يكون هناك من يدفعه دفعاً لهذا السلوك دون رغبة منه ، فتراه يتصرف كشعب أصيل ورائع عندما تختفي هذه المؤثرات

والمصري ينجح بشكل منقطع النظير عندما يعمل خارج مصر ، فهو يجد نفسه في مجتمعات تتسم بالذكاء الجماعي ، وهو يحمل ذكاءه الفردي من مصر فيتفوق تفوق يندهش له الجميع ، بل إن هناك مَثل أفضل من ذلك ورد في كتاب موسوعة وصف مصر الذي قام بإعداده مجموعة من علماء الحملة الفرنسية وقد وصفوا فيه مصر وصفاً دقيقاً وكان سلوك الشعب من الأمور التي قاموا بوصفها وتحليلها تحليلاً علمياً بل قاموا بتبرير بعض هذه التصرفات في تلك الفترة من تاريخ مصر مما يؤكد أن كل ظروف يمر بها الشعب تؤثر علي تصرفاته بشكل مختلف عن سلوكه الأصيل الطبيعي

فمما كتبه علماء الحملة الفرنسية في الجزء الأول من كتاب وصف مصر عن عادات وتقاليد الشعب المصري في ذلك الوقت : (يوجد في مصر – شأنها في ذلك شأن بقية بلدان الشرق – خليط مضطرب من العادات والتقاليد ، تعود إلي أصول متنوعة ، وتنتج عن أسباب كثيرة ، وهل كان يمكن للأمر أن يكون علي نحو آخر في بلد يمكن القول بأن كافة الأمم قد اختلطت فيه ؟

فالعادات إذن تتنوع بنفس الطريقة التي تشكلت بها فئات السكان ، بمختلف أديانهم وأصولهم ، ولا يمكنك أن تكشف ما يعتمل في نفس المصريين عن طريق ملامحهم ، فصورة الوجه ليست مرآة لأفكارهم ، فشكلهم الخارجي في كل ظروف حياتهم يكاد يكون هو نفسه ، إذ يحتفظون في ملامحهم بنفس الحيدة وعدم التأثر ، سواء حين تأكلهم الهموم أو يعضهم الندم أو كانوا في سعادة عارمة ، وسواء كانت تحطمهم تقلبات غير منتظرة أو كانت تنهشهم الغيرة والأحقاد ، أو يغلون في داخلهم من الغضب ، أو يتحرقون للانتقام ، فليس ثمة مطلقاً فعل منعكس : إحمرار في الوجه أو شحوب مفاجئ ، يستطيع أن يشي بصراع تلك العواطف العديدة التي تهزهم ، ويمكننا أن نلتمس أسباباً عديدة لهذا الجمود المذهل في الملامح ، قد لا يكون الطقس بعيداً عن هذه الحالة ، ومع ذلك فإن الأسباب الرئيسية لذلك تكمن بالتأكيد في شكل التربية ، كما تعود في النهاية إلي تعودهم أن يكونوا علي الدوام عرضة لنزوات الطغاة الذين يعم ظلمهم البلاد ، ففي كل يوم تنشأ أخطاء وبشاعات جديدة ، تصبح الغفلة معها بالنسبة للمصريين – والشرقيين عموماً – نوعاً من الحيلة لمواجهة هذا العسف ، فعندما يُعاقب الإنسان علي حركة أو بسبب نظرة أو أحياناً لمجرد الاشتباه ، كما لو كان ارتكب جريمة ، فإنه يصبح وقد اكتسب مقدرة عميقة علي الاستيعاب

والتمثل بحيث تصبح هذه الأمور الجائرة حالات عادية ، لذا فلا ينبغي علينا أن نبحث عن مصدر آخر لأسباب هذا النوع من التسليم المستعذب للألم الذي يميز الشرقيين علي وجه العموم ، فالشكاوي والصيحات أمور لا فائدة منها أمام إرادة الطغاة ، ويعرف المصري كيف يمشي وقد أغضبه الألم ، وبرغم ذلك فتحت هذا القناع من السلبية البادية علي ملامحهم يكمن خيال ملتهب ، وسوف يكون من الظلم أن ننكر عليهم كل حساسية ، فعادة الصمت تجعل أحاسيسهم علي العكس – وحيث يمكنهم بذلك تركيزها – أكثر حدة– ، كما أنها تعطي لأرواحهم دفعات من النشاط تجعلهم في بعض الأحيان قادرين علي الإتيان بأفعال بالغة الجرأة ، وفضلاً علي ذلك فإن الفكر يكسب بعمق ما كان يمكن أن يفقده لو كانت الروح متوقدة ، إن ملكة الانتباه ، والقدرة علي التذكر تذهب إلي أبعد مدي عند هؤلاء الناس الذين نخالهم غارقين في بلادة مطلقة ، إن كل شئ في هذا الشعب يقدم صورة من التناقض الواضح مع عاداتنا نحن الأوروبيين ، وهذا الاختلاف بلا جدال من صنع الطقس ومن صنع الأنظمة المدنية ، كما أن غيبة القانون تكاد تشل مختلف ضروب الصناعة ، ومن جهة أخري يمكن القول بأن كل فروع الصناعة بلا استثناء فريسة للاستبداد ، وفي نفس الوقت فإن التجارة مزدهرة ، وليس ذلك لأنها تلقي تشجيعاً من الحكومة ، ولكن لأن موقع مصر وثراء منتجاتها يهيئان للتجارة معيناً لا ينضب ، وهذه الحرفة هي المجال الوحيد الذي يمكن أن يعد المصري بمستقبل زاهر ، فهي تقوده إلي الثروة في بعض الأحيان ، وهي – في هذا الصدد – الحسنة الوحيدة التي بقيت لهم ، حيث إن صفتهم كمواطنين قد أغلقت أمامهم طرق المجد والمراكز الكبري في وطنهم ، انظروا إذن إلي أي حد تضاءل سكان واحدة من أجمل بقاع الأرض تحت هذه السيطرة الأجنبية غير المشروعة ؟ إن الكوارث التي تنال منهم اليوم سوف تظل تثقل عليهم ، طالما ظلت هذه العصا الغليظة لمستغليهم غير الجديرين تدور عليهم ، ولسوف يظل المصري عبداً بائساً سلبياً خاملاً تدور به دوامات الشك دون أن يفكر في وضعه المحزن ، ولربما تكون بلادته تلك هبة من القدر ، إذ بفضلها لن يعذبه علي الإطلاق ذلك الإحساس بالآلام والمخاطر التي تهدده بلا انقطاع)

وبالطبع كان علماء الحملة الفرنسية يقصدون المماليك عندما يقولون (السيطرة الأجنبية غير المشروعة والعصا الغليظة لمستغليهم غير الجديرين) أو كانوا يقصدون أي نظام مستبد حكم هذا الشعب يومًا ما ، ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

ومعظم ما كتبه المستشرقون والرحالة الأجانب يؤكد أن هذا الشعب عظيم رغم أنف كل من يحاول أن ينال من سمعته ، ولا أقول كلمة شعب عظيم كما تقال في المناسبات المختلفة علي سبيل المجاملة ، بل أقولها

بعد أن قرأت تاريخ هذا الشعب بقدر المستطاع ، لقد أطعم هذا الشعب شعوب كثيرة علي مر التاريخ وكان جزء من العديد من الإمبراطوريات والكيانات العظمي بل أهم جزء فيها بلا مبالغة أو تحيز ، وتعرض لظروف ومواقف تنوء بحملها الجبال ، وظل معدنه الأصيل المعطاء الكريم كالورد ينفح بالشذي حتي لأنوف سارقيه ، وكم قسي عليه الطغاة وكم استغله الظالمون وكم سخر منه العابثون وكل هذا كان كفيلاً بأن يتحول هذا الشعب إلي مسخ مشوه لا قيمة له ولا يحمل أي مبادئ ، ولكنه رغم كل هذا ظل أصيلاً كريماً صبوراً ، وشعاره كان دائماً (اصبر علي جار السوء ، يرحل أو تيجي مصيبة تأخذه) ، وبمجرد أن تزول كل غمة علي مر التاريخ يعود لطبيعته السمحة المرحة الطيبة التي لم تتغير أبداً ، فهو دائماً يسخر من ظروفه ومشاكله بل ويسخر حتي من نفسه ، ولكنه كالذهب الذي يعلوه التراب ، وكلما أزالها تعمد البعض أن يعيدها مرة أخري ، إن الذي يحب هذا الشعب لابد أن يأخذ بيده إلي الطريق الصحيح الذي هو جدير به ، ولنتأمل معاً كلمات جي دي شابرول أحد علماء الحملة الفرنسية الذين قاموا بتحليل عميق لشخصية الإنسان المصري والتي وردت بالجزء الأول من موسوعة وصف مصر ترجمة زهير الشايب حيث كتب بالنص ما يلي : (– – وهذا يبرهن علي ما سبق أن قلناه من أن إصلاح مساوئ نظام الحكم سوف يؤدي – بسهولة فائقة – إلي أن يرد لهذا الشعب كل الفضائل التي فقدها ، بل التي لا يظنها هو نفسه كامنة فيه ، كما أن ذلك سوف يوقظ فيه كل مشاعر النبل والهمة ، وعظمة الروح التي خنقتها إلي حين تلك الأنظمة الشيطانية التي يرزح تحت نيرها ، إذ تعمل هذه الأنظمة الخبيثة علي تدمير أخلاقيات الأفراد بشكل محزن) ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

حب العزلة ومراقبة المجتمع

نعود لوصف الحياة بعد المعاش ، حدثتك أن العمل قد لا يحتاج إلي مهارات إجتماعية لوجود ضوابط تحكم العلاقات بين الزملاء ، وكنت أنا من أكثر الناس حاجة لهذه الضوابط لأنني أفتقد للكثير من المهارات الإجتماعية ، فأصابني ما يسمي بالرهاب الإجتماعي(social phobia) بعد خروجي للمعاش ، وكان الحديث في الهاتف من الأمور التي تقلقني جدًا رغم سهولة ذلك بالنسبة للكثيرين ، وقد تسبب عدم إجراء مكالمات تليفونية في فقد العديد من العلاقات بيني وبين كثير من الزملاء السابقين ، كما أن عقد لقاءات معهم أمر أكثر تعقيدًا

وكان حتمًا بالنسبة لي أن أعتاد الوحدة والعزلة ، وخاصة بعد أن أصابني والحمد لله مرض جعلني لا أستطيع الخروج دون مساعدة أحد ، وبمرور الوقت أحببت العزلة والوحدة وتفرغت للقراءة وتلخيص الكتب

، وتصفح مواقع شبكة الانترنت ، وأصبحت شبكة الإنترنت هي كل ما يربطني بالعالم الخارجي ، وكان بالطبع يمكنني تحميل ما أحتاج إليه من كتب من العديد من مواقع النشر الإلكتروني ، ولكن ما أصابني بالدهشة هو خوفي من التفاعل مع الأصدقاء علي مواقع التواصل الإجتماعي ، فالمفروض أنه أيسر من التفاعل المباشر تليفونيًا ، ولكنني كنت أخشي أن أقوم بالتعليق علي منشور أحد الأصدقاء فيقوم بالرد فأضطر لإستكمال الحوار معه وهو ما كان يقلقني رغم سهولته ولا أقول تفاهته ، وبالتالي كنت أكتفي بإشارة إعجاب فقط دون تعليق

ويوجد بالطبع علي مواقع التواصل الإجتماعي أشخاص لا أعرفهم يرسلون لي طلبات صداقة وبمجرد قبولها يقومون بإرسال رسائل للتعارف أو الدردشة وهو ما جعلني لا أرد ، بل ولا حتي أقبل طلبات الصداقة إلا قليلًا ، أما عندما قررت إرسال بعض أعمالي الكتابية إلي دور النشر التي فتحت باب استقبال الأعمال للنشر ، كانت بعض دور النشر تشترط وجود عدد كبير من المتابعين للكاتب علي مواقع التواصل الإجتماعي حتي تضمن تسويق كتبه ، فاضطررت للموافقة علي العديد من طلبات الصداقة

وعندما يتحول الرهاب الإجتماعي (social phobia) إلي مرض يصبح الوضع أكثر تعقيدًا ، حيث يصعب تفسيره وشرحه للآخرين ، ومن المؤكد أن معظم الذين لم أتجاوب معهم علي منصات التواصل الإجتماعي ، أعتقدوا أنني شخص يفتقد للذوق أو شخص متكبر ويتعالي عليهم ، مع أن الأمر علي خلاف ذلك تمامًا

علي أي حال تأكد بالنسبة لي صعوبة ولا أقول استحالة تبرير عدم الرد ، فأنا لا أرد علي أي رقم تليفون غير مسجل علي هاتفي ، وحتي لو كان مسجل ولن أتمكن من مجاراة الحوار فأتخوف من الرد ، وهو وضع يدفع الآخرين إلي الغضب بالطبع ، فأنا مريض مرض يصعب شرحه ، أو شخص متكبر ، وهما حالتين لا ثالث لهما ، فإما أن تختار الحالة الأولي أو الثانية ولك كل العذر بالطبع بالنسبة لي ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

وأعتقد أن من الأمور التي قد يتقنها –بقصد أو بدون قصد – من خرج إلي المعاش مراقبة المجتمع ووصفه ، بعد أن أصبح عنصر غير فاعل فيه فضلًا عن الخوف من التعامل معه ، فكأنه أصبح يعيش وحيدًا في برج عاجي بين أفكاره وخواطره ، كما قال الأديب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم رحمه الله في كتابه الممتع (من البرج العاجي) ، حيث تحدث عن ما أسماه بتنين الوحدة الذي يحرس البرج العاجي وداخله الخواطر الكثيرة فقال في مقدمة كتابه : (ما أطول حديثنا الصامت في برجنا العاجي هذا البرج الذي يحرسه "تنين" الوحدة ، وما أكثر تلك الخواطر التي تمر برؤوسنا أحيانًا كالطيور العابرة دون أن نقتنص منها شيئًا

، هنا داخل هذا الإطار وبين هذا السياج سأحبس ما يقع منها تحت ذاكرتي وإن خواطري لكثيرة ، لأن أوقات عزلتي طويلة ، وليس لي علم بلعب النرد وغيره من وسائل قتل الوقت ، فالوقت عندي هو الذي يقتلني ، لأني لا أعرف كيف أقتله ، شئ واحد كان يلهيني ويسرني ، وقد كان عندي بمثابة النرد والأحاجي ، ذلك هو الجدل حول فكرة من الأفكار ، ولكم أتعبت كثيرًا من أولئك الذين كانوا يلعبون معي هذا الضرب من الشطرنج في وقت من الأوقات ، لقد كنت أضيع عليهم نهارًا بأكمله دون أن أتبرم ، وإن رؤوسهم لتكل فما أرحمهم وما أرحم نفسي ، إن حب التفكير لنقمة ، آه لو علم الناس كيف يعيش الأدباء ورجال الفكر)

علي أي حال بالنسبة لي كان تأمل التاريخ والإطلاع علي الكتب التي تضمنت تحليل شخصية المصري وشخصية مصر ككتب الدكتور جمال حمدان وغيره من كبار المفكرين والعلماء والمؤرخين كل هذا كان أفضل الطرق لتقضية الوقت حيث أقوم بتلخيص ما أقرأ

والكتابة بالنسبة لي هي حوار مع شخص غير موجود ، فالقارئ لا يملك أن يراجعني أثناء الكتابة أو حتي أن يعلق علي ما أكتبه ، وقد لا يستمر في القراءة وهذا أقصي ما يمكنه فعله ، وبالتالي أنا أكتب دون أن أشعر بالرهاب الإجتماعي ، ولكن كما يقول أيضًا الأستاذ توفيق الحكيم أن المشكلة ليست في التفكير فهو يسير ولكن المشكلة في إقامة الفكرة لتصبح كائن يمكن الشعور به ، حيث كتب ما يلي : (وإذا الأعوام تُنفق في شئ آخر لم يكن في الحساب ، هو البحث عن الجسم الذي تحل فيه تلك الأفكار الهائمة كالأرواح ، هنا وضحت لعيني المعضلة ، وفهمت أن التفكير في ذاته يسير ، ولكن العسير هو أن أقيم "الفكرة" علي قدميها كائنًا نابضًا يتحرك ويسير)

وإذا كانت تلك معضلة لكاتب وأديب كبير في وزن الأستاذ توفيق الحكيم ، فما بالك بشخص مثلي ليس بأديب من الأساس ، فأنا علي أفضل الأحوال مجرد باحث تاريخي حر ، وأريد أن أسكن في برج عاجي وأصف المجتمع ، ولعلي سكنت فيه دون إرادة مني ، فقد دفعني إليه وأقامني فيه وحرسه ليس تنين الوحدة فقط- علي حد تعبير الأديب الكبير توفيق الحكيم ، ولكن تنين الرهاب الإجتماعي ، ولأنني لست أديب فقد كان الأسهل بالنسبة لي هو البحث عن الفكرة بعد أن تكون قد سكنت بالفعل الجسم المناسب لها ، لذلك ستجد أعمالي التاريخية المنشورة عبارة عن عملية قص ولصق أو جمع وترتيب . وليس لي فيها سوي جمل للربط بين الفقرات ، أو التمهيد لها ، ونادرًا ما أقوم بالتعليق علي أي فقرة حتي لا أتدخل في فكرة من نقلت عنه ، فالذين أنقل عنهم مؤرخين وأدباء كبار لا يصح أن أضع تعليق بعد كتاباتهم فهم

قامات كبيرة لها وزنها واحترامها وقد يُفسد تعليقي الفكرة التي كتبوها ولذلك كل ما أقوم به هو اختيار الفقرة وقصها ثم لصقها في المكان المناسب ، ولتوضيح ما أعنيه سأذكر هنا ما كتبته بالنص في مقدمة أحد أعمالي التاريخية التي تم نشرها حيث قلت : (– وإذا كنت عزيزي القارئ من المهتمين بقراءة كتب التاريخ المصري فلن تجد أي جديد بالنسبة لك في هذا الكتاب فكل ما فيه من معلومات تاريخية قد تم نشره من قبل في الكتب والمذكرات وعلي مواقع الإنترنت وهي موجودة علي العديد من الأرفف في المكتبات العامة والخاصة ، فهي لن تكون أسرار تم كشفها بالنسبة لك

أما إذا لم تكن قد قرأت تلك الكتب فسوف يساعدك هذا الكتاب في تفهم مجمل ما حدث في تلك الفترة المهمة من تاريخ مصر ، ولذلك سوف أذكر هنا في هذه المقدمة ما تم الاستعانة به من كتب ومراجع ومذكرات حتي تقرر بنفسك ما إن كنت ستتابع القراءة أم لا حتي لا تعيد ما قمت بالإطلاع عليه من قبل فيكون تكرار ممل بالنسبة لك أو قد يكون تكرار محمود بالنسبة لقارئ آخر)

علي أي حال سوف أحاول وصف المجتمع بنفس أسلوب القص واللصق الذي اعتدت عليه ، وسأبدأ الوصف بما يمكن أن نسميه قبول الأكاذيب ورفض الحقائق ، فالأكاذيب قد تكون مريحة للبعض والحقائق متعبة ومرة ، وسأختار فقرة مما كتبه الأستاذ العقاد عن ذلك حيث قال : (طبيعة المصري موضع دراسات كثيرة جنسية ونفسية واجتماعية وسياسية يقوم كثير منها علي الإشاعة والغرض وقليل منها علي التحقيق والإنصاف ، وليس ذلك لغموض أو تعقيد فيها فإن هذه الطبيعة واضحة سهلة ليس في الأمم العريقة كافة –فيما نعتقد– أمة أوضح منها وأسلس ولكنها قد احتجبت طويلاً لما أحاط بها من أقاويل الأمم المنافسة لها أو الموتورة منها ، وقد طال عهد مصر بمراس المنافسين والجيران الموتورين وطال إعراضها عما يصمونها به ويفترونه عليها ، حتي وقر في الأذهان وأصبح التعرض له بالتفنيد والتصحيح كالتعرض للحقائق المقررة والوقائع المكررة تبدو عليه شبهة الغرض والمحاباة من حيث لا تبدو علي تلك الأقاويل المفتراة ، ونحن نرجع إلي الصفات الكثيرة التي تواترت بها أقاويل الأمم الناقمة أو الأمم الحاسدة فنستعرضها صفة صفة ونحاول أن نجد فيها ما يقنع السامع أو ينفي عنه الشك والتردد فلا نجد بينها صفة واحدة تطرق الأذهان من ناحية الإقناع ، ولا نعجب لشئ عجبنا من سرعة الأكاذيب في النفاذ إلي الآذان وسرعة الأوهام بعد ذلك في الاستقرار بالأخلاد حتي إذا جاء دور التفنيد والتصحيح كان العجب الأكبر أن تلك الأخلاد التي استقبلت الأوهام بالإذعان والاستسلام تنقلب فجأة من السلاسة والهوادة إلي التصعب والتشدد في وجه الحقيقة ، كأنما الأوهام صديق مسالم ينزل بها نزول النصير المأمون الجوانب

المحمود العواقب ، أما الحقيقة فهي عدو مهاجم يدك الحصون ويبدل المعالم ولا يطرق العقول أبداً دون أن تلتفت له وتثور عليه ، ورأس الأكاذيب علي الطبيعة المصرية أنها طبيعة أمة لا تحكم نفسها بنفسها ولا تبال غارة الأجنبي عليها ، فمن من أعداء المصريين يشك في هذه الأكذوبة ؟ أو يكلف نفسه وهو يقذفهم بها أن يضاهي بينهم وبين غيرهم ليعلم مقدار الشبه في هذه الخلة بينهم وبين أبناء الأمم الأخري ؟

علي أنها كما قلنا رأس الأكاذيب وأيسرها تفنيداً عند النظر القريب فضلاً عن النظر البعيد ، فليس شأن المصريين في هذه الخلة بمخالف لشأن الأمم كافة في العصور القديمة إذ هي كلها مزيج من غالب ومغلوب وأصلاء وغرباء ، لا تدري من أحقهم بوصف الوطني ومن أحقهم بوصف الدخيل ، إذا مضي عليهم جيلان أو بضعة أجيال ، ولقد كانت هذه الأمم جميعاً لا تبالي من يحكمها من أبناء البلاد أو غير أبناء البلاد ، لأنها كانت منهوبة مظلومة علي كلتا الحالتين ، وكانت تطيق الحاكم حتي يجاوز بها حد الطاقة فتثور عليه وتمالئ أعداءه – – – وقد أبطأت الإنسانية طويلاً قبل أن تخترع الديمقراطية أو الفكرة الوطنية ، وقد أصيبت جميع الأمم بما أصيب به المصريون من جراء هذا الإبطاء الذي لا ذنب فيه علي أحد)

ولعل أهم ما كنت أقصد نقله مما سبق هو قول العقاد : (ولا نعجب لشئ عجبنا من سرعة الأكاذيب في النفاذ إلي الآذان وسرعة الأوهام بعد ذلك في الاستقرار بالأخلاد حتي إذا جاء دور التفنيد والتصحيح كان العجب الأكبر أن تلك الأخلاد التي استقبلت الأوهام بالإذعان والاستسلام تنقلب فجأة من السلاسة والهوادة إلي التصعب والتشدد في وجه الحقيقة)

فعندما أتابع ما يدور من حوارات وتعليقات علي منصات التواصل الإجتماعي –دون أن أتدخل بالطبع– أجد أن هناك من يرتاح لتصديق أكاذيب معينة ويرفض الحقائق الواضحة كالشمس في وضح النهار وقد سبق أن قال المتنبي :

وَلَيسَ يَصِحُّ في الأَفهامِ شَيءٌ إِذا اِحتاجَ النَهارُ إِلى دَليلِ

وكنت قد تعلمت منذ الصغر أن اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ، والقول المأثور عن الإمام الشافعي رحمه الله : (رأيي صَوابٌ يَحتَمِلُ الخَطأ، ورأيُ غَيري خَطأ يَحتَمِلُ الصَّوابَ)

أما ما ألاحظه حاليًا فهو إحتكار البعض للحقيقة وتسفيه آراء الآخرين بل أحيانًا أشعر أن المعادلة بين المختلفين في الرأي تكاد تكون صفرية ، وخاصة إذا دخل الهوي في الموضوع ، ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

خفة ظل المصريين عبر التاريخ

ولست في حاجة كي أتواجد بالمعاش في برج عاجي كي ألاحظ ظاهرة خفة الظل التي يتسم بها الشعب المصري بشكل يكاد يكون منقطع النظير ، وهي ظاهرة قديمة يمكن ملاحظتها من خلال استعراض تاريخ مصر وكيف كان المصريون يسخرون من حكامهم ، فالمصري كما يقول د جمال حمدان يُعرّض بالحاكم ولا يتعرض له ، ويمكن أن نذكر بعض الأمثلة من التاريخ حتي نوضح المعني ، فمثلًا تُعتبر فترة حكم الفاطميين لمصر من أبرز الفترات التاريخية التي قام فيها المصريون بالسخرية من الحكام ، وكما هو معرووف تاريخيًا تولي الفاطميون حكم مصر من سنة ٩٦٩ م إلي سنة ١١٧١ م أي حوالي ٢٠٢ سنة وهم من الشيعة الإسماعيلية ، وأسسوا عاصمة جديدة لمصر بل للخلافة الفاطمية كلها وهي مدينة القاهرة وسيطروا لفترة كبيرة علي معظم أنحاء الأمة الإسلامية مثل شمال أفريقيا والشام والحجاز واليمن ، وتولي القائد جوهر الصقلي حكم مصر وأعدها لاستقبال المعز لدين الله ويعتبر جوهر الصقلي أول حاكم لمصر في عصر هذه الدولة وحتي حضور المعز لدين الله أبو تميم " معد " في رمضان سنة ٣٦٢ هـ / يونيو ٩٧٣ م وتوفي المعز سنة ٩٧٥ م وخلفه ابنه العزيز لدين الله " نزار " أبو منصور إلي أن توفي سنة ٩٩٦ م وجاء بعده ابنه الحاكم بأمر الله المنصور أبو علي إلي أن قُتِل سنة ١٠٢٠ م ثم توالي الخلفاء الفاطميين إلي أن انتهت دولتهم علي يد السلطان صلاح الدين الأيوبي في عهد الخليفة العاضد آخر خليفة فاطمي

وقد لبثت القاهرة منذ قيام الدولة الفاطمية في مصر عاصمة المُلك والخلافة ، وبلغت أيام الفاطميين من الضخامة والرونق والبهاء مبلغاً عظيماً بل إنه لم يمض نصف قرن فقط علي قيام القاهرة المعزية حتي كانت بقصورها ومرافقها تكون مدينة من أعظم مدن الإسلام وكانت القصور الفاطمية قد نمت وبلغت منذ أوائل القرن الخامس الهجري منتهي الضخامة والبذخ وكان القصر الخليفي الكبير أو القصر الشرقي يقع في وسط المدينة في منطقة خالية وأمامه من الناحية الغربية يقع القصر الغربي أو القصر الصغير وهو الذي أنشأه الخليفة العزيز بالله وخصص فيما بعد لإقامة ابنته الأميرة ست الملك ، وبين الصرحين ميدان شاسع هو ميدان بين القصرين الشهير ، أما أسباب سخرية الشعب المصري من الحكام الفاطميين فترجع

لكونهم أعتقدوا بعصمة خلفائهم وأعلنوا نسبهم إلي السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ولكن لم يصدق الكثيرون هذا الزعم بل أكد البعض أن نسبهم يعود إلي شخص اسمه عبيد الله وسموهم بنو عبيد ولسنا هنا بصدد إثبات أو نفي ذلك النسب فأفعالهم تكفي للحكم عليهم لا نسبهم ، أما ما يعنينا هو كيف تناول المصريون هذا الموقف وسخروا منه بالأدوات والطرق التي كانت متاحة في ذلك الوقت ، وقد أثار موضوع نسب بني عبيد إلي البيت العلوي الكثير من الجدل في أوساط الأمة الإسلامية حتي أن المعز لدين الله عندما سأله أعيان مصر عن نسبه (- - وضع المعز يده علي مقبض سيفه وجذبه من جرابه إلي النصف وقال هذا " نسبي " ثم مد يده الأخري بمقدار من الذهب ونثره عليهم وقال هذا " حسبي " فأجابوه جميعاً بالسمع والطاعة - - - ثم ذكر ابن خلكان أن المصريين اعتبروا هذا التصرف فراراً من الجواب لأنه مدخول في نسبه - -) والمقصود هنا أن الحسب والنسب هما القوة والمال ومن يمتلك القوة والمال يمتلك السلطة ثم اتخذ البعض هذا الموقف كمثل حيث يقولون (سيف المعز وذهبه) والطريف أيضاً في هذا الموضوع أن الخليفة الفاطمي أرسل كتاباً إلي صاحب الأندلس الأموي يسبه فيه ويهجوه فرد عليه يقول (- أما بعد فقد عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لأجبناك - -)

وأعتقد أن هذا الرد بالتأكيد أسوأ من السب والهجاء لأنه يعني أن الخليفة الفاطمي لا يعرف أصله أحد حتي يرد عليه وطبعاً صاحب الأندلس أموي قريشي ويعرف أصول قبيلة قريش جيداً بجميع فروعها العباسية والعلوية والأموية وغيرها من البطون

وكذلك أكد العباسيون في بغداد أن بني عبيد لا ينتمون بأي صلة من الصلات إلي آل البيت وأن لقب الفاطميون لا يصح إطلاقه عليهم بل إن هناك وثيقة تم كتابتها في بغداد أثناء حكم الحاكم بأمر الله الفاطمي في مصر وتؤكد هذه الوثيقة عدم انتماء الحاكم وأجداده إلي البيت العلوي والطريف أن من بين الذين وقعوا علي هذه الوثيقة أشخاص علويون بالفعل ، ولكن دعنا من أصل المعز ونسبه وحسبه ولنتحدث عن " تعامل المصريون مع حكامهم الجدد علي أساس السخرية مع عدم المواجهة فلم يصدقوا بالطبع أن هؤلاء الأئمة معصومين ولديهم إمكانيات خاصة ويعلمون الغيب وسأذكر هنا موقفين يوضحان أسلوب تعامل المصريون مع الخلفاء الشيعة فمثلاً صعد أحد خلفاء الشيعة مرة علي المنبر فوجد بطاقة " ورقة " مكتوب فيها أبيات من الشعر :

إنا سمعنا نسباً منكراً - - - يُتلي علي المنبر في الجامعِ

إن كنت فيما تدعي صادقاً - - فاذكر أباً بعد الأب الرابعِ

أو فدع الأنساب مستورةً – – وادخل بنا في النسب الواسعِ

وهذا يدل علي أن المصريين لم يتمكنوا من مواجهة الفاطميين ولكنهم كانوا يسخرون منهم ومن عقيدتهم ويتركون هذه الأوراق التي تحمل آراء ساخرة

وبالرغم من أن الفاطميين كانوا يتسمون بالتسامح الديني مع باقي المذاهب بل وباقي الأديان إلا أن المصريين (– – لم يقبلوا فكرة تقديس الأئمة وعصمة الإمام وهي الفكرة التي كانت تضفي نوعاً من القدسية الإلهية رفضها المصريون من قبل فيما يتعلق بألوهية فرعون أو الأباطرة الرومان فيما بعد ، وكان المصريون يسخرون كثيراً من هذا الجانب في المذهب الشيعي فعلي سبيل المثال صعد الخليفة العزيز بالله ذات جمعة فوجد ورقة–بطاقة– كُتِب فيها

بالظلم والجور قد رضينا – – – وليس بالكفر والحماقة

إن كنت أُعطيت علم غيب – – فقل لنا من كاتب البطاقة

هذا بالنسبة للعصر الفاطمي أما لأمثلة السخرية في العصر الحديث والمعاصر فيمكن أن نذكر مثل يتعلق بالسخرية من أحد كبار رؤساء الحكومة في العصر الملكي وهي أحمد زيور باشا ، الذي كان يستعين به الملك فؤاد لينقلب علي الحياة الدستورية فإن هذا الرجل كان مستعد دائماً لتولي الوزارة وحل البرلمان وتنفيذ رغبات الإنجليز والقصر ، إنه البديل الجاهز لأي إنقلاب علي الدستور ، فكل ما عليك هو أن تطيح بالحكومة الشرعية المنتخبة وتأتي بزيور باشا وسيتكفل بالباقي فهو لا يرفض أي طلب أبداً للبرنيطة علي حد تعبير عبد العزيز البشري عندما كتب عنه في مقاله الأسبوعي بعنوان في المرآة ، والطريف أن كل ما كتبه البشري في مرآته تم نشره في كتاب يحمل نفس الإسم ، وقد كان زيور بديناً إلي حد ما وهذا لا يعيبه بالطبع كإنسان ولكن الذي يعيبه هو التعاون مع فؤاد والإنجليز ضد الديمقراطية

وإليك ما كتبه عنه البشري في مرآته :

(أما شكله الخارجي وأوضاعه الهندسية ورسم قطاعاته ومساقطه الأفقية فذلك كله يحتاج في وصفه وضبط مساحاته إلي فن دقيق وهندسة بارعة ، والواقع أن زيور باشا رجل –إذا صح هذا التعبير– يمتاز عن سائر الناس في كل شئ ، ولست أعني بامتيازه في شكله المهول طوله ولا عرضه ولا بعد مداه ، فإن في الناس من هم أبدن منه وأبعد طولاً وأوفر لحماً ، إلا أن لكل منهم هيكلاً واحداً ، أما صاحبنا فإذا اطلعت عليه أدركت لأول وهلة أنه مؤلف من عدة مخلوقات لا تدري كيف اتصلت ولا كيف تعلق بعضها ببعض ، وإنك لتري بينها الثابت وبينها المختلج ، ومنها ما يدور حول نفسه ، ومنها ما يدور حول غيره وفيها

المتيبس المتحجر وفيها المسترخي المترهل ، – – – وإنك لتجد ناساً يصفون زيور بالدهاء وسعة الحيلة بينما تري آخرين ينعتونه بالبساطة وقد يتدلون به إلي حد الغفلة ، كما تجد خلقاً يتحدثون بارتفاع خلقه وتنزهه عن النقائص ، إذ غيرهم ينحطون به إلي ما لا تجاوره مكرمة ، ولا يسكن إليه خلق محمود ، كذلك زيور عند الناس مجموعة متباينة متناقضة متشاكسة – – – وإذا كان هذا مما لا يمكن في الطبيعة أن يستقيم لرجل واحد فقد غلط الناس إذ حسبوا زيور رجلاً واحداً ، – – فإذا أدهشك التباين في أخلاقه – فذلك أن هذا الجرم العظيم مؤلف في الحقيقة من عدة مناطق لكل منها شكله وطبعه وتصوره وحظه من التربية والتهذيب ، – – والظاهر أن زيور باشا برغم حرصه علي كل هذه الممتلكات الواسعة عاجز تمام العجز عن إدارتها وتوليها بالمراقبة والإشراف ، وما دامت الإدارة المركزيه فيه قد فشلت كل هذا الفشل ، فأحري به أن يبادر فيعلن إعطاء كل منها الحكم الذاتي علي أن تعمل مستقلة بنفسها علي التدرج في سبيل الرقي والكمال ، – – – تلك بعض آثار هؤلاء الذين يدعونهم زيور باشا فإذا تمثلوا شخصاً وبدوا للعيون رجلاً واحداً فذلك مصداق قول أبي نواس : ليس علي الله بمستكثر أن يجمع العالم في واحد

وإن أهل مصر ليأخذون زيور باشا كله بما لا يحصي من الجرائم علي القضية الوطنية ، وإنهم ليعدون عليه سفهه في أموال الدولة واستهتاره بمصالحها ، وإنهم ليحسبون عليه إيثاره الأهل والأقربين والأصحاب والمحبين وذوي أرحامهم بمناصب الدولة ومنافعها ، وقد يكون لمجلس النواب مع هؤلاء الرجل شأن إذا أقبل يوم الحساب ، وإن ظلماً أن يؤخذ البرئ بجريرة الآثم ، فقد يكون الذي اقترف كل هذه الآثام كوع زيور باشا الأيسر ، أو القسم الأسفل من لغده أو المنطقة الوسطي من فخذه اليمني ، أو غيرها من تلك الكائنات التي تجمعت في هيكله العظيم – – إن الحق والعدل ليقضيان أن يؤلف مجلس النواب إن شاء الله لجنة تقوم بعمل التحقيق في جسم صاحب الدولة فتسأل أعضاءه عضوا عضوا وتحقق مع أشلائه شلوا شلوا حتي يفرق منها بين المحسن والمسئ – – ولعل العضو الوحيد المقطوع ببراءته من كل ما اُرتكب من الآثام هو مخ زيور باشا ، فما أحسبه شارك ولا دخل في شئ من كل ما حصل – – – – وفي –زيور باشا– صفة جامعة هي شدة احترامه للبرنيطة وعمله علي إرضائها بكل الوسائل فما عُرِف أن زيور رد في حياته طلباً لبرنيطة مهما كان حاملها في الناس)

وعلي ذكر الملك فؤاد يمكن أن نذكر هنا النقد الساخر الذي كان ينشده شاعر الشعب في ذلك الوقت بيرم التونسي فله العديد من القصائد التي يهجو فيها الملك فؤاد منذ اليوم الأول لتوليه السلطة

ولما عدمنا بمصر الملوك جابوك الانجليز يا فؤاد قعدوك

تمثل على العرش دور الملوك وفين يلقوا مجرم نظيرك ودون

وخلوك تخالط بنات البلاد على شرط تقطع رقاب العباد

وتنسى زمان وقفتك يا فؤاد على البنك تشحت شوية زتون

بذلنا ولسة بنبذل نفوس وقلنا عسى الله يزول الكابوس

ما نابنا إلا عرشك يا تيس التيوس لا مصر استقلت ولا يحزنون

ومما قاله أيضًا عن اهتمام الملك بأحياء الأجانب وإهماله لأحياء المصريين

وحول منازل الغرباء عنا غرست الورد ثم الياسمينا

وأخضلت الغصون لهم سماء ومهدت الرخام الجذع حينا

وما قرموا للحم الطير حتي منحتهم الأوز العائمينا

تفجر تحت أرجلهم عيونا وتفقأ وسط أعيننا عيونا

وترضي عنهمو وتصد عنا وقد سخطوا ونحن الشاكرونا

فمر بها علينا كل عام بحي الأشقياء البائسينا

تري الوحلات جاثمةَ وفيها بنات قد تعلمن العجينا

إذا كنت الطبيب ونحن ومرضي فأوص الناس خيراَ بالبنينا

ونعود إلي البرج العاجي لنرصد ظواهر أخري ، فمما لاحظته ورصدته أيضًا علي الانترنت ، لأن العالم الافتراضي علي الانترنت فقط هو الذي يمكنني مراقبته وليس المجتمع الحقيقي للأسباب التي ذكرتها ، المهم أنني لاحظت للأسف الشديد هذه الأيام علي منصات التواصل الإجتماعي انتشار صفحات تنشر منشورات تزيد من الاختلافات في الآراء بل وتشجعها بأن تنصحك بالابتعاد عن المخالفين لك وتجعلك تشعر أنك الوحيد الذي علي صواب وأن الآخرين ليسوا كذلك ، وتستعين تلك الصفحات بما يسمونه حاليًا بالكوميكس وهي تعتبر تطور للرموز

فقد حدثتك عن استبدال اللغة بالرموز في الكتابة كي يعبر بها الشخص عما يشعر به دون الحاجة لاستخدام واختيار الكلمات المناسبة رغم أن لغتنا ثرية بكل ما نحتاج إليه من تعبيرات ، ثم تطور الأمر وتم استبدال الرموز أيضًا بصور لممثلين من أعمال فنية للتعبير عن الشعور المطلوب التعبير به ، وبالطبع ستجد كل التعبيرات موجودة في الأعمال الفنية من مسرحيات وأفلام وتمثيليات ، فالممثل بطبيعة الحال يمكنه أن يظهر بالحالة التي يحتمها عليه المؤلف والمخرج ، وبالتالي ستجد صور لكل الحالات تقريبًا ،

فتجد صورة ممثل أو أكثر يضحك ضحك هستيري أو يبتسم في أسي أو سخرية ، كما ستجد وجوه غاضبة ووجوه حزينة ووجوه تعبر عن البؤس والإحباط واليأس ، وما إلي ذلك من مشاعر إنسانية ، وكل ما عليك هو أن تضع الكلام الذي يناسب المشهد ، وذلك الكلام لا تحتاج فيه للتعبير فالصورة ستقوم بذلك بالطبع ، فتكتب مثلًا الموقف الذي أغضبك ومعه صورة لممثل غاضب أو تكتب الموقف الذي أحزنك ومعه صورة لممثل في مشهد درامي حزين وهكذا

وقد قمت بالبحث عن تلك الظاهرة علي الانترنت فوجدت من كتب عنها في أحد المواقع تحت عنوان (من «الكوميكس» إلى «ميمز»... كيف غيّرت «السوشيال ميديا» السخرية في مصر؟) : تلقّفت مواقع التواصل الاجتماعي صور «الكوميكس» أو «ميمز» بقوة، حتى باتت ديواناً جديداً للمصريين، وجدوا فيها متنفساً لهم بعيداً عن ضغوط الحياة اليومية، من خلال تداول هذه الصور فيما بينهم. وأصبحت هذه المواقع مسرحاً حراً لمشاهير هذا النوع من الفن، ينشرون في صفحاته صوراً مستوحاة من أفلام كوميدية أو تصريحات لإحدى الشخصيات العامة، والتعليق عليها في قالب كوميدي. بينما ابتكر بعضهم شخصيات كارتونية طريفة، لعمل إسقاطات معينة تحشد الرأي العام ضد بعض القرارات والقضايا. مع وسائل التواصل الاجتماعي، استطاعت رسوم «الكوميكس» إيجاد حيز لها في العالم الرقمي بحلة جديدة، وتحت مسمى «الميمز». كما استطاعت تحطيم قيمتها الفنية الحقيقية، من رواية الأحداث بشكل كادرات متتابعة توصل رسالة معينة، إلى كونها مجرد رسوم وصور ساخرة تحقق أرقاماً غير مسبوقة في نسب مشاهدتها

يقول الفنان ميشيل معلوف لـ«الشرق الأوسط»: «(الكوميكس) هو فن القصة المصورة التي يرسمها فنان لسرد أحداث مترابطة في كادرات متتابعة من الصور، تدور حول أحداث سياسية أو اجتماعية، أو تكون قصة خيالية من نسج المؤلف، وتقدم شخصيات القصة بأنماط مختلفة من أساليب الرسم والتلوين حسب المدرسة الفنية لكل فنان». ويوضح: «يهدف هذا الفن إلى توصيل رسالة سامية لتنوير الشعوب وتعليم النشء قيم الحق والعدل والخير والجمال، من خلال تجسيد صور لأبطال يهزمون قوى الشّر، ولكن حالياً أصبح معظمها بغرض الترفيه والإضحاك فقط، وهو القالب المنتشر بكثرة على مواقع التواصل الاجتماعي.« اقتصر فن «الكوميكس» سابقاً في العالم العربي على قصص الأطفال، مثل: «ميكي»، و«سمير»، وكانت بدايته الحقيقية في مصر، عندما أصدر وزير المعارف علي مبارك، مجلة «روضة المدارس» عام ١٨٧٠ برئاسة رفاعة الطهطاوي، التي نشرت القصص المصورة لأطفال المدارس، وكانت تميل إلى الطابع

الإرشادي. ثم انتشرت المجلات المصورة عربياً، ومن أهمها: «دنيا الأحداث» في لبنان، و«أسامة» في سوريا، و«المزمار» في العراق.

حديثاً انتقل فن «الكوميكس» من المجلات إلى صفحات مواقع التواصل الاجتماعي، ليعرف باسم «الميمز»، أمّا مفهوم هذا المصطلح الإلكتروني فهو عبارة عن صور مركبة تحمل تعليقاً قصيراً وساخراً، يحدد الفكرة المراد إيصالها، وأول انتشار عالمي له كان على «فيسبوك»، لتقديم النكات، وخصوصاً تلك التي تتناول المشاهير، سواء في الفن أو السياسة أو غيرهما. مع بداية عام ٢٠١١ بات هذا النوع من التعبير ملاصقاً للحراك الذي انطلق في الشارع العربي، خصوصاً في تونس ومصر، حيث أصبحت وسائل التعبير البديلة للإعلام التقليدي الوسيلة الوحيدة أمام الشباب لتقديم أفكارهم.

من جهتها، تقول نهى إبراهيم، فنانة متخصصة في فن «الكوميكس»، لـ«الشرق الأوسط»: «شهد هذا الفن رواجاً كبيراً على صفحات ومجموعات كثيرة على الشبكات الاجتماعية، عقب ثورات الربيع العربي، حيث أصبح ملاذاً للعديد من الشباب الهواة عن طريق اقتباس عبارات ذات طابع فكاهي من الأعمال الدرامية أو الأفلام للسخرية من قضية أو حدث معين، وهو ما يتنافى مع طبيعة فن الكوميكس». وترى أنّ سبب الإقبال عليه هو استغلال نجاح هذا النوع من الفن في توصيل الفكرة بشكل واضح وسريع. فيما يقول ياسر خليل، مؤسس موقع «صحافي أونلاين»، «توجد في معظم صفحات (الكوميكس) الرائجة، مساحات للإبداع والتميز تختلف من شخص لآخر... وله منافع عديدة مثل شحن الجمهور بطاقة إيجابية، والتخفيف من التوتر السياسي أو الاجتماعي بين أشخاص أو جماعات، في المقابل يمكن أن تُشكل صورة ذهنية مشوّهة لرمز تاريخي، أو أن تحشد الجمهور ضد مشروع قومي مهم، أو تكسر تابوهات يلتزم المجتمع بحمايتها كجزء من هويته، من دون أن يدرك منتج هذه الصورة أنّه يحدث كارثة حقيقية، فهو يركّز على كمّ الإعجاب والتعليقات، وهذا بالطبع ليس معياراً صحيحاً لجودة المحتوى المقدم، وبالتالي يجب على الفنان أن يشعر بالمسؤولية التي تقع على كاهله لدى إنتاجه عمله.»[١]

علي أي حال أصبح جمع أكبر عدد من المشاهدات والإعجابات والتعليقات هو هدف الكثيرين دون مراعاة بعضهم لقيم المجتمع وثوابته

ومما يلفت النظر علي الفيس بوك إصرار بعض الصفحات والشخصيات علي قيامك بكتابة تعليق وتستثير فيك دوافع كثيرة إنسانية أو دينية أو وطنية أو ما إلي ذلك وهناك أشخاص يفعلون ذلك ويطلبون منك

الدعاء بالرحمة للميت والشفاء للمريض والصلاة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، مثلًا ولكن يطلبون كل ذلك مكتوب وكأن الكتابة علي الفيس بوك هي الوسيلة الوحيدة لفعل ذلك ، فكأنهم يملكون صحيفة أعمالك ، وهناك أيضًا الالتزام بتهنئة من تزوج ومن ترقي ومن يحتفل بيوم ميلاده وما إلي ذلك من المناسبات السعيدة . ولا أدري السبب في الإصرار علي كتابة التعليقات وإقامة الحوارات ، كما أن هناك بعض الصفحات تجعلك تشعر أنك ابن الأصول الوحيد بين من تعرفهم ، وأن عليك أن تترفع عن التعامل مع هم دونك من وجهة نظر تلك الصفحات بالطبع ، ومعظمها منشورات كما اتفقنا لجمع الإعجابات والتعليقات والمشاركات ليس أكثر ، دون أن تدري تلك الصفحات حجم ما تفعله في المجتمع من نشر للكراهية والحسد والكبر بين الناس ولله الأمر من قبل ومن بعد

كما أن هناك من يتعمدون نشر صورهم بمناسبة وبدون مناسبة وهي ظاهرة عجيبة أيضًا ، وعلي أي حال أصبح الفيس بوك وباقي مواقع التواصل عبء علي من هو مثلي ، لأنها امتلأت بالمجاملات وأصبحت تتطلب هي الأخري مهارات اجتماعية لا أملكها رغم أن كل هذا يدور في عالم افتراضي ، ففرت منه أيضًا ، كما فررت من العالم الحقيقي داخل برجي العاجي ، وهناك وسائل للفرار من الفيس مثلًا بعمل عدم تفعيل للحساب أو عمل عدم متابعة للبعض دون إلغاء الصداقة والحظر ، وكنت حريص علي عدم تفعيل الحساب كل سنة في وقت يوم ميلادي حتي لا أتلقي تهاني يصعب علي مثلي مجاراتها ، ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

وأخيرًا إليك بعض نماذج مما تنشره بعض الصفحات والتي تحظي بنسبة من المشاركات علي مواقع التواصل الاجتماعي ، وبالرغم من وجود صفحات تنشر موضوعات إيجابية إلا أن الصفحات السلبية تجد من يشارك منشوراتها ، وهي تدعوا إلي نشر الأفكار السلبية وتُعمِّق الانقسام والاختلاف في الرأي بالمجتمع ربما بقصد أو بغير قصد ولتقرأ معي هذه النماذج لتحكم بنفسك :

===أسوأ أنواع الابتلاء أن تُبتلي بغليظ الفهم محدود الإدراك ، يري نفسه أفهم الخلق وهو أجهلهم === لا تحزن علي المتساقطين من شجرة حياتك ، إنهم أوراق هشة اختبرتهم الرياح عندما هبت فأخذتهم بعيدًا عنك === إطعام الأفعي العسل لن يغير من طبيعتها المسمومة كذلك بعض البشر لن تغيرهم حسن المعاملة ولا الكلمات الطيبة ولا مهما فعلت لأن الطبع غلاب === يتحدثون في ظهري ويبتسمون في وجهي ولكن كرمًا مني سأعذرهم لأن النفاق مرض وليس علي المريض حرج === بعض الناس تركوا في نفسي تجربة علمتني كيف أتجنب أمثالهم في المستقبل === لو تمنيت أن يحترق كل السيئين الذين

قابلتهم في حياتي لتحول العالم لموقد كبير ===أوقات وانت بتتعامل مع البشر بتكتشف إن مشكلتك الوحيدة إن أهلك ربوك ===الدنيا لو فضلت تكشف لنا حقيقة الناس اللي حوالينا مش حيفضلنا حد=== هما هيتمنولك الخير بس هيزعلوا لو جالك ===أنا أكبر غلطة بعملها في حياتي إن لسة بستني الناس تعاملني زي ما بعاملهم===

وما سبق مجرد أمثلة مما تمتلئ به مثل تلك الصفحات من كلام يحث علي عدم التسامح وعدم التماس الأعذار ، في حين أن ديننا يدعو إلي التماس الأعذار للناس والتسامح معهم ، وإذا عدنا إلي كتاب الله وسنة نبيه صلي الله عليه وسلم سنجد مثلًا قوله تعالي : (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)الآية٣٤ سورة فصلت ، ويقول رسولنا الكريم صلوات ربي وسلامه عليه : من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم :لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أوَلا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم

أما إذا قمنا بتحليل تلك المنشورات من منطلق ما قاله الأستاذ توفيق الحكيم صاحب كتاب من البرج العاجي ، فقد قال في كتاب آخر اسمه عودة الوعي : إن الإنسان أحياناً يري الأشياء والأشخاص من خلال طبيعته ، وإذا أسقطنا هذا الكلام علي بعض ما نراه علي منصات التواصل سنجد أن اختيار أي شخص للمنشور الذي قرر مشاركته يعتمد في الأساس علي شعوره تجاه الآخرين والذي يرتكز علي شعوره تجاه نفسه ، ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

أنا والكرة

كان من الممكن أن تشغلني متابعة كرة القدم وأنا علي المعاش كما تشغل الكثيرين بل وتُخرِجني من البرج العاجي ولكن لم يحدث ذلك لأنني ببساطة لست من هواة هذه الرياضة ولا أحبها ، ربما لأني لا أجيد ممارستها أو تذوق مهاراتها وفنونها ، وأشعر أنها مجرد وسيلة لجلب الأرباح الكبيرة علي المستوي العالمي وللإلهاء والإشغال علي المستوي المحلي ، فمن الممكن جدًا أن تلهي الناس وتبعدهم عن مشاكلهم الحقيقية ، فهي في تقديري رفاهية لا يجب أن تتمتع بها سوي الشعوب التي قامت بحل مشاكلها الأساسية ، وإنه لمن الخلل في الأولويات اعتبار إنجاز رياضي مهما كان أهم من إنجاز حقيقي مفيد للناس في معيشتهم وحياتهم وحاجاتهم الأساسية كتوفير العلاج المناسب والتعليم الجيد والبحث العلمي وما إلي ذلك مما قامت بتوفيره الدول المتقدمة لمواطنيها

ولأنني كما ذكرت من قبل لستُ أديبًا فإن الأسهل بالنسبة لي هو البحث عن الفكرة بعد أن تكون قد سكنت بالفعل الجسم المناسب لها ، لذلك بحثت علي شبكة الانترنت عن الفكرة التي أريد الكتابة عنها

وعندما بحثت عن الأرباح التي تدرها كرة القدم علي المستوي العالمي وجدت أرقام كبيرة جدًا ، ولا مانع أن أذكر هنا بعض نتائج البحث حتي تشعر بما أشعر به

فتحت عنوان (من أين تأتي أرباح أندية كرة القدم؟) كتب علي خليفة بتاريخ 21/07/2019 22:25 علي موقع سبورت ٣٦٠ – علي شبكة الانترنت ما يلي :

أصبح مشجعو كرة القدم بشكلٍ خاص والرياضة بشكلٍ عام معتادون على سماع كلمة "مليون يورو" باستمرار ، حيث تدفع الأندية مئات الملايين لشراء اللاعبين ، بينما نسمع عن دفع ملايين أخرى كرواتب للاعبين. ويعتبر النجم البرازيلي نيمار دا سيلفا صاحب أغلى صفقة في تاريخ كرة القدم ، حيث دفع باريس سان جيرمان مبلغ ٢٢٢ مليون يورو للتوقيع معه في عام ٢٠١٧ قادماً من برشلونة ، بينما يحصل النجم الأرجنتيني ليونيل ميسي 33 مليون يورو كراتب سنوي من النادي الكتالوني. والصفقات التي تكلف مئات الملايين لم تعد قليلة فهنالك فيليب كوتينيو وأنطوان جريزمان وعثمان ديمبيلي وجاريث بيل وكريستيانو رونالدو وإدين هازارد ، بجانب لاعبين اقتربوا من هذا الرقم ، وكما تُظهر المؤشرات فلا مفر من الوصول إلى ٣٠٠ مليون يورو مقابل التوقيع مع لاعب معين في السنوات القليلة القادمة ، وقد نرى لاعباً يحصل على راتب سنوي يساوي ١٠٠ مليون يورو .. وبالتأكيد كل تلك المبالغ تضاهي اقتصاد بعض الدول في العالم الثالث. وهنالك تساؤولات كثيرة عن كيفية حصد الأندية أموالاً تكفيهم لدفع المبالغ الهائلة لإبرام تلك الصفقات ، لكن بالواقع فإن هنالك مصادر عديدة للأموال.

ووفقاً لمجلة "فوربس" المختصة بالأرقام المالية فإن نادي مانشستر يونايتد حصد أرباحاً بقيمة ٧٣٧ مليون دولار أمريكي في عام ٢٠١٨ ، ويتصدر القائمة حتى ذلك العام ، ويليه ريال مدريد بـ ٧٣٥ مليون دولار ، وبرشلونة بـ ٧٠٦ مليون دولار ، وتصنف هذه الأندية على أنها الأكثر إنفاقاً.

وهنالك عدة طرق مشهورة للأندية تحصد من خلالها الأموال ، ويتم جني تلك المبالغ عبر:

طرق حصول الأندية علي الأموال : (١) حقوق البث التلفزيوني –وهنالك عدد كبير من مشجعي كرة القدم الذين يشاهدون كرة القدم والبطولات الكبرى حول العالم عن طريق التلفاز ، وغالبيتهم يدفعون "اشتراكات" سنوية وشهرية من أجل ذلك ، وهذا زاد من حجم الاستثمار في هذا المجال ، ويعتبر البث التلفزيوني من أكثر المصادر التي تقوم بإدخال الأموال على اتحادات كرة القدم قبل توزيعها. وكانت رابطة أندية الدوري

الإنجليزي الممتاز قد كشفت مؤخراً عن الأرباح المالية لأندية إنجلترا من البث التلفزيوني ، حيث حصل ليفربول على ١٤٩ مليون يورو في الموسم الماضي ٢٠١٨-٢٠١٩ ، و١٤٨ مليون يورو لمانشستر سيتي. (٢) تذاكر المباريات -وتعتبر عملية بيع تذاكر المباريات بالنسبة للأندية التي تلعب المباريات على أرضها من أهم المصادر للدخل المالي لها ، حيث تحصد أموالاً طائلة من هذا الأمر أيضاً.

وبجانب الاشتراكات السنوية للمشجعين فإن قيمة التذاكر تتراوح قيمتها بين ٣٥-٧٠ يورو ، ومع ضرب هذا الرقم بعد مثل ٥٠-٧٠ ألف مشجع يتواجد في كل مباراة لكبار الأندية ، مع مشاهدتهم ٤٠-٥٠ مباراة في الموسم الواحد فإن المبالغ ستكون طائلة. وجنى برشلونة الإسباني مبلغ ١٤٤.٨ مليون يورو من بيع التذاكر في موسم ٢٠١٧-٢٠١٨ مثلاً كما كشفت صحيفة "موندو ديبورتيفو" في وقت سابق ، بينما بلغ سعر تذكرة نهائي دوري أبطال أوروبا من ٧٠-٦٠٠ يورو للتذكرة الواحدة حسب الفئة ، ولكل نادٍ من ليفربول وتوتنهام عدد معين من التذاكر. (٣) الجوائز النقدية-وبجانب الحصول على الأموال من خلال الجماهير فإن المشاركة في البطولات تضيف المزيد من الأموال للأندية ، حيث أن الوصول إلى نهائي دوري أبطال أوروبا يضخ على الأندية مبالغ من قبل الاتحادات المحلية والقارية والدولية.

وعلى سبيل المثال فإن الاتحاد الأوروبي لكرة القدم "يويفا" وزع مبلغ ٥٨٥ مليون يورو على الأندية التي شاركت في البطولة "ذات الأذنين" وفقاً للمرحلة التي تشارك بها. (٤) حقوق الرعاية-وتقوم شركات عالمية سواء المتخصصة بالرعاية أم لا بوضع إسمها على الملاعب والقمصان من أجل الوصول إلى عدد أكبر من الزبائن. وتستفيد الأندية الكبرى من هذه العقود ، سواء من رعاة القمصان ، أو الرعاة الأخرين.

ويحصل ريال مدريد على ١١٠ مليون جنيه إسترليني سنوياً من حقوق رعاية الملابس ، وبرشلونة على ١٠٠ مليون جنيه ، ومانشستر يونايتد على ١٧٥ مليون جنيه .. وإلخ.(٥) بيع اللاعبين-وتمول الأندية الأوروبية الأموال من أجل تعزيز صفوفها بلاعبين جدد من خلال صفقات بيع اللاعبين ، حيث تحاول الأندية تسديد جزءً من المال للاعبين الجدد من خلال الراحلين. وبالنظر إلى فترة الانتقالات الصيفية الحالية فإن ريال مدريد توقف عن إبرام صفقات جديدة حتى يبيع لاعبيه الغير مرغوب بهم من أجل التوقيع مع لاعبين جدد ، وكذلك الأمر بالنسبة لكل الأندية حول العالم. (٦) التجارة-وتسعى أندية كرة القدم للحصول على جزء بسيط من الأموال من خلال التجارة وذلك عن طريق معارضها الإلكترونية والمواقع الخاصة بها. ولدى أغلب أندية العالم متاجر إلكترونية تقوم من خلالها ببيع منتجاتها من الملابس والمستلزمات الرياضية.

وبعد أن استعرضنا طرق حصول أندية كرة القدم علي الأموال ، سنبحث علي الانترنت أيضًا عن فكرة أخري تخص كرة القدم وهي إشغال الناس وإلهاءهم ، فهل يتم استخدام كرة القدم في إشغال وإلهاء الناس ؟

وقد قادني البحث إلي خطبة منشورة عن هذا الموضوع جاء فيها ما يلي :

أما بعد: فإن من الأمور العجيبة والمحزنة حقاً في هذه الأيام؛ أنك لو توجهت إلى أحد شباب المسلمين بسؤال مباشر عن أحد لاعبي الكرة وماذا يعرف عنه؟؛ لانطلق هذا الشاب في إجابة سريعة وشاملة عن سيرة هذا اللاعب ومشواره الكروي وأهم أهدافه وأشهر مباراته، والفرق التي لعب فيها، وتاريخ حياته العائلي والأسري؛ كم مرة تزوج وكم عنده من الأولاد، وهكذا يعطيك وصفاً تفصيلاً عن حياة هذا اللاعب وهو في منتهي السعادة بما يعلمه من سيرة وأخبار وحياة هذا النجم الكروي الذي يري فيه القدوة والمثال الذي يحتذي به.

ثم إنك إذا سألته مباشرة عن سيرة أحد الصحابة الأطهار أو الأئمة الأخيار أو أحد القادة الأبطال أو عظماء الرجال؛ لتلعثم في الجواب ولحار ودار، وأدخل طلحة في الزبير، سعدا في سعيد، ومالك في الشافعي، صلاح الدين في قطز وهكذا، وذلك كله لغياب التربية الإسلامية الصحيحة التي تجعل الشباب تصمد أمام الغزو الثقافي الذي يشنه أعداء الأمة عليهم من حيث لا يدرون.

أيها المسلمون: أعداء الأمة أيقنوا ومنذ زمن الحروب الصليبية الأولى أن المسلمين لن يغلبوا في ميادين القتال المفتوحة، حيث القتال رجل لرجل؛ لأن المسلمين إذا تمسكوا بدينهم وشريعتهم وسنة نبيهم لن يستطيع أحد أن يصمد أمامهم كما قال أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-: كان لا يصمد لهم عدو في القتال فواق ناقة؛ أي قدر حلبها، وهكذا حال من سار على نهج النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة رضوان الله عليهم، لذلك فكر أعداء الأمة في أنواع آخري من الحروب على العالم الإسلامي، وهي الحروب والغارات التي تستهدف صرف المسلمين عن مصدر قوتهم وهو دينهم وعقيدتهم، ومن ثم فكر أعداء الأمة في نشر كل الوسائل والأمور التي من شأنها إلهاء المسلمين عن أصل قوتهم وسر صمودهم ومصدر عزتهم واستعلائهم أمام كل الفتن والحروب.

فكان الغزو الثقافي والفكري، الذي أخذ أعداء الأمة في التخطيط والتدبير له منذ أواسط القرن التاسع عشر ميلادي وأثناء الاحتلال الإنجليزي والفرنسي لبلاد الإسلام، وكان موجها في الأصل لمعدن الأمة وهم الشباب الذين كانت الحرب على أشدها من أجل احتلال عقولهم وتغيير أفكارهم وتوجهاتهم واهتماماتهم.

ومن ثم ظهرت وسائل الإلهاء والإغراء وتضيع الأوقات والقوات، وعلى رأس هذه الوسائل وأشهرها لعبة كرة القدم التي أصبحت الآن وبحق ملهاة الشعوب الأولي.

أحبتي في الله -أتباع محمد بن عبد الله-: لعبة الكرة رياضة قديمة كانت تمارس بطرق وحشية في الحضارات القديمة؛ فالصينيون كانوا يلعبونها والمهزوم يضرب السياط ويكوي بالنيران، والإنجليز -وهم أول من اخترع اللعبة بشكلها الحديث- كانوا يمارسون اللعبة منذ ألف سنة بطريقة في غاية الوحشية والبربرية؛ إذ كانوا يلعبون الكرة برؤوس خصومهم بعد الانتصار عليهم، وشهدت سنة ١٠١٦ أول مباراة كرة قدم بين الانجليز وبرأس جندي دانمركي مقتول في الحرب بين البلدين، ونظرا لخطورة هذه الرياضة أصدر ملك انجلترا هنري الثاني قرارا يحظر ممارستها ومعاقبة المخالف بالسجن وذلك سنة ١١٥٤ ميلادية، ثم عاد الملك إدوارد الأول ومنع لعب الكرة سنة ١٣١٤ بسبب انصراف الشعب الانجليزي عن تعلم فنون الرمي بالسهام للعب الكرة، وفي سنة ١٤٠١ أصدر هنري الرابع قرارا بحظر لعب الكرة بسبب خسارة انجلترا في الحرب أمام فرنسا وبلجيكا وقد عزا الهزيمة إلى لعب الكرة، ورغم أن الانجليز هم من اخترع اللعبة إلا أن ملوك انجلترا هم أكثر من عاداها وحاربها وحاول منعها بكل سبيل، لما فيها من الأضرار وضياع الأوقات والأموال والطاقات.

ولما رأي الصهاينة أثرها وسرعة انتشارها قرروا اعتمادها كبند من بنود السيطرة على العالم بأسره، فقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون الفقرة السابعة عشر "إننا سنغرق العالم في جنون المباريات الرياضية؛ حتى لا يصبح للأمم ولا للشعوب اشتغال بالأشياء العظيمة، بل ينزلون إلى مستويات هابطة، ويتعودون على الاهتمام بالأشياء الفارغة، وينسون الأهداف العظيمة في الحياة؛ وبذلك يتمكن اليهود من تدمير الجوييم

"والجوييم هم كل من غير اليهود، لذلك ما نراه اليوم من جنون وهوس عالمي وعربي وإسلامي بلعبة كرة القدم هو من ألاعيب اليهود الصهاينة الذين أقبلوا على شراء الأندية الكبرى والمؤسسات الراعية للعبة، ودعموا المسابقات العالمية واللقاءات الدولية من أجل الترويج لهذه اللعبة الخطيرة، ويكفي أن نعرف أيها المسلمون أن أول مرة تقام فيها مسابقة الدوري المصري كانت سنة ١٩٤٨ أي في نفس السنة التي قام فيها الكيان الصهيوني الغاصب على أرض فلسطين.

أيها المسلمون: إن الإسلام ليس دين رهبانية ولا دين دنيوية، بل جاء نورا وهداية للعالمين، وعندما أشرقت نوره على الأرض كان أهل الكتاب بين غلوين، غلو اليهود المادي الذي أضاع حق الروح والنفس، وغلو

النصارى الروحي الذي أضاع حق الدنيا والجسد، فجاء الإسلام دين الوسطية والجمع بين الدنيا والآخرة، والروح والجسد، وكما راعى الإسلام الواجبات وأمر بها، راعى الحقوق وأعطي كل ذي حق حقه، وعندما قال سلمان الفارسي لأبي الدرداء" :إن لربك عليك حقا ولنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه"، فأتى الصحابيُّ النبيَّ –صلى الله عليه وسلم– فذكر ذلك له، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم" :–صدق سلمان "رواه البخاري.

والإسلام لم يحرم الترويح عن النفس من عناء ومشاق الحياة ببعض الرياضة التي تستروح بها القلوب وتسعد بها النفوس وتجدد الطاقات وتنفع الأمة كلها، قال أهل العلم" :إن الرِّياضة مَصدر راضَ، يقال: راضَ المُهرُ يَروضُه رِياضًا ورياضةً فهو مَروض، أي ذَلَّلَه وأسلسَ قِيادَه، ورياضة البدن معالجتُه بألوان من الحركة لتهيئة أعضائه لأداء وظائفها بسهولة ."وقد قال المختصُّون" :إن هذه الرياضة توفِّر للجسم قوته، وتزيل عنه أمراضًا ومخلّفات ضارة بطريقة طبيعية هي أحسن الطُّرق في هذا المجال."

والإسلام لا يمنع تقوية الجسم بمثل هذه الرياضيات، فهو يريد أن يكون أبناؤه أقوياء في أجسامهم وفى عقولهم وأخلاقهم وأرواحهم؛ لأنه يمجِّد القوة، فهي وصف كمال لله تعالى ذي القوة المَتين، والحديث الشريف يقول: "المؤمِن القوي خير وأحبّ إلى الله من المؤمِن الضعيف" رواه مسلم.

والجسم القوي أقدرُ على أداء التكاليف الدينيّة والدنيويّة، وأن الإسلام لا يُشَرِّع ما فيه إضعاف الجسم إضعافًا يُعجزه عن أداء هذه التكاليف، بل إن الإسلام خفّف عنه بعض التشريعات إبقاءً على صحّة الجسم، فأجاز أداء الصلاة من قعود لمَن عجز عن القيام، وأباح الفِطر لغير القادر على الصّيام، ووضع الحجّ والجهاد وغيرهما عن غير المُستطيع، وقد قال النبي –صلى الله عليه وسلم– لعبد الله بن عمرو بن العاص وقد أرهق نفسَه بالعِبادة صيامًا وقيامًا: "صُمْ وأفْطِرْ وقُمْ ونَمْ، فإنّ لبدنِك عليك حَقًّا وإنّ لعينِك عليك حقًّا" رواه البخاري ومسلم.

وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم" :–اقطعوا الركب وثبوا على ظهور الخيل وثبًا "رواه البخاري، وكذا قوله –صلى الله عليه وسلم" :–كل شيء ليس من ذكر الله –عز وجل– فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال: مشي الرجل بين الغرضين وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليم السباحة "رواه الطبراني والبزار ورجال الطبراني رجال الصحيح. وقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم" :–رميًا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميًا "رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

وقال الإمام ابن القيّم –في كتابه "زاد المعاد" عند الكلام على الرياضة" :–أن الحركة هي عماد الرياضة وهي تخلِّص الجسم من رواسب وفضلات الطعام بشكل طبيعي، وتعوِّد البدن الخِفّة والنشاط وتجعله قابلا للغذاء وتُصلِّب المفاصل وتقوِّي الأوتار والرّباطات، وتؤمّن جميع الأمراض الماديّة وأكثر الأمراض المِزاجية، إذا استُعمل القَدْر المعتدِل منها في دقّة، وكان التدبير يأتي صوابًا"، وقال: "كل عضو له رياضة خاصّة يَقوَى بها. وأما ركوب الخيل ورمي النِّشاب والصراع والمسابقة على الأقدام فرياضة للبدن كله، وهي قالعة لأمراض مُزمنة."

ولكن وبمنتهي الصدق والأمانة هل لعبة الكرة الآن من جنس ما حث عليه الإسلام من الترويح والرياضة؟ هذا ما سنجيب عليه في الخطبة الثانية إن شاء الله، فأقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أيها المسلمون: لعبة الكرة اليوم وبفضل القوي الاستعمارية أو قل الاستخرابية وبدعم ودفع من الحركة الصهيونية –لم تعد مجرد رياضة فحسب، بل أصبحت بحق ملهاة الشعوب الأولي، وأداة من أعظم أدوات السيطرة والهيمنة وغسيل الأدمغة، والاستيلاء على العقول.

تقام من أجلها مئات المسابقات سنوياً، وفي كل بقاع العالم بأسرها، بحيث لم يبق بيت وإلا دخلته اللعبة أما ممارسة أو مشاهدة، وينفق عليها سنوياً مئات المليارات من الدولارات مما يوازي ميزانية قارات بأكملها وليس دول فحسب، وتضيع الطاقات وتهدر الأوقات وتبرز العصبيات مع كل مباراة أو مسابقة، ويكفى أن نعرف أن ميزانية مسابقة كأس العالم التي ستنطلق فعاليتها اليوم بجنوب أفريقيا قد بلغت ٣,٧ مليار دولار ومرشحة للزيادة، وهو ما ينفق على مسابقة واحدة فقط!!

وتدفع القنوات الفضائية في العالم العربي والإسلامي عشرات الملايين من الدولارات من أجل فقط نقل مباريات المسابقة العالمية التي خلبت العقول، وأعمت البصائر، فلم يبق صوت أعلى من صوت الكرة وكأس العالم.

إن ما نشهده من اهتمام العالم الإسلامي والعربي بكرة القدم؛ هو ما يعبر عنه المثل الشعبي القائل: "الدوي على الآذان أمرُّ من السحر". فالدعاية المكثفة لمباريات كأس العالم – باعتبار مسابقة كأس العالم من أبرز النماذج الإعلامية على ممارسة الاحتراف الرياضي – سيطرت على الناس، ووجهتهم إلى ما يخدم أهداف أعداء العالمين العربي والإسلامي، بحيث ينشغل الناس بالتفكير في مباريات كأس العالم، وينسون

مشاكلهم الحقيقية، ينسون مقدساتهم الأسيرة، وقضاياهم الكبرى، وأراضيهم المحتلة، ودمائهم المستباحة، وأعراضهم المنتهكة، والظلم والطغيان الذي عم البلاد والعباد.

إن تركيز العالم الإسلامي على متابعة مباريات كأس العالم بهذه الصورة الفظيعة التي تكاد أن تتوقف معها كل مظاهر الحياة –كمثال– يعدل تعاطي المسكرات المحرمة شرعًا، حيث إنها ألهت عقول الأمة، وغيّبتها وأعمت بصيرتها عما يُراد بها ويستهدفها.

والعقل من المقاصد الخمسة التي استهدفت الشريعة الإسلامية حفظها، فإضاعته حرام، وما يؤدي للحرام فهو حرام. ويكفي ما فيها من ضياع للوقت فيما لا فائدة منه، والمسلم محاسب عن عمره فيما أفناه. ويستدل على ذلك بحديث الرسول –صلى الله عليه وسلم" :–لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه؟ "رواه الطبراني في المعجم الكبير. وأخيراً: أوجه نداءي ورجاءي إلى شباب الأمة الذين هم عماد الأمة وأملها، ورجاء المستقبل وأساسه، أن الشباب كان أول من بادر بالإيمان والتصديق، وأول من بادر بالدفاع عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– وآمن به، وأول من بذل التضحيات وتحمل الصعاب وخاض البطولات من أجل إعزاز كلمة الدين ونشره بين العالمين.

أيها الشباب: أترضون أن تكونوا ممن رأى بعينه وعاصر بجسده كل هذه النكبات التي تتعرض لها الأمة وشاهد جراحها الغائرة في فلسطين والعراق والشيشان وأفغانستان، ثم أنتم بالكرة تنشغلون، وعلى متابعتها في النوادي والمقاهي والبيوت الأموال تنفقون؟! من أجلها تتصارعون وتتدابرون، وتتشاحنون وتختلفون، ولبعضكم البعض تشتمون وتسبون، ولأعماركم وأوقاتكم النفيسة والغالية تضيعون؟! ففي أي طريق أنتم تسيرون، ولربكم يوم القيامة ماذا ستقولون وعلى ما سجله عليه الملائكة من لهو ولغو وعبث كيف تردون؟! فاتقوا يوما أنتم فيه إلى ربكم ترجعون.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد؛ يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك،ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، وتقام فيه شعائر الدين إلى يوم الدين،آمين آمين آمين

وما سبق بالطبع كان كلام خطيب علي منبر في مسجد وتم نشره علي الانترنت وباستمرار بحثي علي الانترنت أيضًا عن منشورات أخري عن هذا الموضوع وجدت تحت عنوان (أفيون الشعوب الحقيقي) كتب فهد عامر الأحمدي علي موقع جريدة (الرياض) بتاريخ الثلاثاء١ شعبان ١٤٣١ هـ – ١٣ يوليو ٢٠١٠م – العدد ١٥٣٥٩ ما يلي :

بظهور هذا المقال تكون منافسات كأس العالم قد انتهت وانتهى معها شهر كامل من الهوس والغفلة اللذيذة.. "الهوس" لأنها الحالة الوحيدة التي تستولي فيها كرة القدم على عقول الأمم بمختلف لغاتها وثقافاتها .. و"الغفلة" لأنها الفترة الوحيدة التي تنسى فيها شعوب العالم مشاكلها الداخلية وتغض الطرف عن كافة المشاكل والمآسي العالمية.. وكرة القدم هي في الحقيقة من يستحق لقب "أفيون الشعوب" كونها فترة خدر لذيذة لطالما استغلها السياسيون والطغاة لصالحهم ؛ فحين استضافت إيطاليا كأس العالم عام ١٩٣٤ قال موسوليني " لم أتصور ان ولاء الايطاليين لهذه اللعبة يفوق ولاءهم لإيطاليا واحزابها الوطنية، سنفعل ما بوسعنا لاستضافة البطولة القادمة" "وبالفعل استضافت ايطاليا البطولة التالية عام ١٩٣٨! "

وبعد فوز انجلترا بكأس العالم ١٩٦٦ كتب وزير الاقتصاد روبرت كروسمان : "هذا النصر سيخفف الضغوط على الجنيه الاسترليني ويحد من عمليات المتاجرة ضده".. أما رئيس الوزراء هارولد ويلسون فحاول تجيير الفوز لصالح حزبه حين قال "لم تكن انجلترا ستفوز بكأس العالم لو بقيت في ظل حكومة العمال!! "

..وإلى اليوم لم يشهد العالم فريقاً بروعة منتخب البرازيل عام ١٩٧٠ حيث اجتمعت فيه كوكبة فريدة من النجوم من بينهم بيليه وريفالينو وبيبيلو وتوستاو... وحين فاز الفريق بالكأس بكى توستاو (وهو طبيب في الأصل) حتى أغمي عليه. وفي ذلك الوقت ظن الجميع انها دموع الفرح ؛ غير انه اعترف لاحقا بأنها دموع الندم لأنهم بذلك الفوز ألهوا الشعب البرازيلي وسمحوا للعسكر بتعزيز سلطتهم غير الشرعية "التي اغتصبوها للتو!" وحين استولى الجنرالات على الحكم في الارجنتين فعلوا المستحيل لضمان استضافة كأس العالم عام ١٩٧٨. ثم دفعوا من الرشاوى ماوضع الفريق الارجنتيني منذ البداية في مجموعة ضعيفة تبعدها عن مواجهة البرازيل. وفي الأدوار النهائية بدا مؤكدا ان البرازيل ستتأهل للمباراة الختامية بعد تغلبها على بولندا بنتيجة (٣/صفر) كون هذه النتيجة تعني أن على الأرجنتين التغلب على فريق بيرو القوي بفارق (أربعة لصفر) كي تتأهل للمباراة النهائية.. وفي موقعة تخاذل فيها منتخب البيرو فازت الارجنتين (٦/صفر) فأقصت بذلك البرازيل وفازت بالكأس على حساب هولندا.. وبعد فترة طويلة اتضح ان البنك المركزي الارجنتيني اشترى تلك المباراة من حكومة البيرو نظير شطب ٥٠٠ مليون دولار كديون مستحقة عليها / في حين وصلت للاعبين الأرجنتينيين تهديدات بالتصفية الجسدية في حال خسروا أمام هولندا!

وفي الحقيقة لم تكن هذه المرة الأولى التي تتدخل فيها حكومات العالم لتغيير نتائج المباريات . فقد سبق لحكومة السلفادور ان ضغطت على حكومة الهندوراس للسماح لها بالفوز بالبطولة القارية (بغرض إلهاء الشعب عن ضغوط التضخم الداخلية). غير أن هندوراس لم ترفض فقط هذا الطلب بل وفازت على

السلفادور مما أدى لنشوب معركة حقيقية غزت فيها جيوش السلفادور هندوراس "كحل بديل لإلهاء الشعب عن ذات الضغوط!! "وفي بطولة ١٩٥٠ وصلت البرازيل والأروجواي الى المباراة النهائية .. وفي الليلة السابقة للمباراة حضر من الاروجواي مسؤول حكومي كبير طلب الانفراد باللاعبين. وفي ذلك الاجتماع شكرهم على الجهد الذي بذلوه للوصول للمباراة النهائية لكنه حذرهم من ان الفوز على البرازيل سيعرض علاقات البلدين للخطر ويضر بمصالح الاروجواي الاقتصادية .. ولكن ؛ رغم هذا التحذير ورغم ان جميع النقاد رشحوا البرازيل انتفض لاعبو الاوروجواي لكرامتهم وفازوا على البرازيل في عقر دارها أمام ٢٠٤,٠٠٠ متفرج "كأعظم جمهور يحضر مباراة لكرة القدم حتى اليوم!!" أما المأساة التي أتذكرها شخصيا فهي استغلال إسرائيل انشغالنا وانشغال العالم ببطولة ١٩٨٢ لغزو لبنان وتدمير بيروت وارتكاب مجازر صبرا وشاتيلا .. وفي آخر مسابقتين استغلت حالة (الهوس) و(الغفوة) لاقتحام غزة وتدمير السلطة الفلسطينية ومنظمة حماس من خلال مخطط مسبق أجل لكأس العالم!! ...وبالمناسبة .. تكاد تكون اسرائيل الدولة الوحيدة في العالم التي لا تهتم بالمشاركة حتى في التصفيات الأولية..

ويمكن أن نكتفي بهذا القدر من البحث عن هذا الموضوع علي شبكة الانترنت ، فلا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

أنا والتليفزيون

كان من الممكن أيضًا أن يكون التليفزيون هو مؤنسي في المعاش ولكن للأسف لست من محبي مشاهدته بكثرة ، فالقراءة بالنسبة لي أفضل من المشاهدة ، والعديد من الناس حاليًا يفضل مشاهدة الرواية مثلاً في عمل سينيمائي أو تليفزيوني ولا يفضل قراءة الرواية الأصلية كما كتبها مؤلفها ويتركون للمنتج والمخرج وطاقم العمل حرية التخيل والتصوير ويعتمدون علي أداء الممثلين ، مع أنك لو قرأت رواية لن تجد أي حاجز بينك وبين عقل كاتبها ، فعقله يخاطب عقلك مباشرة دون وسيط مقيد بتكاليف إنتاج وديكور وبراعة أداء أبطال العمل من ممثلين ، لكن المهم أن العديد من الناس هذه الأيام تعودوا علي الكسل وعلي أن يجلسوا في مقاعد مريحة وأمامهم ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات ليشاهدوا ما يُقدم لهم بدون بذل أي مجهود في التخيل أو إعمال الفكر في القراءة ، فإذا قال الروائي مثلًا أن هناك قصر رائع وله حديقة جميلة يمكنك أن تتخيل القصر والحديقة ولن يصل المخرج ومنفذ الديكور أبدًا لمستوي خيالك مهما أنفقوا من أموال وكذلك إذا قال الروائي أن هناك فتاة فائقة الجمال فسوف يتخيل كل قارئ الفتاة التي يتمناها ولن يقوم المخرج بفرض فتاة معينة كبطلة للعمل ، فالقارئ هو المنتج والمخرج ومصمم الديكور

وتتجلي عظمة الوصف في القرآن الكريم ولله المثل الأعلي الذي قص أحسن القصص

فيحضرني هنا الوصف المذكور في كتاب الله سبحانه وتعالي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، عندما وصف سبحانه شجرة الزقوم فقال عز من قائل في سورة الصافات الآية ٦٥ (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) فكل من سيتدبر هذه الآية الكريمة سيتخيل مدي قبح المنظر ، ويقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية : وقوله (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) يقول تعالى ذكره: كأن طلع هذه الشجرة، يعني شجرة الزقوم في قُبحه وسماجته رءوس الشياطين في قبحها. وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله: " إِنَّهَا شَجَرَةٌ نَابِتَةٌ فِي أَصْلِ الجَحِيم.كما حدثنا بِشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) قال: شبهه بذلك.فإن قال قائل: وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين في القبح، ولا علم عندنا بمبلغ قبح رءوس الشياطين، وإنما يمثَّل الشيء بالشيء تعريفا من المُمَثِّل له قُرب اشتباه الممثَّل أحدهما بصاحبه مع معرفة المُمَثَّل له الشيئين كليهما، أو أحدهما، ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين، لم يكونوا عارفين شَجَرة الزقوم، ولا برءوس الشياطين، ولا كانوا رأوهما، ولا واحدا منهما؟. قيل له: أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى عرفوها ما هي وما صفتها، فقال لهم :(شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) فلم يتركهم في عَماء منها. وأما في تمثيله طلعها برءوس الشياطين، فأقول لكل منها وجه مفهوم: أحدها أن يكون مثل ذلك برءوس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال المخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم إذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء، قال: كأنه شيطان، فذلك أحد الأقوال. والثاني أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا، وهي حية لها عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر، وإياه عنى الراجز بقوله عَنْجَرِدٌ تَحْلِفُ حِينَ أَحْلِفُ كمِثْلِ شَيْطَانِ الحَماطِ أَعْرَفُ ويروى عُجَيِّزٌ. والثالث: أن يكون مثل نبت معروف برءوس الشياطين ذُكِر أنه قبيح الرأس

ومما سبق يتضح أن كل منا سيتخيل المنظر كأبشع ما يكون

وإذا عدنا مرة أخري للحديث عن ما يقدمه التليفزيون سنجد بخلاف الأعمال الفنية المواد الإخبارية وهي أخبار لا ترد الروح بل تؤدي إلي التوتر والاكتئاب ، فالمسيطرون علي العالم حاليًا ويملكون القوة قد قاموا بنشر الحروب والفتن والاضطرابات والفوضي فتجد الأخبار تبعث علي الحزن وخاصة أخبار المسلمين في العالم فهم بين لاجئ وقتيل وفقير وجائع وفي الغالب تولي أمرهم من لا يعرف قيمة ما هو فيه فلم يحكم بالعدل بين الناس فساءت أحوالهم ، وقد قال المؤرخ الكبير عبد الرحمن الجبرتي عن ولي الأمر العادل :

(ما قال العلماء بالله : من عدل بين العباد وتحذر عن الجور والفساد، حسبما ذكره رضى الصوفي في كتابه المسمى بقلادة الأرواح وسعادة الأفراح، عن أبي هريرة قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها .وفي حديث آخر :والذي نفس محمد بيده أنه ليرفع للملك العادل إلى السماء مثل عمل الرعية وكل صلاة يصليها تعدل سبعين ألف صلاة، وكأن الملك العادل قد عبد الله بعبادة كل عابد وقام له بشكر كل شاكر، فمن لم يعرف قدر هذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى واشتغل بظلمه وهواه يُخاف عليه بأن يجعله الله من جملة أعدائه، وتعرض إلى أشد العذاب، كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :أن أبغض الناس إلى الله تعالى وأشدهم عذابا يوم القيامة إمام جائر .فمن عدل في حكمه وكف عن ظلمه نصره الحق وأطاعه الخلق وصفت له النعمى وأقبلت عليه الدنيا، فتهنّأ بالعيش واستغنى عن الجيش، ومَلك القلوب وأمِن الحروب، وصارت طاعته فرضا وظلت رعيته جنداً لأن الله تعالى ما خلق شيئا أحلى مذاقا من العدل ولا أروح إلى القلوب من الإنصاف ولا أمر من الجور ولا أشنع من الظلم .فالواجب على الملك وعلى ولاة الأمور أن لا يقطع في باب العدل إلا بالكتاب والسنة، لأنه يتصرف في ملك الله وعباد الله بشريعة نبيه ورسوله نيابة عن تلك الحضرة ومستخلفا عن ذلك الجناب المقدس، ولا يأمن من سطوات ربه وقهره فيما يخالف أمره فينبغي أن يحترز عن الجور والمخالفة والظلم والجهل، فإنه أحوج الناس إلى معرفة العلم وإتباع الكتاب والسنة وحفظ قانون الشرع والعدالة، فإنه منتصب لمصالح العباد وإصلاح البلاد وملتزم بفصل خصوماتهم وقطع النزاع بينهم، وهو حامي الشريعة بالإسلام، فلا بد من معرفة أحكامها والعلم بحلالها وحرامها ليتوصل بذلك إلى إبراء ذمته وضبط مملكته وحفظ رعيته، فيجتمع له مصلحة دينه ودنياه وتمتلئ القلوب بمحبته والدعاء له، فيكون ذلك أقوم لعمود ملكه وأدوم لبقائه وأبلغ الأشياء في حفظ المملكة العدل والإنصاف على الرعية.

وقد تعلمنا من قراءة التاريخ أن هناك دائمًا دولة عظمي تفرض سيطرتها علي الجميع ، وأنت تستطيع أن تحكم علي كل فترة في تاريخ العالم من خلال القوي العظمي التي سيطرت علي العالم في تلك الفترة ، فإذا كانت المنطقة مشتعلة وتكثر فيها إراقة الدماء والهجاج من الأوطان والخراب والقتل ، فتأكد أن الذين يسيطرون علي العالم يظلمون باقي الشعوب دون وازع من ضمير أو دين ، وقد ثبت أن تراجع المسلمون عن صدارة المشهد بالعالم قد أدي إلي خسارة كبيرة للشعوب فقامت حربان عالميتان تم خلالهما قتل الملايين من الرجال واغتصاب الكثير من النساء وانتشار الخراب والظلم

ثم سيطر علي العالم المنتصرون في آخر حرب عالمية

فقد قرر المنتصرون في الحرب العالمية الثانية عقد مؤتمر موسع في سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية في أبريل سنة ١٩٤٥ لتأسيس هيئة الأمم المتحدة كبديل لعصبة الأمم ، واشترطوا علي أي دولة تريد أن تشترك في هذا المؤتمر أن تعلن الحرب رسمياً علي دول المحور قبل بداية مارس ١٩٤٥ ، فالقانون الدولي الذي كان موجود في ذلك الوقت قد وضعه المنتصرون في الحرب العالمية الأولي بعد أن رتبوا أوضاع العالم طبقاً لمصالحهم خلال مؤتمر الصلح في باريس ، فلابد من استبداله بقانون دولي جديد وإعادة ترتيب العالم طبقاً لمصالح المنتصرون في الحرب الثانية

فالأقوياء فقط هم الذين يضعون القانون وإذا خالفت مصالحهم فأنت تخالف القانون ويجب معاقبتك طبقاً للقانون ، فمخالفة الأقوياء جريمة كبري ، وقد طلبوا من الجميع إعلان الحرب علي دول المحور ، حتي الدول التي لا ناقة لها ولا جمل في هذه الحرب كما يُقال ، إنه مبدأ الأقوياء في كل عصر (من ليس معنا فهو ضدنا)

وأعداء الأقوياء بالضرورة يجب أن يكونوا أعداء للضعفاء ، وقد رتب الأقوياء العالم من جديد واخترعوا ما يسمي مجلس الأمن الدولي وحق الفيتو الذي هو أهم من قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة فحق الفيتو يمكنه تغيير تلك القرارات حتي لو كانت بالأغلبية ، فليس هناك أغلبية للضعفاء

ولقد قاموا بإطلاق اسم جديد علي الدول الضعيفة الفقيرة ، فقالوا عنهم (دول العالم الثالث)[٢] فهم يعتبرونهم يعيشون في عالم آخر مختلف عن عالمهم الأول ، فهم لا يريدون أن يعيشوا معهم في عالم واحد ، إنها العنصرية البغيضة ، ولابد أن يظل هناك عالم ثالث وإلا فلن يكون هناك عالم أول وعالم ثاني بطبيعة الحال

فلكي تعيش بعض الشعوب في رفاهية ورخاء لابد أن تعيش شعوب أخري في بؤس وفقر ، ولكي تنعم بالحرية لابد أن تعاني شعوب أخري من القمع والعبودية ، وهذه النقطة تحتاج إلي بعض التوضيح إذ ما الذي يمنع أن تعيش بعض الشعوب في رفاهية وحرية دون قهر وإذلال شعوب أخري

ولكن للأسف الشديد تقوم الدول الكبري باستنزاف ثروات الدول الضعيفة واستغلال إمكانياتها وقد أخذ هذا الاستغلال أشكال عديدة فكانت قديماً تقام إمبراطوريات ضخمة تسيطر علي العديد من الشعوب وتسومها سوء العذاب وتُسخّر طاقاتها لخدمة مصالحها ثم تطور هذا الاستغلال ليصبح ما يسمي بالاستعمار ثم

---

[٢] إذا تعرضت إحدي الدول الضعيفة الفقيرة لأي ظلم أو قهر فكل ما سيحدث من هيئة الأمم المتحدة أنها ستقول علي لسان سكرتيرها العام أنها تشعر بالقلق ، فالشعور بالقلق هو ما ستحصل عليه من المجتمع الدولي وسيلقون لها ببعض الفتات كي تجتجاز محنتها وتطعم أطفالها وعجائزها وقد يذهب سفراء النوايا الحسنة لالتقاط بعض الصور التي يطلقون عليها صور إنسانية

الامتيازات الأجنبية أما حالياً فقد أصبحت الدول الضعيفة سوق لمنتجات الدول الكبري ومعمل تجارب لأسلحتها وفئران تجارب لأدويتها ومدفن لنفاياتها النووية ومكان لإقامة المصانع الملوِثة للبيئة والتي لا تسمح الدول الكبري بإقامتها علي أراضيها وقد يصل الأمر إلي استغلال الفاسدين للإتجار بالأعضاء البشرية وغير ذلك من أساليب الاستغلال القذرة

ولكن كيف تسمح هذه الشعوب الفقيرة بكل هذا ؟ والإجابة ببساطة أن هذه الشعوب مغلوبة علي أمرها وتخضع لأنظمة حاكمة تسلبها إرادتها وتشغلها بمشاكل الحياة وأمور أخري وتحرص علي عدم الاهتمام بالتعليم وعلي عدم نشر الوعي بالإضافة إلي الإعلام الموجه الذي يُحذر الشعوب دائماً من المؤامرات الخارجية التي تستهدف الوطن

إذن لقد احتل الأقوياء العالم وسيطروا عليه ولكن بالقانون وبمجموعة مصطلحات جديدة ، ويمكنهم فرض العقوبات علي أي دولة تخالفهم بالقانون ، وتلك العقوبات قد تؤدي إلي انتشار المجاعات والأوبئة والدمار في أي مكان مارق وخارج عن إرادتهم

فتتحول شعوب كاملة إلي لاجئين وتتحول أحياء عامرة إلي أطلال

ومما سبق نجد أن المواد الإخبارية التي يتم عرضها في التليفزيون قد تصيب بالإحباط والاشمئزاز والسخط أما المواد الفنية فحدث ولا حرج

ورغم كل ما سبق من تحفظات علي مشاهدة التليفزيون فإن هناك ما يجذبني أحيانًا لمشاهدته وهو البرامج الوثائقية التي ليس لها علاقة بالدراما ، فتلك البرامج تجعلني أجوب العالم وأنا في مكاني فأتجول في الغابات وأشاهد البحار والمحيطات حتي في الأعماق وأتأمل خلق الله سبحانه وتعالي

وتلك البرامج متنوعة الموضوعات ، فمنها التاريخي ومنها ما ينقل لك ما يحدث في الصحاري والجبال والجليد والغابات والأدغال وما يحدث في البرية بين الحيوانات ومنها ما يغوص في أعماق البحار ومنها من ينقل لك عادات الشعوب المختلفة ومنشآت البشر وكيف يتم صناعة بعض الأشياء ، فهي بالنسبة لي سياحة دون انتقال من مكاني فحققت معني السرج السابح في بيت الشعر الشهير للمتنبي :

أَعَزُّ مَكانٍ في الدُنَى سَرجُ سابِحٍ وخَيرُ جَليسٍ في الزَمانِ كتــابُ

وبالبحث علي الانترنت كعادتي عن كل ما يهمني ، بحثت عن مشاهدة التلفاز فوجدت ما يلي :

(الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد:

فقد جرى على ألسنة كثير ممن يعتنون بالفتوى أن التلفاز جهاز ذو حدين: صالح للخير وصالح للشر. ولا شك أن هذا كلام صحيح – في الجملة – لو أن السائل واحد من اثنين:

(١) جهة تمتلك قناة بث وهي آخذة بزمام الأمور فيها، لا يبث فيها إلا ما تريد مما هو نافع.

(٢) شخص عنده جهاز تلفاز متحكم فيه لا يفتحه إلا هو أو من يثق به ، فإذا رأى النافع –وهو قليل– فتح عنه وإذا رأى غيره أغلق الجهاز.

هذان هما اللذان يعقل فيهما الإطلاق السابق (سلاح ذو حدين) ، ولا شك أن الأول منهما لم يطرح فيه سؤال قط – فيما نعلم – مما يعني أنه لا توجد قناة تقتصر على بث النافع دون غيره إلا قناة واحدة أو قناتين أحدثتا قريبا. وأما الثاني فإنه حالة نادرة إذا قورنت بغيرها مما عليه حال الناس اليوم ، وقد علم من منهج الشارع في التشريع أنه لا يلقى لها بالاً في الغالب الأعم ، إذا فيبقى السؤال المطروح واقعياً : ما هو حكم استعمال التلفاز على الحال الذي هو عليه عند أغلب الناس ، و جواباً على هذا السؤال نقول: إن في استعماله على الوضع المذكور جملة من المفاسد وقليلا من المصالح ومن هذه المفاسد:

(١) ضياع الأوقات والتفريط في كثير من الواجبات.

(٢) نقل ثقافات الأمم الكافرة على جهة التسليم والتبعية والتقليد.

(٣) نشر الخلاعة والإباحية وذلك من خلال الأفلام الماجنة والأغاني الهابطة والإعلانات التجارية التي تظهر المرأة عارية أو شبه عارية ، مما يكون سبباً في تعود الشخص على رؤية المنكرات وموت الغيرة في نفسه

(٤) زعزعة ثوابت الأمة ، وذلك من خلال الطعن في عقيدتها كنشر الأفلام التي تستهتزئ بالدين و حملته ، أو إخضاع الأحكام المستقرة المحسومة للنقاش وتداول الرأي فيها.

(٥) خلخلة الأمن في المجتمعات ، وذلك من خلال ما يبثه من مسلسلات بوليسية، أو أفلام تعلم فنون السرقة والقتل والاغتصاب.

(٦) إدمان النظر المفضي إلى فساد العقول ، والتأثير على صحة المشاهد ، خاصة على البصر ، وهذا يظهر على الأطفال والشباب أكثر من غيرهم.

ومن المصالح المرجوة : الاطلاع على الأخبار، والاستفادة من بعض البرامج النافعة، ومن مقررات قواعد الأصول : أن درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ومستند هذه القاعدة تحريم الخمر والميسر مع التصريح بأن فيهما منافع ، قال تعالى : (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع

للناس).البقرة : ٢١٩. وقوله صلى الله عليه وسلم : " فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم" . متفق عليه. فقد قيد الإتيان بالمأمور به بالاستطاعة ، وأطلق في اجتناب المنهي عنه ولم يقيد ، مع أن المرء غير مكلف باجتناب ما لا قدرة له على اجتنابه في الجملة ، فلم يبق للتقييد والإطلاق فائدة غير بيان أن جانب المنهيات أعظم من جانب المأمورات إذا تعارضا. وعلى هذا فالمترجح في جواب السؤال هو: التحريم، إلا فيما انضبط بالقيد المنصوص عليه أولاً. ومما ينبغي التنبه له أن هذا التحريم يخالف التحريم في الخمر والميسر لكون ما فيهما من المفاسد لا يمكن أن ينفك عمّا فيهما من المصالح بخلاف مسألتنا ، فالتحريم فيها منزل على حالة واقعة قابلة للتغير. ولذا فلو أن الله قيض لهذه الأمة من يراعي فيها عهد الله وذمته وينشئ لها قنوات نافعة تقتصر على بث ما أذن فيه دون غيره ، لتحول الحكم إلى الجواز أو الاستحباب إن لم يتحول إلى الوجوب بالنسبة لبعض الناس.وفي الأخير نهيب بولاة الأمور وأصحاب الأموال من المسلمين أن يولوا هذا الأمر ما يستحقه من عناية ، فقد بلغ السيل الزبى واتسع الخرق على الراقع. والله المستعان ولا حول ولا قوة إلاّ بالله. والعلم عند الله تعالى.)[٣]

ومما وجدته أيضًا في نتائج البحث في هذا الموضوع ما يلي :

إن مشاهدة الأفلام لا تخلو من المحاذير الشرعية الكثيرة ، تتجلى بتكشف العورات وسماع الموسيقى ونشر المعتقدات الفاسدة والدعوة إلى مشابهة الكفار ولقد أمرنا الله بغض الأبصار قال تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن النور : ٣١ ولما كان غض البصر أصلا لحفظ الفرج بدأ بذكره وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته وفي صحيح مسلم ١٢١٨ أن الفضل بن عباس رضي الله عنهما كان رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر من مزدلفة إلى منى فمرت ظعن يجرين فطفق ينظر إليهن فحول رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه إلى الشق الآخر " وهذا منع وإنكار بالفعل فلو كان النظر جائزاً لأقره عليه. وفي صحيح البخاري ٦٣٤٣ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " إن الله عز وجل كتب على ابن آدم حظه من الزنى أدرك ذلك لا محالة فالعين تزني وزناها النظر واللسان يزني وزناها النطق والرجل تزني وزناها الخطى واليد تزني وزناها البطش والقلب يهوى ويتمنى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"

[٣] https://www.islamweb.net/ar/fatwa/1886/%D8%AD%D9%83%D9%85-%D8%A7%D9%82%D8%AA%D9%86%D8%A7%D8%A1-%D9%88%D9%85%D8%B4%D8%A7%D9%87%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%84%D9%81%D8%A7%D8%B2

فبدأ بزنى العين لأنه الأصل زنى اليد والرجل والقلب والفرج ونبه بزنى اللسان بالكلام على زنى الفم بالقيل وجعل الفرج مصدقاً لذلك إن حقق الفعل أو مكذباً له إن لم يحققه ، وهذا الحديث من أبين الأشياء على أن العين تعصي بالنظر وأن ذلك زناها ففيه رد على من أباح النظر مطلقاً ، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " يا علي لا تتبع النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية "" والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية فإن لم تقتله جرحته وهي بمنزلة الشرارة من النار في الحشيش اليابس فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه " ورحم الله من قال

كل الحوادث مبدأها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغير موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحبا بسرور عاد بالضرر.

لذا قال الشيخ ابن باز رحمه الله في الفتاوى٣/٢٢٧ في مثل هذه : وأما التلفاز فهو آلة خطيرة وأضرارها عظيمة كالسينما أو أشد وقد علمنا من الرسائل المؤلفة في شأنه ومن كلام العارفين به في بلاد العربية وغيرها ما يدل على خطورته وكثرة أضراره بالعقيدة والأخلاق وأحوال المجتمع ذلك لما ثبت فيه من تمثيل الأخلاق السافلة والمرائي الفاتنة والصور الخليعة وشبه العارية والخطب الهدّامة والمقالات الكفرية والترغيب في مشابهة الكفار في أخلاقهم وأزيائهم وتعظيم كبرائهم وزعمائهم والزهد في أخلاق المسلمين وأزيائهم والاحتقار لعلماء المسلمين وأبطال الإسلام وتمثيلهم بالصور المنفّرة والمقتضية لاحتقارهم والإعراض عن سيرتهم وبيان طرق المكر والاحتيال والسلب والنهب والسرقة وحياكة المؤامرات والعدوان على الناس ، لا شك أن ما كان بهذه المثابة وترتبت عليه هذه المفاسد يجب منعه والحذر منه وسد الأبواب المفضية إليه فإذا أنكره الإخوان المتطوعون وحذروا منه فلا لوم عليهم في ذلك لأن ذلك من النصح لله ولعبادة. ومن ظن أن هذه الآلة تسلم من هذه الشرور ولا يبث فيها إلا الصالح العام إذا روقبت فقد أبعد النجعة وغلط غلطاً كبيراً لأن الرقيب يغفل ولأن الغالب على الناس اليوم هو التقليد للخارج والتأسي بما يفعل فيه ولأنه قل أن توجد رقابة تؤدي ما أسند إليها ولا سيما في هذا العصر الذي مال فيه أكثر الناس إلى اللهو والباطل وإلى ما يصد عن الهدى ، والواقع شاهد بذلك. نسأل الله أن يحفظنا من كل سوء إنه جواد كريم

وما سبق كان بعض من نتائج البحث عن موضوع مشاهدة التليفزيون وأعتقد أن فيها الكفاية ولا داعي لأن نبحث وأن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

نشر ما هو منشور

أحيانًا أسأل نفسي : ما جدوي إعادة نشر ما هو منشور بالفعل علي مواقع الانترنت ؟ وهذا السؤال يتردد بيني وبين نفسي كلما قمت بإعداد كتاب للنشر وجمعت محتوياته من مواقع النت المختلفة مع ذكر المصدر للقارئ ، وغالبًا أحاول أن أُقنع نفسي بأن هذا لن يسبب أي ضرر للموقع الذي نقلت عنه الموضوع طالما أنني ذكرت اسم الموقع بل ونقلت رابط الموقع ، وبالعكس قد يكون ذلك دعاية له وحث علي زيارته وهو ما يريده أي موقع فيما أعتقد ، وإذا كان هذا مفيد للموقع المنقول عنه فما الفائدة العائدة علي القارئ نفسه ؟

قد تكون هناك شريحة من القراء يفضلون قراءة المعلومة في كتاب وليس عن طريق تصفح النت ، كما أنني قد وفرت وقت وكلفة التصفح وجمعت بعض معلومات عن موضوع معين في كتاب واحد يسهل تحميله مرة واحدة والاحتفاظ به ، ولتوضيح ما أقصده يمكنني أن أذكر مثال لأحد الكتب التي قمت بإعدادها بهذا الأسلوب وفوجئت بعد نشره بحجم تحميلات مناسب بل إن هناك كتب وجدت معها مراجعات وتعليقات جعلتني أشعر براحة نفسية وسعادة فهي بمثابة تغذية عكسية (feed back) تدفعني إلي الاستمرار في الكتابة ، وكنت قد نشرت كتاب بعد تجميع موضوعاته وصوره وأعددت له اسم وغلاف وكان عن شارع المعز لدين الله الفاطمي ويحمل نفس الاسم وكتبت في مقدمته ما يلي : (شارع المعز لدين الله --هذا الكتاب يحتوي علي صور ومعلومات عن آثار شارع المعز لدين الله الفاطمي تم تجميعها من عدة مواقع من شبكة الانترنت ليسهل حفظها واسترجاع ما تحتويه من معلومات مبسطة ويعتبر هذا الشارع أكبر متحف مفتوح للآثار الإسلامية في العالم)

وقد استعنت كثيرًا بمعلومات من النت بالإضافة للمراجع والكتب المتوفرة عندي في إعداد معظم كتبي التاريخية المنشورة علي النت بل والمطبوعة أيضًا ، فهناك بعض الأحداث التاريخية التي أبحث عن معلومات وفيرة عنها ومن مصادر متعددة

وقد أحببت القراءة منذ الصغر وكانت أمي الحبيبة حفظها الله هي السبب غفر الله لها ولأبي وأحسن إليهما ، فكانت تشجعني علي الاشتراك في الإذاعة المدرسية وهو أمر يتطلب كثرة القراءة والإطلاع لاختيار فقرات مناسبة للإذاعة ، ولم يكن هناك نوع أو لون معين من الكتب أفضله ولكن بمرور الوقت أصبحت أحب

كتب الأدب فقرأت لكبار الأدباء الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات والشعر ، واستهواني الشعر جدًا ، حتي أنني حاولت كتابة بعض القصائد ولم تكن موزونة بالطبع ، وعندما عرفت موضوع بحور الشعر والوزن والخليل بن أحمد الفراهيدي ، قررت أن أتعلمه فاقتنيت كتاب عن العروض ، وأخذت الموضوع علي محمل الجد واخترت بحر من بحور الشعر يناسبني وهو البحر الوافر ، وبحور الشعر وافرها جميلُ

بُحُورُ الشعْرِ وافِرُها جَمِيلُ – – – مُفَاعَلَتُنْ مُفَاعَلَتُنْ فَعُولُنْ

وكتبت قصيدة بعنوان (أغنية للشعر) وكان مطلعها كالآتي :

أيا شعرٌ أناديكَ فهيا --- كفاني أنك الباقي لديّا

تواسيني فأسمع فيك صوتًا --- يفيقُ حلاوةَ الآمالِ فيّا

وأسكبُ في خليجك من كلامي --- فيصبح رائقًا عذبًا نقيّا

علي الأنغام تنساب المعاني --- ومن يتذوق الكلم الشهيّا

يموت الهمُ ما إن فاض شعري --- وكيف يظلُ بعد الشعرِ حيّا

وإذا اعتبرنا مجازًا أن ما سبق كلام موزون ومقفي وله معني ، فهو ليس شعر في تعريفي البعض ، فكم من كلام موزون ومقفي وله معني ولا توجد به شاعرية كقول القائل

اللَّيْلُ لَيْلٌ وَالنَّهَارُ نَهَارُ = وَالبَغْلُ بَغْلٌ وَالحِمَارُ حِمَارُ

وَالدِّيكُ دِيكٌ وَالدَّجَاجَةُ زَوْجهُ = وكِلاهُمَا طَيرٌ لَهُ مِنقَارُ

أو كقول قائل آخر :

البحر بحر والنخيل نخيل --والفيل فيل والزراف طويل

والأرض أرض والسماء خلافها--والطير فيما بين بين يجول

وإذا تعاصفت الرياح بروضة--فالأرض تثبت والغصون تميل

فهناك من لا يعتبر كل هذا شعرًا ، رغم أنه كلام موزون ومقفي وله معني ، وقد حاولت بعد ذلك كتابة قصيدة بها بعض الشاعرية وكان مطلعها :

وأبحثُ في حطام النفس عني --- أري في القلب أطلال التمني

وحبي لا أراه سوي سرابٌ --- وعقلي شاردٌ قد ضاع مني

وهناك محاولات أخري ولكن كل ذلك لم يعجبني فاكتفيت بقراءة وتذوق الشعر ، ولكني لاحظت أن هناك أبيات معينة تعجبني أثناء القراءة فتظل عالقة في ذهني دون أن أحاول حفظها ، وهكذا استمر اقتنائي

للكتب ودواوين الشعر أو استعارتها ، وأحببت الرويات والقصص القصيرة جدًا ، إلي أن تصادف إطلاعي علي أحد الروايات التاريخية لأحد كبار الأدباء فتحولت ميولي وتغيرت البوصلة الخاصة بي إلي قراءة التاريخ ، فأصبحت منكبًا علي كتب التاريخ ومن عشاقه

وكلما تعمقت فيه كلما شعرت بجهلي به ولم أمل منه أبدًا بل كان تسليتي ووسيلتي للهروب من الواقع ، وأصبحت أكتب أي موقف تاريخي يعجبني ، فسجلت العديد من المواقف والأحداث التاريخية المثيرة والشيقة ، ثم جاءت علاقتي بمنصة التواصل الاجتماعي فيس بوك

وكشأن أي شخص علي الفيس بوك ممن ينشرون مواقف أعجبتهم أو راقت لهم فهو ينشر معلومة جديدة بالنسبة له وقد تصل بالنسبة له إلي حد المفاجأة فيعتقد أن الجميع مثله لا يعرفها فيقوم بنشرها بفخر وإعجاب ، في حين أنها قد تكون معلومة قديمة ومشهورة بالنسبة لغيره ، علي أي حال لقد عشت في هذا الجو وقمت بنشر معلومات ومواقف تاريخية علي حسابي الشخصي علي الفيس بوك ، وكنت حريص علي كتابة المصدر بجوار أو تحت كل معلومة ، كأسم المرجع والمؤلف ودار وعام النشر ورقم الصفحة ، وقمت باستخدام برنامج الـ(power point) بتصميم صورة مناسبة للموضوع كما أضع صورة غلاف الكتاب والمؤلف أحيانًا ، وكنت أحيانًا أيضًا لا أكتفي بالمعلومة التي بالمرجع فأبحث عن المزيد عنها علي الانترنت ، ثم قمت بإنشاء صفحة علي الفيس بوك خلاف حسابي الشخصي كي تصل المعلومات التاريخية لأكبر عدد ممكن ولغير الأصدقاء سميتها (من عجائب تاريخ مصر) وكلما زادت الإعجابات والتعليقات والتفاعل ، شجعني ذلك علي زيادة القراءة والنشر والبحث علي الانترنت لإثراء الصفحة

وإليك طريقة من أفضل الطرق للبحث عن معلومة معينة علي شبكة الانترنت ، وقد نقلتها أيضًا عن طريق البحث علي الانترنت ، حيث وجدت المقال التالي :

(كيف تتعلم البحث بطريقة فعّالة عبر محركات البحث المختلفة الموجودة على الإنترنت؟ موقع جوجل نموذجًا – كتب معاذ يوسف بتاريخ ٩ مايو ٢٠١٧ مقال عن هذا الموضوع علي موقع[٤] أراجيك كالآتي :

إتمام عملية البحث عبر المحركات المختلفة الموجودة على الإنترنت شيء يحتاج إلى مهارة كبيرة، فكم من أشخاصٍ يقضون وقتهم بحثًا عن معلومة معينة لا يمكنهم الحصول عليها، على عكس آخرين يمكنهم إتمام عملية البحث بسهولة شديدة؛ لأنّ الأمر يعتمد على مهارة الشخص الثاني، وأيضًا قدرته على فهم

[٤] https://www.arageek.com/tech/search-online-actively

كيفية التعامل مع محركات البحث بالشكل الصحيح. في هذا المقال، سوف نتحدث عن أبسط الأشياء التي يمكنها أن تساعدك في التعامل مع محركات البحث.

الخطوة الأولى: لا تبحث بالجملة كاملة

قديمًا كنت أحتاج إلى عمل بحث من أجل معرفة مخرج عمل سينمائي معين، وجدتني أكتب في محرك جوجل للبحث "من هو مخرج فيلم كذا الذي تم تأليفه عام ١٩ وتم عرضه في العام التالي؟".**

ماذا تعتقد كانت النتيجة؟ للأسف لم يقدم لي موقع جوجل أي إجابة عما أريده، وظلت النتائج التي تُقدم على الموقع تظهر، دون أي نتيجة مفيدة بالنسبة لي، حتى أنّني ظننت بأنّه لا يوجد عمل بهذا الاسم، أو حتى مع وجوده فإنّه عمل بلا مخرج.

وعرفت بعد ذلك أن ما حدث كان سببه أنّني قمت بالبحث اعتمادًا على كتابة الجملة كاملة، وهو شيء خاطئ؛ لأنّ محرك البحث يقدم لي نتائج عن كل كلمة بمفردها لا عن الجملة كاملة.

لكن ماذا إن أردت في أحد المرات أن تقوم بعمل بحث على جملة كاملة، مثلًا كرغبتك في معرفة صاحب اقتباس معين.

في هذه الحالة يمكنك أن تقوم بكتابة الجملة، وتضعها بين قوسي التنصيص ""، وقتها سيقدم لك جوجل كل النتائج التي تريدها.

الخطوة الثانية: اختر كلمة أو عبارة مفتاحية مُرَكزة!

إذًا نعود مرة أخرى إلى رغبتي في معرفة مخرج العمل السينمائي، لاحقًا عرفت الطريقة المثالية لذلك، وهي أن أقوم بكتابة اسم العمل في خانة البحث، لأجد نتائج متعددة تبدأ في الظهور لي، تقدم الإجابة عن سؤالي.

ما فعلته هنا هو أنّني قمت بتخفيض عدد كلمات البحث إلى كلمتين فقط، وهو ما يمكننا أن نعتبره عمل البحث باستخدام الكلمات المفتاحية.

يمكننا أن نحدد تعريف الكلمة المفتاحية هنا، على أنّها مجموعة الكلمات الأكثر أهمية في الموضوع الذي أبحث عنه، وبالتالي فإنّ البحث باستخدام هذه الكلمات من المتوقع أن يأتي بثماره.

لذلك دائمًا اختر كلمات مفتاحية معينة، تتكون مثلًا من كلمتين إلى أربع كلمات، طبقًا للموضوع الذي تقوم بالبحث فيه.

الخطوة الثالثة: استخدم كلمات تتوافق مع مواقع الإنترنت

الأمر لا يتعلق فقط بأن تقوم بعمل بحث باستخدام كلمات قليلة؛ لأنّه حتى مع فعلك لهذا الأمر، قد لا تحقق النتائج التي ترغب بها، وتتساءل عن السبب في داخلك.

حسنًا، الأمر يعتمد أيضًا عى استخدامك لكلمات تتوافق مع مواقع الإنترنت، فكما يوضح لنا موقع جوجل أنّ البحث باستخدام كلمتي "رأسي يؤلمني" يخرج لنا نتائج أقل في الدقة من استخدام كلمة "صداع" والتي تضمن لنا أفضل النتائج.

لأنّ المواقع الإلكترونية الطبية تستخدم لفظ "الصداع" في مواضيعها، وبالتالي احتمالية التطابق بين بحثك وبين النتائج المرغوبة أكبر.

ينطبق هذا الأمر على كل أنواع المواضيع التي تبحث فيها، بحيث تجمع هنا بين مبدأ الكلمة المفتاحية، وأن تكون هي الكلمة المتوافقة مع مواقع الإنترنت بالفعل.

الخطوة الرابعة: حدّد نوع الملف الذي تريده

في حالة كنت تبحث عن ملف معين، فإنّ كتابتك ذلك في خانة البحث يسهل لك الوصول إلى الملف، في حالة وجوده على مواقع الإنترنت.

وهذا لا يعني أنّك لن تصل إلى الملف الذي تريده إن لم تكتب نوعه، فمن المحتمل أن يخرج لك ما تريد ضمن النتائج، لكن عندما تكتب نوع الملف، فإنّ البحث يركز فقط على النتائج التي تتضمن وجود لنوع الملف الذي تبحث عنه، مما يعني احتمالية وجود نتائج أكثر وبدقة عالية.

كل ما عليك فعله هو كتابة (filetype:) وبعد النقطتين تقوم بوضع اختصار الملف الذي يتكون من ثلاثة أحرف، مثل: PDF.

الخطوة الخامسة: البحث عبر مواقع معينة

مثلما تحدثنا في الخطوة الماضية، يمكنك كذلك أن تقوم بعمل بحث عبر مواقع معينة، لا سيما عند احتياجك لعمل بحث في موضوع محدد تعرف أنّ أفضل النتائج موجودة على موقع بعينه. أو معرفتك بأنّ هناك موقع موثوق منه ويمكنك الاعتماد عليه كمصدر للبحث، بعكس مواقع أخرى كثيرة على الإنترنت لا يمكن الوثوق بها.

كل ما عليك فعله هو كتابة (site:) ثم بعد ذلك اسم الموقع الذي تريد البحث من خلاله، لتظهر لك كل النتائج الموجودة على هذا الموقع المرتبطة بما تبحث عنه.

كيف تحقق أفضل استفادة من البحث؟

كل ما ذكرته في الخطوات الماضية في المقال، هي تلك الأشياء البسيطة التي نحتاج إليها جميعنا للقيام بالبحث على الإنترنت، لا سيما مع قيامنا بعمليات البحث بشكل يومي تقريبًا.

لكن ماذا بعد الحصول على النتائج؟ ماذا نفعل بها؟ هنا أحب أن أشير إلى بعض السلوكيات والمهارات الحياتية الأخرى، والتي تساعدنا على تحقيق أفضل استفادة من البحث.

الملاحظة: يجب أن تكون قادرًا على ملاحظة النتائج التي تحصل عليها، بحيث تتمكن من تحديد ما يفيدك فعلًا أو لا، وتقوم بعمل تصفية للنتائج.

التحليل: بناءً على التصفية، فإنّه عليك أن تحلل النتائج التي حصلت عليها، لتحدد جوانب الاستفادة بالضبط، ولا مانع بالطبع أن تجمع بين المصادر المختلفة.

التسجيل: بعد عملية الملاحظة والتحليل، عليك أن تملك القدرة على تسجيل الناتج النهائي الذي حصلت عليه، بحيث يمكنك الاستفادة منه طوال الوقت، لا في هذه المرة فقط.

الصبر: البحث يحتاج إلى صبر كبير جدًا، حتى يمكنك أن تحصل على ما تريد، فإن لم تكن صبورًا، سوف ترضى بأول نتيجة تجدها، وهو ما قد يضيّع عليك الوصول إلى نتائج أفضل.

مع هذه الخطوات المذكورة في المقال، ومحاولتك اكتساب المهارات الحياتية التي ذكرناها في النهاية، يمكنك أن تضمن لنفسك القيام بالبحث بطريقة فعّالة، ودون أي مشكلة، وكل ما عليك فعله الآن هو أن تبدأ في التجربة. – انتهي المقال ولنعود إلي موضوع الصفحة

فقد حدثتك كيف جاءت فكرة الصفحة وقد استمرت صفحة من عجائب تاريخ مصر ، وزاد عدد متابعيها وجدير بالذكر أنني حرصت أن يكون أول منشور بالصفحة هو جانب من مقدمة كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار للمؤرخ الكبير عبد الرحمن الجبرتي حيث جاء فيه ما يلي :

(يقول الجبرتي الذي توفي في القاهرة عام1825 م : الحمد لله القديم الأول الذي لا يزول ملكه ولا يتحول ، خالق الخلائق وعالم الذرات بالحقائق ، مفني الأمم ومحيي الرمم ، ومعيد النعم ومبيد النقم وكاشف الغمم ، وصاحب الجود والكرم ، – وبعد ، فيقول الفقير عبد الرحمن بن حسن الجبرتي الحنفي غفر الله له ولوالديه ، وأحسن إليهما وإليه : إني كنت سودت أوراقاً في حوادث أخر القرن الثاني عشر وما يليه من أوائل الثالث عشر الذي نحن فيه جمعت فيها بعض الوقائع إجمالية ، وأخري محققة تفصيلية ، وغالبها محن أدركناها وأمور شاهدناها واستطرت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ومن أفواه الشيخة تلقيتها ، وبعض تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمراء المعتبرين ، وذكر لمع من أخبارهم ، وأحوالهم

وبعض تواريخ مواليدهم ووفياتهم ، فأحببت جمع شملها ، وتقييد شواردها في أوراق متسقة النظام مرتبة علي السنين والأعوام ، ليسهل علي الطالب النبيه المراجعة ، ويستفيد ما يرومه من المنفعة ، ويعتبر المطلع علي الخطوب الماضية ، فيتأسي إذا لحقه مصاب ، ويتذكر بحوادث الدهر إنما يتذكر أولو الألباب ، فأنها حوادث غريبة في بابها ، متنوعة في عجائبها ، وأسميته عجائب الآثار في التراجم والأخبار

وأنا لنرجوا ممن أطلع عليه ، وحل بمحل القبول لديه ، أن لا ينسانا من صالح دعواته ، ، وأن يغضي عما عثر عليه من هفواته – ولما كان علم التاريخ علماً شريفاً فيه العظة والاعتبار ، وبه يقيس العاقل نفسه علي من مضي في هذه الدار ، – – ولم تزل الأمم الماضية من حين أوجد الله هذا النوع الإنساني تعتني بتدوينه سلفاً عن سلف ، وخلفاً من بعد خلف ، إلي أن نبذه أهل عصرنا وأغفلوه وتركوه وأهملوه وعدوه من شغل البطالين وقالوا أساطير الأولين ، ولعمري إنهم لمعذورون وبالأهم مشتغلون ولا يرضون لأقلامهم المتعبة في مثل هذه المنقبة ، فإن الزمان قد انعكست أحواله ، وتقلصت ظلاله ، وانخرمت قواعده في الحساب فلا تضبط وقائعه في دفتر ولا كتاب ، وأشغال الوقت في غير فائدة ضياع ، وما مضي وفات ليس له استرجاع ، إلا أن يكون – مثلي – منزوياً في زوايا الخمول والإهمال ، منجمعاً عما شغلوا به من الأشغال ، فيشغل نفسه في أوقات من خلواته ، ويسلي وحدته[٥] بعد سيئات الدهر وحسناته ، وفن التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة لولاه ما ثبتت أصولها ، ولا تشعبت فروعها ، – وأما الكتب المصنفة فيه فكثيرة جداً – – فمن الكتب المصنفة فيه تاريخ ابن كثير في عدة مجلدات ، وهو القائل شعراً :

تمـــــر بـــنا الأيام تـــــتري وإنما – – – – نساق إلي الآجال والعين تنظر

فلا عائد صفو الشباب الذي مضي – – – – ولا زائل هذا المشـيب المكـدر

ومما ورد أيضاً في هذه المقدمة الرائعة :

إذا عرف الإنسان أخبار من مضي – – – توهمته قد عاش من أول الدهر

وتحسبه قد عاش آخر دهره إلي الحشر – – – إن أبقي الجميل من الذكر[٦])

وحرصت أيضًا علي توضيح أهمية قراءة التاريخ فنشرت عدة منشورات بالصفحة كالآتي :

المنشور الثاني بالصفحة (هل الانسان حيوان ذو تاريخ ؟

يجيب عن هذا السؤال الكاتب الصحفي الكبير أحمد بهاء الدين ١٩٢٧-١٩٩٦

---

[٥] ربما يفهم البعض من كلام الجبرتي ما قصده توفيق الحكيم مع الاحتفاظ بالألقاب أنه يتواجد داخل برج عاجي يحرسه تنين الوحدة

[٦] عجائب الآثار في التراجم والأخبار (عبد الرحمن الجبرتي) ج ١ صفحة ٤

في مقدمة كتابه أيام لها تاريخ –الصادر عن دار الشروق – الطبعة الثالثة – صفحة ٥ وما بعدها فكتب ما يلي :

أيها القارئ : هل عرفت أحدث تعريف للإنسان ؟

لقد قيل مرة : أنه حيوان ناطق ، ثم تبين أن الببغاء تنطق ،

وقيل أنه حيوان ضاحك ، ثم تبين أن القرود تضحك،

وقيل : إنه حيوان عاقل ، ثم تبين أن كل الحيوانات تعقل ، وإن كان العقل درجات

وحار العلماء طويلاً : فالإنسان كائن حي ، يأكل ويشرب وينام ويعقل كغيره من الحيوانات ، ولكن المؤكد أن هناك شيئاً ما يميزه عن الحيوان ، شيئاً ارتقي به حتي أصبح هذا السيد الذي يحكم الحيوان والجماد ويقهر الطبيعة ،،

وأخيراً اهتدي العلماء إلي التعريف الدقيق : الإنسان حيوان ذو تاريخ

ما معني ذلك : معناه أن الميزة الأولي التي تميز الإنسان عن غيره من المخلوقات هي أن كل جيل من البشر يعرف تجارب الجيل الذي سبقه ويستفيد منها ،

وأنه بهذه الميزة وحدها يتطور ، وعلي العكس من ذلك الحيوان ، فالأسد أو القط أو الكلب الذي كان يعيش في الأرض منذ ألف سنة لا يمكن أن يختلف عن سلالته التي نراها اليوم ، في الصفات والطباع ونوع الحياة ،

أنت تستطيع اليوم أن تصطاد الفأر الذي تجده في بيتك بنفس الطريقة التي كان يتم اصطياده بها منذ زمن قديم ، مصيدة وقطعة جبن ، ولو كان في بيتك عشرة فيران لاستطعت أن تصيدها واحداً بعد الآخر ، يوماً بعد يوم بنفس المصيدة وقطعة الجبن ، ذلك أن الفيران ليس لها تاريخ ، ولا تستفيد من تجربة ،

هي لا تعرف أن في اليوم السابق دخل الفأر ليأكل الجبن فأغلقت عليه المصيدة ، وهي قد تعرف ولكنها لا تدرك المغزي ، فلا تتحاشي أبداً قطعة الجبن ،

وعلي العكس من ذلك الإنسان ، إنه يعرف ما أصاب أسلافه بالأمس ، ومنذ مائة سنة ، ومنذ آلاف السنين ، ، فهو قادر علي أن يتجنب زلاتهم ، ويستفيد من تجاربهم ، ويضيف إلي اكتشافاتهم ، وكل جيل لا يبدأ من جديد ، ولكن يضيف إلي ما سبق ، وهذا هو التقدم ،

علي أن الإنسان لا يولد وعبرة التاريخ في جوفه ، ولكنه يتعلم ، فهو لا يستطيع أن يعرف التاريخ إلا إذا قرأ ،

إن كان رجل قانون قرأ ما سبق إليه فقهاء القانون ، وإن كان رجل كيمياء تعلم ما وصل إليه المكتشفون السابقون ، ومن حيث انتهوا يستطيع أن يبدأ ، ،

وإن كان مواطناً فإنه يتعلم تاريخ وطنه كله ، ويدرك مغزاه ، وسر تطوره ، واتجاه خطواته ،

وليس يكفي أن تعرف حوادث التاريخ لكي تحسب أنك قد تعلمت التاريخ ، فالأهم أن نستخلص من هذه الحوادث عبرتها : علي أي شئ تدل ؟ وفي أي طريق يمضي التاريخ ؟

فإن ذلك يجعلك تعلم ما سوف يحدث وما لا يمكن أن يعود فيجنبك أن تكون رجعياً ويحميك من السير وراء دعوات براقة فات وقتها ، والتاريخ هو الفرق بين الإنسان الواعي ، وغير الواعي ، الإنسان غير الواعي لا يري إلا قطعة الجبن ، ، ولكن الإنسان الواعي يري قطعة الجبن ، ، ويري المصيدة ، أحمد بهاء الدين)

المنشور التالي بالصفحة (لماذا نقرأ التاريخ – (– – العلم بتاريخ الأمم السابقة والتعرف علي آثارها لكي يؤتي ثماره لابد أن يقرن بالعبرة والعظة التي تدفع الدارس والمشاهد والباحث إلي تدبر أحوال نفسه وأسرته ومجتمعه ، فلا يدعهم يقترفون ما اقترف غيرهم من الآثام ، والإعراض عن منهج الله وعبادة ما لم يأذن به الله ، فيهلكهم الله بعذاب أليم كما أهلك من قبلهم ، أما ما يفعله كثير من الدارسين من الاكتفاء بالوقوف علي الأطلال ودراستها دراسة وصفية جافة لا روح فيها كقولهم : إنهم كانوا يستعملون من أدوات الطبخ كذا وكذا وطريقتهم في الأفراح كيت وكيت ، وإنهم كانوا يحرثون بالمحراث الذي نحرث به . . . وحرص الاهتمام بالمظاهر الشكلية من قياس الطول والعرض والحجم والمادة المستعملة إلي غير ذلك

إن هذه الدراسة "الأكاديمية" الجافة لا توقظ في القلب شعوراً ولا تنفخ فيه حياة ، ولا تنير البصائر للتأمل وتتفكر وتستفيد وتتعرف علي سنن الله وآياته في الأنفس والآفاق – – فالله يطلب منا أن يكون سيرنا في الأرض وبحثنا عن الآثار ودراستها بغرض إيقاظ القلوب والبصائر وبعث الحياة فيها --- وهذا التأمل في آثار السابقين ينتج عنه اتعاظ يتحول إلي سلوك ونهج عملي في واقع الحياة ملتزم بأمر الله ونهيه

وقد جعل الله ذلك هداية للمستبصرين فقال : {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ } (٢٦) سورة السجدة – –)[٧]

"مقتطفات مختصرة" نقلاً عن كتاب (صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي) تأليف د علي الصلابي ج١ صفحة ٦٦-٦٧)

[٧] صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي – د علي الصلابي ج١ صفحة ٦٦-٦٧ "مقتطفات مختصرة"

وبمرور الوقت اكتشفت أن الصفحة أصبحت تتضمن تاريخ مصر بالكامل تقريبًا خاصةً إذا تم ترتيب موضوعاتها طبقًا لتاريخ كل موضوع فقمت بتحويلها إلي كتاب يحمل نفس الاسم وكتبت في مقدمته ما يلي: (لمن يريد التعرف علي تاريخ مصر بالكامل بشكل عام ، موضوعات كتاب من عجائب تاريخ مصر تحقق لك ذلك ، فهي فقرات منتقاة بعناية من كتب ممتعة لكبار الكتاب عشاق مصر من مؤرخين وأدباء ورحالة وشعراء ومبدعين ، مرتبة طبقاً لترتيبها الزمني ، زهرة من كل بستان في حب مصر ، وهي في مجموعها تشمل تاريخ مصر بالكامل تقريباً ، تم نشرها من قبل علي صفحة تواصل اجتماعي فيس بوك)

ثم قمت بإنشاء صفحة أخري سميتها (قرأت لك فقرات من كتب ممتعة) نشرت فيها موضوعات تاريخية وغير تاريخية كالشعر وما إلي ذلك دون التقيد بالكتابة في التاريخ فقط ، ثم قمت بتحويلها أيضًا إلي كتاب حيث كتبت في مقدمته ما يلي : (قرأت لك فقرات من كتب ممتعة – فقرات تم اختيارها من كتب ممتعة موزعة علي ثلاثة فصول – الفصل الأول يتضمن موضوعات من كتب التاريخ والمذكرات – والفصل الثاني مختارات من روائع الشعر العربي –والفصل الثالث مختارات من روائع الحكم والأمثال –وقد تم نشرها من قبل علي صفحة من صفحات التواصل الاجتماعي تحمل نفس الاسم –"قرأت لك فقرات من كتب ممتعة" وقد استمتعت كثيراً بهذه الكتب وأرجو أن تشاركني متعة القراءة)

وقد قمت بنشر الكتاب علي الانترنت ثم حدث أن قرأت ما كتبه د حسين مؤنس في كتابه الممتع التاريخ والمؤرخون عن ضرورة قيام كل عصر بكتابة التاريخ حيث كتب ما يلي : يقول كثير من العلماء أن كل عصر ينبغي أن يكتب التاريخ من وجهة نظره ، لأن تقدير كل عصر لما هو مهم وذو معني بالنسبة له يختلف عن تقدير العصر الآخر ، وكل عصر كذلك يحاول أن يري الماضي من خلال اهتماماته والأفكار السائدة فيه ومن هنا قال كثيرون من المؤرخين إن التاريخ حوار بين الحاضر والماضي ، وهذا في ذاته يكشف لنا عن جانب من جوانب المتعة في الدراسة التاريخية ، فإن التاريخ بطبعه –كدراسة للإنسان وأعماله– تتأثر صورته التي يراها المؤلف تأثراً واضحاً بالأحوال المادية والمعنوية في الوسط الذي كتبت فيه ، وليس في هذا عيب أو مأخذ علي التاريخ فكل العلوم الإجتماعية تخضع لهذا التأثر ، وصورة المتنبي كما يرسمها مؤرخ أدب في القرن الثامن عشر مثلاً تختلف عن صورته كما يرسمها مؤرخ أدب اليوم ، وكذلك الحال مع الدولة الأموية مثلاً فإن تصوير الجاحظ لها يختلف تماماً عن تصويرنا نحن لها ، – – – ومن الواضح أن اهتمامات المؤرخين في عصر ما تختلف عن اهتماماتهم في عصر آخر – – – وهذا يؤكد لنا الحقيقة التي مازال الكثيرون يجادلون فيها ، وهي أن الماضي لا يُدرس لذاته ، بل للحاضر

والمستقبل ، وإن كتابة التاريخ إنما هي صورة من الحوار الذي لن يتوقف بين عصرنا والعصور التي سبقته ومن المؤكد –علي أي حال– أن المؤرخ مهما بلغ تجرده لا يستطيع التخلص من روح عصره ، وفي بعض الأحيان نشعر أن المؤرخ يبحث عن حاضره في الماضي الذي يدرسه ، – – وبديهي أن أي مؤرخ ذكي يتحري دائماً أن يكتب ما يكتب من التاريخ علي صورة تنفع معاصريه ، أو تكون ذات قيمة ونفع علي الأقل ، ومن هنا كانت كتابة سير عظماء الرجال موضوعاً مطلوباً دائماً لأن النفس الإنسانية تميل دائماً إلي معرفة تفاصيل حياة أولئك الرجال ، ولهذا فكتب التراجم كتب ذات معني للحاضر ، والهدف الرئيسي من الحوار التاريخي أو من النظر إلي التاريخ كحوار بين عصرنا والعصور الماضية هو أن نري أين أخطأوا لكيلا نقع فيما وقعوا فيه ، – – – ومن هنا يجوز لنا أن نقول إن الماضي كما يراه جيلنا يختلف عن نفس الماضي كما رآه الجيل السابق علينا وكما سيراه الجيل الذي سيأتي بعدنا ، ومن هنا يصدق القول بأن للأمة الواحدة أكثر من تاريخ ، ولابد –لهذا– لكل عصر أن يكتب التاريخ من وجهة نظره[٨] ، وكما أننا نتعجب من السخافات التي ملأ بها ابن اياس (بدائع زهوره) فإن الأجيال القادمة دون شك ستتعجب من نظرتنا لماضينا ، بل أغلب الظن أن عجبها سيكون أشد من نظرتنا إلي حاضرنا ، وهذا الكلام لا يقلل من قيمة (بدائع الزهور) كمرجع أساسي من مراجع تاريخ مصر والإسلام ، فإن الكتاب عظيم القيمة ، ولكن ابن إياس –تمشياً منه مع روح عصره– أورد أحياناً تفاصيل تبدو لنا اليوم وكأنها غير ذات قيمة ، ولو أن الواقع هو أن كل شئ ورد في الكتب القديمة له معناه وقيمته بالنسبة لنا أو لغيرنا ، وما يبدو قليل القيمة في نظرنا قد يكون عظيم القيمة في نظر آخر ، أو في نظر عصر آخر ، والمسألة نسبية

ومعرفة الماضي ليست هدف المؤرخ ولكن هدفه معرفة كيف صار الحاضر إلي ما هو عليه ؟

يقول أحد علماء التاريخ (– – – إن معرفة الماضي ليست –ولا يمكن أن تكون– هدف المؤرخ إنما هدفه –وهو هدف كل مخلوق يفكر– هو معرفة الحاضر ، إلي هذه الغاية ينبغي أن ينتهي كل تفكير ، وحول هذه الغاية ينبغي أن يدور كل شئ ، ولكن المؤرخ لا يشغله إلا مظهر واحد من الحاضر ، وهو : كيف صار إلي ما هو عليه ؟ وعلي هذا الاعتبار يكون الماضي مظهراً للحاضر ووظيفة من وظائفه وعلي هذه الصورة ينبغي أن يظهر التاريخ في نظر المؤرخ الذي يفكر بذكاء في عمله أو يحاول أن يصل إلي فلسفة التاريخ ،، وقد كان الكثيرون ممن ينقدون التاريخ ومنهجه يقولون : إن عمل المؤرخ يعتمد علي "المقص

[٨] كل هذا ليس له علاقة بالحقائق التاريخية والأحداث فهي لا تتغير ولكن النظر إليها فقط يتغير وتفسيرها كذلك يتغير ، فوجهات النظر تتغير ولكنها لا تحذف حدث تاريخي قد وقع أو تضيف حدث لم يقع ولكنها تتناول الأحداث التاريخية برؤية مختلفة طبقاً لروح كل عصر

وزجاجة الصمغ scissors and paste" أي أنه يقطع صفحات مما قاله الأولون ويلصقها بعضها إلي جانب بعض ويعمل منها تاريخاً وهذا يصدق –ربما– علي الكثيرين من مؤرخي العصور الوسطي وقد أنكر كولنجوود ذلك إنكاراً شديداً وقال : "إن المؤرخ الحق ليس عبداً لمراجعه " ، وقال : "إن المقص والصمغ لم يكونا قط أساس المنهج التاريخي " فإن المؤرخ الحق لا يتقيد بمراجعه إلي الحد الذي يجعلها قيداً له ، بل إن للمؤرخ الحق في أن يُقوِّم مراجعه نفسها إذا تبين له فيها الخطأ أو الكذب –)٩

وكل ما سبق شجعني لدخول ما أسميه سباق التتابع التاريخي فأعيد كتابة تاريخ مصر بروح العصر الحالي مستفيدًا مما كتبه الأولون فكتبت كتاب سميته موجز تاريخ مصر من العصر الفرعوني إلي العصر الجمهوري وهو منشور حاليًا علي الانترنت ويقع في ٦٤٦ صفحة وهو أقل عدد من الصفحات أمكنني كتابتها لأن كل عصر من عصور تاريخ مصر يحتاج إلي العديد من المجلدات

وقد أوضحت للقارئ في مقدمة الكتاب ما أقصده بسباق التتابع التاريخي وكيف اشتركت فيه ولماذا وقمت بتصميم غلاف مناسب له ثم كتبت في مقدمة الكتاب ما يلي : كان كل مؤرخ يقرأ ما كتبه المؤرخون من قبله ويعيد كتابته بأسلوب يتناسب مع روح عصره ثم يستكمل ويبني علي ما سبق كشاهد عيان لما يدور حوله ، فمثلاً عندما كتب المقريزي كتابه الشهير المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار قام أولاً بالاستفادة ممن سبقوه وجمع المعلومات التاريخية عن مصر ثم بدأ يصف ما رآه في عصره ، وكذلك فعل ابن تغري بردي وابن اياس الحنفي والجبرتي وغيرهم ولذلك نجد في كتاب كل منهم شهادة عن مجريات الأمور في عصر كل منهم وهي أدق معلومة في كتاب كل منهم ، بمعني أنه ينقل ما سبق ثم يكتب لمن سيأتي بعده وكأنه سباق تتابع متتالي حيث يستلم كل مؤرخ ممن سبقه "كتاب تاريخ مصر" ثم يضيف ما يخص عصره ثم يسلمه لمن بعده وهكذا في حلقات متتابعة ، فما رأيك عزيزي القارئ أن أفعل كما فعلوا واستكمل الحلقة التي تخص هذا العصر الذي أعيش فيه الآن ولكن هناك بالنسبة لي عدة معوقات ومشاكل والمشكلة الأولي هي أنني مجرد هاوي ومحب لقراءة التاريخ أما المشكلة الكبري التي تواجهني ، هي أن التاريخ تتضح معالمه مع مرور الوقت وتصبح أكثر دقة وتنجلي أمور كثيرة لم تكن مفهومة ، وخاصة عندما تُنشر حقائق ووثائق جديدة أو أن يكتب أحدهم مذكراته مثلاً أو يموت كل من له مصالح خاصة بحدث ما ، وبالتالي لن يضر أحد كشف هذا الحدث ، ولذلك يمكن القول باختصار شديد ومجازاً مع بعض التحفظات أن الحدث التاريخي كلما كان قديماً كلما كان دقيقاً وأقرب إلي الحقيقة ، أما كلما كان حديثاً فيحتاج إلي

---

[٩] نقلاً عن كتاب –التاريخ والمؤرخون دراسة في علم التاريخ- ماهيته وموضوعاته ومذاهبه ومدارسه عند أهل الغرب وأعلام كل مدرسة وبحث في فلسفة التاريخ ومدخل إلي فقه التاريخ-د حسين مؤنس –دار الرشاد-الطبعة الثانية ٢٠٠١–صفحة ١٨٣-١٨٤

تدقيق أكثر وقد يشوبه بعض الغموض ، ولكن علي أي حال سأكتب كشاهد عيان كما كتب الجبرتي مثلاً ، فقد كتب العديد من الأحداث دون أن يدري الدوافع التي تحركها أو قد كان يعتقد دوافع أخري واتضح بعد ذلك خلاف بعض ما كتب ، ولكن مشكلتي حالياً أكبر وأعمق وأعقد من المشاكل التي واجهت المقريزي وابن تغري بردي وابن اياس الحنفي والجبرتي وغيرهم من عمالقة التأريخ في مصر الذين لا أدعي أنني أقاربهم في مستواهم بل لا أجرؤ حتي علي أن انتسب إليهم كمؤرخين ، فبالرغم من أنه تبدو الأمور حالياً ميسرة في الحصول علي المعلومات أكثر من أيامهم ، ولكن المصادر مختلفة ومتباينة ومتشبعة بالأغراض والنوايا التي قد تكون حسنة أو سيئة ، وبالتالي أعتقد أن مهمتي لن تكون سهلة ، فظروف كل عصر تختلف عن باقي العصور ، كما أن هناك فرق كبير جدا بين المثقف ومعايير ثقافته في العصور القديمة وبين المثقف ومعايير الثقافة الآن

وبشكل عام يتم الاعتماد علي وصف المؤرخ للظواهر الموجودة في المجتمع الذي عاش فيه وعاصره أكثر من أي شئ آخر كتبه فأنت مثلاً عندما تقرأ لأحد المؤرخين القدماء ستستمتع بقراءة وصفه للمجتمع أكثر من سرده للأحداث التاريخية نفسها وأعتقد أنني إذا كتبت عن أي ظاهرة موجودة كشاهد عيان للمجتمع ستكون هذه محاولة لإضافة حلقة لكتب التاريخ المصري حتي إذا كانت الأحداث التي أذكرها غير مؤكدة بحكم تعدد وتضارب المصادر ، مع العلم أنني سأكتب الأحداث إن شاء الله متحرياً الدقة إلي أبعد الحدود ولكن سيكون تركيزي علي وصف المجتمع أكثر من تركيزي علي سرد الأحداث ، فالأحداث سوف تُكتشف في يوم من الأيام وبطريقة أو بأخري ولكن قد يكون وصف ظاهرة موجودة في المجتمع مفسراً للعديد من الأحداث فطبيعة المجتمع هي التي تسوقه إلي التصرف في كل حدث طبقاً لرؤيته وفكره ومبادئه ، وقد يدمر المجتمع نفسه بنفسه عند التعرض لظروف معينة ، وقد لا تؤثر نفس هذه الظروف علي مجتمع آخر

وأعتقد أن احتمال أن يقرأ أحد هذا الكلام احتمال ضعيف جدا وليس هناك مبرر لأن أبرر ما أقوم به أثناء تناولي للتاريخ أو أن اضطر لتوضيح رؤيتي له ، فأنت حر عزيزي القارئ في أن تقرأ أو أن تنصرف عن القراءة هذا بفرض أنك لازلت تقرأ حتي الآن ، فالعديد من الناس يفضلون مشاهدة فيديو للحدث أو الخبر مثلاً بالصوت والصورة ويطلب منك رابط علي شبكة المعلومات الإنترنت كي يصدق هذا الحدث أو الخبر ، وعلي فكرة هذه إحدي ظواهر المجتمع الذي أعيش فيه والتي سوف أذكرها إن شاء الله ، وهذا علي سبيل المثال ، ولا يهم معظم الناس قراءة الموضوع بل يهمهم مشاهدته ، بل حتي لا يمل من المشاهدة لابد أن

تذكر له التوقيت المحدد الذي ستبدو عنده اللحظة المقصودة بالفيديو ، وبالتالي أنا مطمئن تماماً أن ما أكتبه الآن لن يقرأه أحد أو علي الأقل لن يكمل قراءته ، وبالتالي سأكتب لأنني سأكون أكثر حرية

وكل مؤرخ قد كتب حلقة في هذا التاريخ تمثل العصر الذي عاش فيه كما ذكرت ، ولكن يبقي الفصل الأخير في كل كتاب كتبه هؤلاء هو الأفضل ، لأنه الفصل الذي عاشه كل منهم كشاهد عيان ، فما سبقه من فصول مجرد نقل عن المؤرخين السابقين ، أما الفصول الأخيرة من كل كتاب تاريخ فهي فترة عاشها المؤرخ وشاهدها وتفاعل معها ، وبالرغم من صدق المشاعر فإن معلومات المؤرخ عن الفترة التي عاش فيها بالذات أقل دقة مما سبق كما ذكرت لأن المعلومات التاريخية في تقديري تزداد دقة مع القدم ويصعب الوثوق بها كلما كانت حديثة ، ولكن يبقي أهم ما يكتبه كل مؤرخ هو وصفه للمجتمع الذي عاش فيه بصدق وتجرد ، فقد نعرف الأحداث من مصادر عديدة مع مرور الزمن ولكن وصف المجتمع وظواهره يبقي أثمن ما تركه المؤرخ من تراث)[١٠]

وقبل أن أبدأ سرد تاريخ مصر طبقاً لما ورد في المراجع والكتب يجب أن تعرف أولاً أن المصريين لم يحكموا مصر لمدة حوالي ٢٢٩٤ سنة تقريباً فقد يعرف الكثيرون أن المصريين قد استعادوا حكم مصر بعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢م وبالتحديد بعد حوالي سنة كاملة من قيام الثورة حيث تم إنهاء حكم أسرة محمد علي وإعلان الجمهورية سنة ١٩٥٣ م ولكن قد لا يعرف البعض متي كانت آخر مرة حكم فيها المصريون مصر قبل هذا التاريخ ، ويمكن اعتبار أن الملك نقطانب الثاني (نختنبو الثاني) هو آخر حاكم مصري حكم مصر ، وهو آخر ملك من ملوك الأسرة الثلاثين الفرعونية التي تعتبر آخر أسرة فرعونية في التاريخ المصري ، وقد انتهي حكم هذا الفرعون الأخير علي يد الفرس حوالي سنة ٣٤١ قبل الميلاد ، وليس معني هذا أن العصر الفرعوني نفسه كان خالياً من الحكام الغير مصريين فقد حكم مصر خلال العصر الفرعوني علي فترات متباعدة الهكسوس والليبيون والنوبيون والآشوريون والفرس سواء بالاحتلال المباشر أو بالهجرات السلمية الكثيفة ولكن كان المصريون يحررون مصر ويعودون للحكم في كل مرة خلال العصر الفرعوني . ، ولكن الذي طرد الفرس عندما أعادوا احتلال مصر لم يكن المصريون هذه المرة ، بل طردهم الإسكندر المقدوني الشهير حوالي سنة ٣٣٢ ق م وتلاه في حكم مصر أسرة البطالمة ثم تبع البطالمة الاحتلال الروماني لمصر سنة ٣٠ قبل الميلاد ثم تعرضت مصر لغزو فارسي في أواخر حكم الرومان سنة ٦١٨ م ثم استعادها الرومان مرة أخري سنة ٦٢٧م ، إلي أن تم فتح مصر سنة ٦٤٠م أثناء الاحتلال

---

[١٠] نقلاً عن كتاب –دردشة تاريخية-ملخص تاريخ مصر بالكامل -محمد عرموش-مقتطفات من الفصل الأخير

الروماني لها ، وكان فتح مصر في عهد دولة الراشدين ثم تلتها الدولة الأموية فالعباسية ثم تأسست في مصر الدولة الطولونية سنة ٨٦٨م ثم الإخشيدية سنة ٩٣٥م ثم حكم مصر الفاطميون سنة ٩٦٩م وتلاهم الأيوبيون سنة ١١٧١م ، ثم دولة المماليك البحرية سنة ١٢٥٠م ثم المماليك البرجية سنة ١٣٨٢م ، ثم الحكم العثماني لمصر سنة ١٥١٧م ثم جاءت الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م لمدة ثلاث سنوات ، ثم حكم مصر محمد علي باشا وأسرته من سنة ١٨٠٥م وقد قامت بريطانيا باحتلال مصر خلال عصر أسرة محمد علي حوالي سبعين سنة من سنة ١٨٨٢م ، ثم انتهي حكم أسرة محمد علي بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وبالتالي لم يجلس علي عرش مصر حاكم مصري منذ عهد نقطانب الثاني إلا بعد قيام ثورة يوليو ، أي منذ سنة ٣٤١ قبل الميلاد إلي سنة ١٩٥٣ م وبالتالي تكون المدة بالكامل ٢٢٩٤ سنة كاملة

ولنبدأ معاً في استعراض تاريخ مصر بالكامل بإيجاز ولكن دعنا نتفق أن قراءة كتب التاريخ قد تكون مملة للبعض ولذلك سأحاول تخفيف الملل بقدر الإمكان عن طريق سرد الأحداث علي شكل حوار بين شخصين أحدهما يسأل والآخر يجيب مستخدماً ما تيسر له من كتب ومراجع تاريخية وبذلك يمكن تشجيع القارئ علي الاستمرار في القراءة ، كما أرجو أن يلتمس لي القارئ العذر عن أي خطأ قد يجده في الكتاب ويفترض فيه حسن النية ، والله من وراء القصد وهو المستعان

انتهت مقدمة الكتاب ، ولقد أسعدني جدًا حجم التحميلات لهذا الكتاب بل والمراجعات التي تم كتابتها ، وشعرت بالفعل أنني اشتركت في سباق التتابع التاريخي ، ولهذا الكتاب بالنسبة لي فائدة كبيرة فهو تجميع لمعلومات عن العديد من العصور التاريخية فإذا أردت البحث في أحد العصور وإعداد كتاب عنه يمكنني الانطلاق مما هو مكتوب عنه في هذا الكتاب ثم تحميل أو شراء ما أحتاج إليه من مراجع ، تساعدني في بحثي ، فالتاريخ ملك للجميع كما قال من قبل أحد كبار المؤرخين ، وأنا أعتبر نفسي باحث تاريخي حر ، ولكن هل يصح أن يكون الباحث حر أم لابد من وجود إشراف ، علي أي حال لا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

الكتابة هل هي مهنة حاليًا؟

كنت أعتقد أن الكتابة ستوفر لي عمل بعد خروجي إلي المعاش فيصبح عملي هو كاتب ، ولكن ذلك لم يحدث كما ظننت ، فلأنني أتأثر كثيرًا بآراء من حولي فلم أعتبر نفسي أعمل في الكتابة مهما جلست بالساعات لأقرأ أو لأكتب ، فلم يشعرني أحد أنني أعمل ، فالكتابة في أحسن تقدير هي مجرد شغل لوقت الفراغ لبس أكثر ، والعمل بالنسبة للبعض هو دفتر حضور وانصراف ، وعليك أن تغادر منزلك كل يوم في

الصباح وتعود آخر النهار لكي يعترف من حولك أنك تعمل ، والبعض الآخر يعتبر أن العمل هو وسيلة لجني الأموال حتي إذا لم تغادر منزلك ، والكتابة بالنسبة لي لا تدر أموال بل العكس لأنني أضطر أحيانًا لإنفاق المال كي أساعد في نشر أحد كتبي ، وإذا تأملنا سبب الكتابة للبعض فسنجد أن هناك من يكتب من أجل المال وهناك من يكتب من أجل الشهرة ومن يكتب من أجل أن يرسل رسالة لأكبر عدد من القراء وهناك من يكتب ليستمتع بوقت الكتابة وهناك من يكتب من أجل كل ما سبق ، وربما لا يحقق الربح حاليًا إلا من يكتب في موضوعات معينة أو أنه نال من الشهرة ما يجعل الناس تتطلع إلي اقتناء كتبه

وقد تكون الكتابة مهنة مهمة في بعض البلاد وليست كذلك في بلاد أخري حسب الثقافة السائدة ، بل قد تكون مهمة في بعض العصور وليست كذلك في عصور أخري

ففي العصر الفرعوني مثلًا كانت مهنة الكتابة من أفضل المهن فعن هذا الموضوع كتب د مصطفي النشار أستاذ الفلسفة القديمة بكتابه الممتع الخطاب السياسي في مصر القديمة ما ملخصه :

(، ، الحكيم آني يخاطب ابنه قائلاً : فلتكن أمنيتك أن تصبح كاتباً ، فالكتاب أعطي رزق تسعي إليه ، وأعظم هبة يهبها الإله لمن يسعي إليه ، الكتاب أعظم قيمة من مسكن الحياة حيث تشرق الشمس وأبقي خلوداً من مقبرة حيث تغرب الشمس ، إنه أجمل وأمتع من قصر في البستان أو لوحة دعاء في هيكل معبد الآلهة ، إن حياة الكاتب ومهنة الكتابة كانتا تمثلان أملاً وقدوة ينبغي أن تحتذي ، وقد حاول كُتّاب مصر وحكماؤها إقناع ذويهم بذلك قدر الطاقة وبمقدار ما استطاعوا من بلاغة في الخطاب

وها هو الملك الأهناسي المسن يأمر ابنه بفتح ملف البرديات الذي يحتوي علي نصائح الوزير والمفكر المصري العظيم بتاح حوتب وقد مر عليها آنئذ حوالي أربعمائة سنة قائلاً له : كن ممن يحسنون صناعة الكلام لتكون قوي البأس لأن قوة الإنسان هي اللسان ، والكلام أعظم بأساً من كل حرب

ولا شك أن ذلك الملك المسن كان ممن يؤمنون بآراء بتاح حوتب الأخلاقية والسياسية وخاصة بقوة منطقه في التدليل علي أهمية الخطابة والقدرة علي الإقناع ، إن إدراك قيمة الكتابة وخطاب الحكمة قد انتقل من مستوي النظر إليها كمهنة شريفة تجلب السعادة لصاحبها وللآخرين ، إلي مستوي النفع السياسي ، ويرجع الفضل في ذلك إلي ما كتبه بتاح حوتب في حوالي ٢٧٠٠ قبل الميلاد ، حيث كان هو أول من أدرك ذلك الربط بين الخطاب المكتوب أو المسموع وبين المهارة السياسية ، :

إذ إن ثروة المرء العظيمة هي عقله ، وإذا كان العقل قد صقل بالعلم والمعرفة فلا ينبغي للإنسان أن يتكبر علي الآخرين بما يعرف أو يعلم بل عليه أن يشاور الجاهل والعاقل لأن نهاية العلم لا يمكن الوصول إليها

وليس هناك عالم بلغ في فنه حد الكمال ولذلك فهو يطالب العالم – الحكيم بأن يحسن الاستماع كما يحسن الكلام ، كما أكد أيضاً بتاح حوتب في نصائحه لابنه :

إذا كنت حاكماً فكن شفيقاً حينما تسمع كلام المتظلم ولا تسئ إليه قبل أن يغسل بطنه ويفرغ من قول ما قد جاء من أجله ، وأنها لفضيلة يزدان بها القلب أن يستمع مشفقاً)[١١]

ولكن كل هذا إذا كنت فعلًا كاتبًا حقًا ولست من أنصاف الموهوبين ، وقد اعتقدت بالفعل أنني لست كاتب موهوبًا ، وبالتالي كنت أريد أن استخدم الكتابة كمهنة بعد المعاش ولشغل الفراغ ولكن لم يعترف أحد بأنها مهنة للأسباب التي ذكرتها ولكنها نجحت بامتياز في شغل وقت الفراغ بالنسبة لي ، والكاتب الموهوب يجعلك تشعر كما يقولون بصقيع موسكو وبحرارة لقاء الأحباب وتسمع جلبة الجيش وهو خارج للقتال ، وقعقعة العجلات علي صخور الطرق ، وصهيل الخيل وجلجلة السلاح ، وصوت طبول الحرب ، وصيحات الشجعان وأنين الجرحي وسقوط القتلي ، فإذا لم يجعلك الكاتب تشعر بما يري فهو ليس كاتب موهوب والله أعلم ، أما القراءة فهي تجعلك تشعر بأنك تعيش أكثر من حياة في نفس الوقت ، فكما يقول العقاد رحمه الله : "لا أحب الكتب لأننى زاهد فى الحياة ... ولكنى أحب الكتب لأن حياة واحدة لا تكفينى ومهما يأكل الإنسان فإنه لن يأكل بأكثر من معدة واحدة ومهما يلبس فإنه لن يلبس على غيرجسد واحد ومهما ينتقل ف البلاد فإنه لن يستطيع أن يحل فى مكانين ولكنه بزاد الفكر والشعور ...والخيال يستطيع أن يجمع الحيوات فى عمر واحد ويستطيع أن يضاعف فكره وشعوره وخياله كما يتضاعف الشعور بالحب المتبادل وتتضاعف الصورة بين مراتين"

وعلي أي حال ليست الكتابة الحقيقية كما يقول البعض هي أن تنقل ما كتبه الآخرين كما أفعل أنا فمن السهل كتابة العديد من الصفحات بالنقل عن الآخرين فأقول مثلًا قال فلان كذا (---) ثم أقول وقال فلان كذا (---) وأضع المصادر ، وعندي الحمد لله القدرة والصبر علي القراءة بل وتعلمت الكتابة علي لوحة المفاتيح دون أن أنظر إليها بل أنظر إلي الكتاب المفتوح أمامي وأضع أصابعي علي ما يُسمي صف الإرتكاز وهي طريقة تعلمتها من برنامج لتعليم الكتابة ، وقد كتبت الكثير من الفقرات ونشرتها علي صفحة الفيس بوك ثم احتجت تلك الفقرات عندما قمت بإعداد الكتاب الذي يتضمن موجز تاريخ مصر بالكامل ، وكلما قمت بإعداد بحث تاريخي عن عصر معين من عصور تاريخ مصر . وجدير بالذكر أنني كنت أكتب بمعدل سريع نسبيًا ثم أصبح بطئ بعد أن تعرض الجهاز العصبي المركزي الخاص بي إلي هجوم من جهاز

[١١] نقلاً باختصار عن كتاب الخطاب السياسي في مصر القديمة – د مصطفي النشار أستاذ الفلسفة القديمة بكلية الآداب جامعة القاهرة – الناشر دار قباء للطباعة والنشر – الطبعة الأولي ١٩٩٨ – صفحة ٣٣ وما بعدها

المناعة فأثر علي الحركة سواء في المشي أو في الكتابة والحمد لله حتي يبلغ الحمد منتهاه فهي نعمة من المولي عز وجل فرب الخير لا يأتي إلا بخير ، فقد تعتقد أنه سبحانه يحرمك من أشياء ثم تكتشف أنه قد وهب لك أشياء أكثر وأفضل والحمد لله فهو البر الرحيم ، وقد اعتدت بفضل الله وكرمه علي حالتي الجديدة وتكيفت معها ، حتي أنني عندما قمت في آخر زيارة لي لمعرض القاهرة الدولي للكتاب استخدمت كرسي متحرك يدفعه أحد أبنائي حتي يتسني لي أن أتوجه إلي الأجنحة التي كنت أرغب في زيارتها حتي لا أتحرك ببطء شديد باستخدام مشاية أو عكاز ، فكان الكرسي يوفر الوقت والجهد وتمكنت من زيارة دور النشر التي صدر لي لديها إصدارات جديدة من كتب وأبحاث في ذلك المعرض

ولكن هل ما قمت بكتابته من أبحاث تنطبق عليها كلمة أبحاث بالمفهوم العلمي والأكاديمي ؟ ، أعتقد أنني تحررت تمامًا من قالب البحث المعتمد في الجامعات حتي أتمكن من الكتابة بحرية فقد تصورت أن القالب البحثي نوع من أنواع السجون التي يحبس الكاتب داخلها كلماته وأفكاره ويفرض علي نفسه تنسيق معين لا يتجاوزه كما كان يفرض الشاعر الكبير أبو العلاء المعري[١٢] علي نفسه قافية أحسب أنها صعبة جدًا ويلتزم بها في القصيدة بالكامل هذا مع فارق التشبيه طبعًا بين القوافي وتنسيق البحوث ومع ذلك أحسست بذلك ، وقد كان المعري رحمه الله يختار قافية مكونة من عدة حروف صعبة وليس حرفًا واحدًا كما هو متبع في الغالب فقال علي سبيل المثال :

أَراني في الثَلاثَةِ مِن سُجوني ---فَلا تَسأَل عَنِ الخَبَرِ النَبيثِ

لِفَقدِيَ ناظِري وَلُزومِ بَيتي ---وَكَونِ النَفسِ في الجَسَدِ الخَبيثِ

والقافية هنا مكونة من ثلاثة حروف ، بل إنه لم يكتف بذلك بل فرض علي نفسه قافية في أول البيت وآخره وهو ما يحتاج إلي حصيلة لغوية هائلة علي ما أعتقد فقال :

خَوى دَنٌّ شَرَبٍ فَاِستَحابوا إِلى التُقى --فَعيسُهُمُ نَحوَ الطَوافِ خَوادي[١٣]

تَوي دَيِّنٌ في ظَنِّهِ ما حَرائِرٌ--نَظائِرَ آمٍ وُكِّلَت بِتَوادي

---

١٢ تعريف وترجمات أبو العلاء المعري --هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن [محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان] بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أرقم بن أنور بن اسحم بن النعمان، ويقال له الساطع لجماله، ابن عديّ بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة. وتيم الله مجتمع تنوخ: من أهل معرة النعمان من بلاد الشام، كان غزير الفضل شائع الذكر وافر العلم غاية في الفهم، عالما حاذقا بالنحو، جيد الشعر جزل الكلام، شهرته تغني عن صفته وفضله ينطق بسجيته.-ولد بمعرة النعمان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة واعتل بالجدري التي ذهب فيها بصره سنة سبع وستين وثلاثمائة وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة أقام ببغداد سنة وسبعة أشهر ثم رجع إلى بلده فأقام ولزم منزله إلى أن مات يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول سنة تسع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم. -المصدر: معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب – ياقوت الحموي

١٣ والمقصود بهذا البيت بشكل عام أنه عندما فرغ وعاء الشرب استجابوا للعبادة والطواف وأصبحت إبلهم مسرعة في الطواف والله أعلم ويمكنك مراجعة شرح الأبيات من الموقع () علي الانترنت

فبدأ البيت بـ خوي دن وأنهاه بـ خوادي ولعله رحمه الله كان يستمتع بفعل ذلك والله أعلم ، ومن المعروف بالطبع أن عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين قد درس شعر المعري وأفرد له أبحاث عظيمة ، ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك

علي أي حال لم ألتزم بتنسيق الأبحاث التاريخية طبقًا لما هو متبع وهذا خطأ كبير بلا شك ، ولا توجد علاقة منطقية بين ذلك وبين الالتزام بقافية معينة في كتابة الشعر ، ولكني حاولت أن أوضح لك أن هذا هو شعوري ، أن التزامي بتنسيق البحث كما لو كان التزام بقافية لا أقدر عليها ، والشعور لا يخضع للمنطق فيما أعتقد

ورغم كل ما سبق سأنقل لك مقال من شبكة الانترنت أيضًا يشرح أسلوب تنسيق البحث العلمي ، فقد بحثت من أجلك عن هذا الموضوع فوجدت ما يلي :

(ما هي طريقة تنسيق البحث العلمي بالوورد؟ – سؤال يجب أن يكون كل باحث علمي مطلعا على الإجابة عنه، حيث أن برنامج الوورد هو الوسيلة الأساسية من أجل أن يقوم الباحث بكتابة بحثه العلمي .ولكتابة البحث العلمي بالورد عدد من الشروط التي يجب على الباحث أن يقوم بالاطلاع عليها ومعرفتها والالتزام به، حيث قامت الجامعات العالمية بتحديد هذه المعايير من أجل توحيد نمط كتابة البحوث العلمية. ونظرا لأهمية هذا التنسيق قررنا تخصيص هذا المقال للحديث عن طريقة تنسيق البحث العلمي بالورد.

طرق تنسيق البحث العلمي– يجب أن يقوم الباحث بكتابة رسالته العلمية بخط قياس ١٢، ونوع Times new roman. –عناوين الأبواب– يجب على الباحث أن يقوم بكتابتها في المنتصف، مستخدما خطا من مقاس ١٨ .العناوين الرئيسية يجب أن تكتب بالخط العريض (bold) وبقياس ١٦.

العناوين الفرعية يجب أن يقوم الباحث بكتابتها تحت العناوين الرئيسية بشكل مباشر، وباستخدام الخط العريض(bold) ، ويجب أن يكون القياس المستخدم ١٤.

العناوين الجانبية يجب على الباحث أن يقوم بكتابتها بخط عريض (bold) وبمقاس ١٢.

عنوان الجداول يجب أن يقوم الباحث بوضعه في أعلى الجدول، كما يجب أن يستخدم في كتابته الخط العريض (bold) والقياس ١٢–.عنوان الأشكال– يجب أن يقوم الباحث بوضعها في أسفل الجدول، ويجب أن يكتبها بخط عريض (bold) وبقياس ١٢.

يجب أن يجعل الباحث المسافة بين السطور مسافتين قبل أن يتم تحكيم البحث العلمي، وذلك لكي يضيف أي ملاحظات تعطيه إياها لجنة المناقشة، ومن ثم يقلص المسافة إلى مسافة واحدة في النسخة النهائية

للبحث والتي يعدها للطباعة-.الهوامش باللغة الإنكليزية يجب أن تكون ٢ سم من يمين الصحفة، و٣ سم من يسار الصفحة.

الهوامش باللغة العربية يجب أن تكون ٣ سم من يمين الصفحة، ٣ سم من يسار الصفحة. ترقيم الصفحات في اللغة العربية يجب أن يكون في الركن الأيسر الأعلى وهذا في حال كانت الرسالة تطبع على وجه واحد، أما في حال كانت طباعتها على وجهين فإن الترقيم يكون في أسفل ومنتصف الصفحة. تر قيم الصفحات في اللغة الإنكليزية في الركن الأيمن الأعلى، وفي حال كانت طباعتها على وجهين فإن الترقيم يكون في أسفل ومنتصف الصفحة.

يجب على الباحث أن يقوم بذكر رقم الأشكال والإشارة إليها في متن الصفحة، ويتم هذا الأمر من خلال قيامه بوضع رقم متسلسل لكل شكل بين قوسين.

ويدخل في قسم الأشكال كافة الرسوم البيانية والصور الضوئية في البحث العلمي. يجب على الباحث أن يضع الشكل في أقرب مكان من المكان الذي ذكره فيه في البحث، ويتم ترقيمه من خلال كتابة كلمة شكل ومن ثم يحدد رقمه، ومن ثم يقوم بكتابة عنوان الشكل. يقوم الباحث بترقيم صفحات الأشكال في البحث بشكل متسلسل مع بقية صفحات المشروع البحثي. أما بالنسبة للجداول فيجب على الباحث أن يقوم بذكر رقم الجدول وشرح عنه في متن البحث، حيث يقوم بوضع الجدول بأقرب مكان ذكر فيه، ويعنون في أعلاه جدول ومن يكتب عنوانه ورقمه، ويقوم بترقيم صفحاته بشكل متسلسل مع صفحات البحث الأخرى.

بعد ذلك يكتب الباحث صفحة عنوان البحث حيث يضع العنوان في منتصف الصفحة. بعد ذلك وفي بداية البحث توجد صفحة الإهداء والشكر، والتي يقوم الباحث بتخصيصها لشكر كل من سانده ومد له يدن العون أثناء قيامه في البحث، كما يقوم بشكر عائلته ومن يريد من الناس. بعد ذلك يضع قائمة بالمختصرات العلمية التي يتضمنها البحث العلمي مع شرح لهذه المختصرات. بعد ذلك يقوم البحث بكتابة صفحة فهرس البحث والتي تدل على الأبواب والفصول التي احتواها البحث بشكل مرقم.

بعد ذلك تأتي صفحة الجداول والأشكال وهي بمثابة الفهرس لها حيث يقوم الباحث بترتيب الأشكال والجداول حسب ورودها في البحث ويذكر أرقام الصفحات الموجودة فيها .بعد ذلك يقوم الباحث بكتابة ملخص البحث والذي لا يجب أن يتجاوز ٢٠٠ كلمة .بعد ذلك يبدأ الباحث بترتيب البحث حسب أبوابه فيبدأ

بمقدمة البحث والتي يجب أن تحتوي على مشكلة البحث، كما يجب أن تعطي لمحة عامة عن البحث، وعن الأسباب التي دفعت الكاتب للقيام بهذا البحث، ويتم الهدف من البحث في نهايتها.

بعد ذلك يجب أن يبدأ بالفصل الثاني للبحث العلمي والذي يحتوي على الإطار النظري للبحث والدراسات السابقة، ويجب أن لا يتجاوز حجم الإطار النظري والدراسات السابقة الثلاثين بالمئة من حجم البحث. ويحتوي الإطار النظري والدراسات السابقة على كافة الدراسات المرتبطة بالمشروع والتي عاد إليها واستفاد منها الباحث خلال بحثه العلمي.

بعد ذلك يبدأ الباحث بالفصل الثالث من البحث العلمي والذي يجب أن يحتوي على مادة البحث وطرقه، حيث يقوم الباحث فيه بذكر الطرق التجريبية والنظرية، حيث يقوم الباحث بذكر النظريات التي قام بها خلال البحث العلمي.

بعد ذلك تبدأ كتابة الفصل الرابع من البحث وهو فصل نتائج البحث، وفيه يقوم الباحث بذكر النتائج التي تحصل عليها من خلال هذه البحث العلمي، ويقوم بإرفاق الأدلة التي تؤكد صحة هذه النتائج. ومن ثم يأتي الفصل الخامس وهو فصل المناقشة، وفي هذا الفصل يقوم الباحث بمناقشة النتائج التي توصل إليها في بحثه العلمي، ويقارنها بالأبحاث الأخرى التي تمت في هذا المجال، ويحتوي هذا القسم على الخلاصة، وعلى التوصيات التي يضعها الباحث في نهاية بحثه.

بعد ذلك يقوم الباحث بكتابة الفصل السادس وهو فصل المصادر والمراجع، وفيه يقوم الباحث بترتيب المصادر والمراجع بحسب طرق الترتيب الأكاديمية المعروفة، فيبدأ باسم عائلة المؤلف، ومن ثم اسم المؤلف بعد ذلك يقوم بذكر سنة نشر الكتاب، ومن ثم يضع عنوانه وبعد ذلك رقم المجلد، العدد، الصفحة الأولى والأخيرة.

يجب على الباحث أن يراعي في التنسيق أن يبدأ كل فصل أو قسم بصفحة جديدة.

يجب أن يقوم الباحث بوضع ورقة ملونة يطبع عليها كلمة الفصل ويذكر رقم الفصل وذلك لتمييز بين الفصول.)[١٤] انتهي المقال

ومما سبق يتضح أن الموضوع ليس بالعشوائية التي كنت أقوم بها ، ومع ذلك كنت التزم بذكر المراجع ودور نشرها وبعض النقاط الأخري التي وردت بالمقال

---

[١٤] https://www.bts-academy.com/blog_det.php?page=480&title=%D9%85%D8%A7_%D9%87%D9%8A_%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82%D8%A9_%D8%AA%D9%86%D8%B3%D9%8A%D9%82_%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%AD%D8%AB_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A_%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%88%D8%B1%D8%AF_%D8%9F

وطالما تطرقنا لطريقة إعداد البحث فلا مانع أيضًا من ذكر لمحة سريعة بدون تفاصيل عن منهج البحث التاريخي ، فباب البحث مفتوح والصواب والخطأ فيه وارد دائماً ولا أحد منا يملك الحقيقة التاريخية المطلقة ، فالحقيقة التي يصل إليها المؤرخ هي حقيقة صحيحة نسبياً وعن هذا الموضوع كتب الدكتور حسن عثمان ما ملخصه : (– منهج البحث التاريخي هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتي يبلغ الحقيقة التاريخية –بقدر المستطاع– ويقدمها إلي المختصين بخاصة والقراء بعامة ، وتلخص هذه المراحل في تزويد الباحث نفسه بالثقافة اللازمة له ، ثم اختيار موضوع البحث وجمع الأصول والمصادر وإثبات صحتها وتعيين شخصية المؤلف وتحديد زمان التدوين ومكانه وتحري نصوص الأصول وتحديد العلاقة بينها ونقدها نقداً باطنياً وسلبياً وإثبات الحقائق التاريخية وتنظيمها وتركيبها والاجتهاد فيها وتعليلها وإنشاء الصيغة التاريخية ثم عرضها عرضاً تاريخياً معقولاً ، وينبغي علينا أن نلاحظ أنه ليس المقصود بالحقيقة التاريخية الوصول إلي الحقيقة المطلقة إذ أن هذا أمر غير مستطاع لعوامل مختلفة مثل ضياع الأدلة وانطماس الآثار ومثل الأغراض والمصالح ، ومن ذا الذي يمكنه أن يعرف الحقيقة المطلقة في الماضي أو الحاضر ؟ وهل يمكن للإنسان أن يعرف حقيقة ذاته تمام المعرفة ؟ فالحقيقة التي يصل إليها المؤرخ هي حقيقة صحيحة نسبياً ، وكلما زادت نسبة الصدق فيها اقترب التاريخ من أن يصبح تاريخًا بالمعني الصحيح في حدود إمكانه

وحينما يعكف علي دراسة التاريخ لن يجد الوقائع أو الحوادث ماثلة أمامه وعليه عندئذ أن يتجه إلي دراسة وفحص مخلفات الإنسان وآثاره من كتابات نقوش ومصنوعات ومنشآت وآثار الإنسان كلها تحمل بين طياتها أسرار الحوادث وخفايا التاريخ وهي تظل أبداً صامتة لا تبوح بأسرارها إلي أن يتمكن المؤرخ بالدراسة الطويلة وبالتأمل العميق من أن يحملها علي النطق وعلي التعبير عن أسرارها وخفاياها –)١٥

ومما سبق يتضح أن الباحث في التاريخ لا يستطيع أن يجزم بأن ما يكتبه هو الحقيقة المطلقة ولكنه جانب منها يراه طبقاً لرؤيته الخاصة ، وستظل هناك العديد من أسرار وخفايا التاريخ ستظهر يوماً ما لنتعلم منها ونستفيد

أما بالنسبة لي فإن ما جمعته وكتبته من فقرات من كتب التاريخ المختلفة التي إطلعت عليه ، تلك الفقرات هي التي صاحبتني أثناء كتابتي لكل كتبي ، فقد استخدمتها في إعداد كل أبحاثي التاريخية وحتي في كتابة الروايات التاريخية ، فهي بالنسبة لي كنز من المعلومات حاولت أن أشترك به في سباق التتابع التاريخي

---

١٥ من كتاب منهج البحث التاريخي - د حسن عثمان – دار المعارف – الطبعة الثامنة

كما أسميه وكما وضحته لك ، ويطيب لي أن أذكر أسماء كل من شارك في كتابة تاريخ مصر منذ أقدم العصور وحتي العصر الحديث من المصريين وغير المصريين وكذلك بعض عشاق الحضارة المصرية كالآتي :

إيب وير :

كاتب بردية إيب وير المحفوظة في المتحف الوطني الهولندي للآثار في ليدن، بعد أن تم شراؤها من "جيوفاني أنستاسي" القنصل السويدي في مصر في عام ١٨٢٨. البردية يرجع تاريخها إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. تصف البردية معاناة مصر من الكوارث الطبيعية وحالة من الفوضى، جعلت الأمور تنقلب رأسًا على عقب

هيرودوت :

أو هيرودوتس باليونانية، باللاتينية Herodotus :كان مؤرخا إغريقيا يونانياً آسيوياً عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (حوالي ٤٨٤ ق.م 425 – ق.م). اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها حول العالم المعروف آنذاك ومن بينها مصر التي قال عنها أنها هبة النيل

مانيتون :

مؤرخ مصري من مدينة سمنود، محافظة الغربية؛ كان كاهناً في عهد الملك بطليموس الثاني" حوالي ٢٨٠.ق.م" الذي كلفه بكتابة تاريخ مصر القديمة. أخذ مانيتون هذه المهمة على عاتقه واعتمد في كتاباته على الوثائق التي خلفتها الحضارة المصرية والتي كانت تضمها دور حفظ الوثائق بالمعابد بالإضافة إلى كل ما وجده في متناول يديه من وثائق الإدارات الحكومية وغيرها. فقدت النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون أثناء حريق مكتبة الإسكندرية، ولم يصل من هذا التاريخ إلا مقتطفات نقلها بعض المؤرخين، ومنهم الإفريقي جوليوس الذي نقل في مؤلفه بعض أسماء الملوك التي كانت مدونة في تاريخ مانيتون الأصلي

يوليوس الأفريقي :

يوليوس افريكانوس (Julius Africanus) لاهوتي ومؤرخ مسيحي عاش في الفترة من ١٦٠ إلى ٢٤٠م .تقريبا ، .تتلمذ علي يد هيرقلس (Heraclas) في مدرسة اسكندرية اللاهوتية بين عام ٢٢٨ – 232، وكان هيرقلس تلميذا لأوريجانوس وتولي ادارة مدرسة اسكندرية بعد أوريجانوس

ابن عبد الحكم :

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم مؤرخ من أهل العلم بالحديث .مصري المولد والوفاة 187هـ 257-هـ صنف عبد الرحمن في التاريخ واهتم بتاريخ مصر حيث ألف كتابًا بعنوان فتوح مصر وأخبارها وهو أول ما ألف في التاريخ الإسلامي لمصر وتحدث فيه عن تاريخ مصر قبل الفتح، ثم عن فتح مصر وأخبارها وذكر قضاتها منذ دخول جيوش المسلمين بقيادة عمرو بن العاص وحتى عام 264هـ.

الكندي :

أبو عمر الكندي هو محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن نصير أبو عمر التجيبي الكندي نسبة إلى تجيب وهم من بطون قبيلة كندة المشهورة. ولد في مصر في 10 ذو الحجة سنة ٢٨٣ هجرية الموافق 17 يناير897 م وتوفي بها في 3 رمضان سنة ٣٥٠ هجرية 15 /أكتوبر961 م. خلف الكندي اثارا وكتبا متعددة ضاع معظمها ولكن تبقى منها كاملا كتابان هما" تسمية ولاة مصر" وأحيانا يسمى "امراء مصر حروبهم والأحداث التي وقعت في عصر كل منهم بدأ بعمرو بن العاص وصولا إلى محمد بن طغج الاخشيدي حيث تنتهي الرواية بوفاته في ذي الحجة ٣٣٤ هجرية ويلي ذلك تتمة اضافها مؤرخ اخر من بعده تشمل باقي الولاة حتى دخول الفاطميين مصر.

ساويرس بن المقفع

(987 -915) كان أسقف قبطى مصرى , (أسقف الأشمونين) هرموبوليس فى الصعيد .، و كان كاتب و مؤرخ. ومن أعماله مصباح الفكر - تاريخ بطاركة كنيسة الإسكندرية القبطية

ابن زولاق

أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي 387-306 هـ 997 - 919 / م مولاهم المصري، كان فاضلا في التاريخ، وله فيه مصنف جيد، وله كتاب في خطط مصر استقصى فيه، وكتاب "أخبار قضاة مصر" وكان جده الحسن بن علي من العلماء المشاهير.كانت وفاته يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وثلثمائة.

ابن الأثير :

عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي 630-555 هـ المعروف بـ ابن الأثير الجزري، مؤرخ إسلامي كبير، عاصر دولة صلاح الدين الأيوبي، ورصد أحداثها ويعد كتابه الكامل في التاريخ مرجعا لتلك الفترة من التاريخ الإسلامي

ابن بطوطة :

محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي المعروف بابن بَطُّوطَة ولد في 24 فبراير1377 – 1304 م بطنجة 779703 – هـ هو رحالة ومؤرخ وقاض وفقيه مغربي لقب بأمير الرحالين المسلمين .خرج من طنجة سنة 725 هـ فطاف بلاد المغرب ومصر والسودان والشام والحجاز وتهامة والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين الجاوة وبلاد التتار وأواسط أفريقيا .وإتصل بكثير من الملوك والأمراء فمدحهم – وكان ينظم الشعر – واستعان بهباتهم على أسفاره. عاد إلى المغرب الأقصى، فانقطع إلى السلطان أبي عنان (من ملوك بني مرين) فأقام في بلاده. وأملى أخبار رحلته على محمد بن جزي الكلبي بمدينة فاس سنة 756 هـ وسماها تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار .ترجمت إلى اللغات البرتغالية والفرنسية والإنجليزية، ونشرت بها، وترجم فصول منها إلى الألمانية نشرت أيضا. كان يحسن التركية والفارسية .واستغرقت رحلته ٢٧ سنة 13521325–م ومات في مراكش سنة 779 هـ1377/م حيث يوجد ضريحه بالمدينة القديمة. تلقبه جامعة كامبريدج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالة المسلمين الوطنيين

ابن خلدون :

عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي 14061332 – م مؤرخ من شمال أفريقيا، تونسي المولد أندلسي الأصل، كما عاش بعد تخرجه من جامعة الزيتونة في مختلف مدن شمال أفريقيا، حيث رحل إلى بسكرة وغرناطة وبجاية وتلمسان، كما تَوَجَّهَ إلى مصر، حيث أكرمه سلطانها الظاهر برقوق، ووَلِيَ فيها قضاء المالكية، وظلَّ بها ما يناهز ربع قرن (٧٨٤–٨٠٨هـ)، حيث تُوُفِّيَ عام ١٤٠٦ عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا ودُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة تاركا تراثا ما زال تأثيره ممتدا حتى اليوم ويعتبر ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع الحديث واب للتاريخ والاقتصاد

المقريزي :

شيخ المؤرخين المصريين " أحمد بن علي المقريزي " المعروف باسم " تقي الدين المقريزي " ولد وتوفي في القاهرة 764هـ . 845 هـ – (1364م1442 – م) ممن اهتموا بالتأريخ بكل نواحيه. ترك عدداً من الكتابات التاريخية الفائقة الأهمية مثل: المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف باسم خطط المقريزي أو الخطط المقريزية

ابن تغري بردي :

أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تغري بردي الأتابكي اليشبقاوي الظاهري ولد بالقاهرة سنة 813 هـ1410 / م – توفى بالقاهرة سنة 874 هـ1470 / م وتغري بردي محرفة من تنكري يردي، ويردي بالتركية تعني عطا الله .(مؤرخ مصري كان أبوه من كبار أمراء المماليك في عهد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق وابنه الناصر فرج بن برقوق .تتلمذ علمياً ودينياً على أيدي كبار مشايخ عصره أمثال زوج أخته قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، وابن حجر العسقلاني، وبدر الدين العيني، وابن ظهيرة وابن عربشاه. ثم لازم مجلس شيخ المؤرخين تقي الدين المقريزي فتعلم منه حب التاريخ والتأريخ. وبذلك انتمى ابن تغري إلى طبقة الأمراء وأرباب الدولة وتتلمذ على أيدي العلماء واهل العمائم.

<u>ابن اياس الحنفي :</u>

زين العابدين محمد بن أحمد المعروف بـ بن إياس الحنفى ويكنى بـ " أبو البركات هو مؤرخ مصري ولد في القاهرة سنة ١٤٤٨ وتوفي بها سنة ١٥٢٣ يعد من أشهر وأهم المؤرخين الذين أرخوا للعصر المملوكي ولاسيما في الفترة الأخيرة منه يعد كتابه " بدائع الزهور في وقائع الدهور " (٥ أجزاء في ٦ مجلدات) أهم مؤلفاته وأرخ فيه لتاريخ مصر الضخم من بداية التاريخ لغاية سنة ١٥٢٢.

ابن ابي السرور البكري :

شمس الدين محمد بن محمد بن أبي السرور البكري الصديقي مؤرخ مسلم من أعيان القرن الحادي عشر الهجري. ولد في القاهرة سنة ١٠٠٥هـ، وتوفي بها سنة ١٠٦٠هـ، وكان عميد الأسرة البكرية في وقته، كما كان وثيق الصلة بالولاة العثمانيين.

<u>الجبرتي :</u>

عبد الرحمن بن حسن برهان الدين الجبرتي ولد في القاهرة عام – 1756 وتوفي في القاهرة عام1825 .وهو مؤرخ مصري عاصر الحملة الفرنسية على مصر ووصف تلك الفترة بالتفصيل في كتابه» عجائب الآثار في التراجم والأخبار «والمعروف اختصاراً بـ«تاريخ الجبرتي «والذي يعد مرجعاً أساسياً لتلك الفترة الهامة من الحملة الفرنسية .قدم أبو جده من قرية جبرت – والّتي تقع الآن في أريتريا – إلى القاهرة للدراسة في الأزهر، واستقر بها.

<u>على باشا مبارك</u>

ولد بالدقهليه عام 1823 – وتوفي بالقاهرة في 14 نوفمبر1893 ولقب بـ"ابو التعليم" وكان مؤرخ و تربوى مصرى وتلقي العلم فى القاهرة وفرنسا .وهو من اعمدة النهضه المصريه الحديثه. وبعد عودته من

فرنسا تدرج في المناصب حتي أصبح رئيس ديوان الاشغال و المدارس، فبذل جهد كبير فى تجميل القاهره و تطوير التعليم و توسيعه. انشأ "الكتبخانه الخديويه" (التي أصبح اسمها دار الكتب المصريه ودار الكتب و الوثائق القوميه فيما بعد)، و دار العلوم. ألف كتاب مهم من عشرين مجلد عنوانه "الخطط التوفيقيه الجديده لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة "علي غرار خطط المقريزى

عبد الرحمن الرافعي :

عبد الرحمن الرافعي (8فبراير1889 م 3 – ديسمبر1966 م) هو مؤرخ مصري، عني بدراسة أدوار الحركة القومية في تاريخ مصر الحديث. من أشهر أعماله يؤرخ فيها منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر حتى خمسينياته. تخرج الرافعي من مدرسة الحقوق الخديوية سنة1908 م. ومن أشهر مؤلفاته تاريخ الحركة الوطنية وتطور نظام الحكم في مصر-. عصر محمد علي – عصر إسماعيل-.. الثورة العرابية والاحتلال الإنجليزي

سليم حسن :

يعد الدكتور سليم حسن 1961 – 1893 العالم الأثري الكبير عميد الأثريين المصريين. ومن أشهر مؤلفاته: موسوعة مصر القديمة – جغرافية مصر القديمة-.الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة ، وفي عام1929 م بدأ سليم حسن أعمال التنقيب الأثرية في منطقة الهرم لحساب جامعة القاهرة لتكون المرة الأولى التي تقوم فيها هيئة علمية منظمة أعمال التنقيب بأيدي مصرية، وكان من أهم الأكتشافات التي نتجت عن أعمال التنقيب مقبرة رع ور وهى مقبرة كبيرة وضخمة وجد بها العديد من الآثار. واستمر سليم حسن في أعمال التنقيب في منطقة أهرامات الجيزة وسقارة حتى عام1939 م اكتشف خلال تلك الفترة حوالي مائتي مقبرة أهمها مقبرة الملكة (خنت كاوس) من الأسرة الخامسة ومقابر أولاد الملك خفرع، بالإضافة إلى مئات القطع الأثرية والتماثيل ومراكب الشمس الحجرية للملكين خوفو وخفرع.

أحمد فخري :

أحمد فخري(23مايو1973 – 1905) لقب بكبير وشيخ الأثريين. كما لقب أيضا براهب الصحراء. ومن أشهر مؤلفاته : الأهرامات المصرية – مصر الفرعونية – الواحات البحرية – واحة سيوة – دراسات في تاريخ الشرق القديم – بين آثار العالم العربي – اليمن ماضيها وحاضرها – رحلة أثرية إلى اليمن ، كما أن له عدة اكتشافات أثرية منها معابد عين المفتلة ، كما اكتشف مقبرة هضبة السوبي واكتشافات أثرية أخري

عبد المنعم ماجد :

المؤرخ المصري الأستاذ الدكتورعبد المنعم ماجد 1921) . 1999 م، أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب . جامعة عين شمس، كانت حياته حافلة بالتأليف في مختلف مراحل تاريخ المسلمين خاصة خلال مرحلة العصور الوسطى.. ولد الأستاذ الدكتور عبد المنعم ماجد في مدينة الإسكندرية عام ١٩٢١ م، وتدرج في مراحل التعليم المختلفة ثم أوفد في بعثة علمية فحصل على دكتوراه الدولة (Doctorat d'Etat) في التاريخ الإسلامي من جامعة باريس (La Sorbonne) بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٥١، وعاد إلى مصر ليعين بقسم التاريخ بكلية الآداب . جامعة عين شمس، وتدرج في وظائف هيئة التدريس إلى أن حصل على الأستاذية في عام ١٩٦٧ م، ثم صار رئيساً لقسم التاريخ منذ عام ١٩٧٢ حتى عام ١٩٧٨ م، وعمل أستاذاً متفرغاً بالقسم نفسه منذ عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٩٩ م. ومن أشهر مؤلفاته نظم الفاطميين ورسومهم في مصر – مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامي، وتعريف بمصادر التاريخ الإسلامي ومنهاجه الحديث، – السجلات المستنصرية – الناصر صلاح الدين الأيوبي– نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر– العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى – طومان باي . آخر سلاطين المماليك في مصر، دراسة الأسباب التي أنهت حكم دولة سلاطين المماليك، – التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، دراسة تحليلية للازدهار والانهيار

جمال الدين الشيال :

الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال مؤرخ مصري وأستاذ التاريخ الإسلامى ولد بدمياط في 27 يونيو سنة 1911م .حصل على الدكتوراه في التاريخ من كلية الآداب ,جامعة الأسكندرية سنة1947 م .عمل ملحقا ثقافيا بسفارة مصر وتدرج في العديد من المناصب، وحصل على العديد من الجوائز والأوسمة، وكان عضوًا في الكثير من الجمعيات واللجان العلمية، توفي الدكتور جمال الدين الشيال في 2 نوفمبر عام 1967 في مدينة الإسكندرية بعد حياة علمية حافلة في التأليف والترجمة. من أشهر مؤلفاته : تاريخ الأسكندرية – تاريخ دمياط – قصة الكفاح بين العرب والاستعمار– رفاعة الطهطاوي – تاريخ مصر الإسلامية،

جمال حمدان :

ولد في ٤ فبراير ١٩٢٨ بالقليوبية وتوفي في ١٧ أبريل سنة ١٩٩٣ بالقاهرة أحد أعلام الجغرافيا المصريين وكان يمتلك قدرة ثاقبة على استشراف المستقبل متسلحا في ذلك بفهم عميق لحقائق التاريخ

ووعي متميز بوقائع الحاضر،.وقد ألف جمال حمدان ٢٩ كتاب و٧٩ بحث ومقالة، أشهرها كتاب شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان،

محمد عبد الله عنان :

7 يوليو ١٨٩٨ . ٢٠ يناير ١٩٨٦ مؤرخ مصري بارز، اشتهر بوجه خاص بأبحاثه ومؤلفاته وتحقيقاته في مجال الدراسات الأندلسية.

يونان لبيب رزق

ولد يوم 27 اكتوبر ,1933 و مات يوم 15 يناير . 2008 كان مؤرخ وأستاذ للتاريخ الحديث فى جامعة عين شمس وكان رئيساً لمركز الدراسات التاريخية بالأهرام، وعضو للمجلس الاعلى للثقافة والمجلس الاعلى للصحافة وكان متخصص فى التاريخ المصرى المعاصر والتاريخ العربى. سمته الصحافة المصرية والمؤرخين باسم "ذاكرة مصر."

جمال بدوي :

كاتب ومؤرخ مصري واسمه الكامل هو (محمد جمال الدين إسماعيل بدوي)، ولقد ولد في مدينة بسيون في محافظة الغربية يوم 12 فبراير 1934 ودرس الأدب، كما أنه كتب دراساتًا تاريخية بالإضافة إلى تقديمه أكثر من برنامج تاريخي بالتلفزيون المصري، هذا إلى جانب عمله الصحفي.

يعد جمال بدوى من أشهر المؤرخين في العصر الحديث.. أصدر بدوى حوالي عشرين كتابا في الفكر والتاريخ، منها "في محراب الفكر"، و"محمد على وأولاده" و"مسرور والسياف.. واخوانهو"مسلمون وأقباط من المهد إلى المجد و"حدث في مصر"، و"معارك صحفية"، و"المماليك على عرش فرعون"، و"حكايات مصرية"، و"أنا المصري"، و"من عيون التراث". وقد توفي يوم ٣١ ديسمبر سنة ٢٠٠٧

وفيما يلي بعض عشاق الحضارة المصرية

شامبليون

جون فرانسوا شامبليون بالفرنسية Jean-François Champollion : 23 ديسمبر 4 - 1790 مارس1832 ، العالم الفرنسي الذي فك رموز اللغة المصرية القديمة بعد استعانته بحجر رشيد الذي كان قد اكتشف أثناء الحملة الفرنسية على مصر، فقد نقش على الحجر نص بلغتين وثلاث كتابات: المصرية القديمة ومكتوبة بالهيروغليفية والتي تعني الكتابة المقدسة، لإنها كانت مخصصة للكتابة داخل المعابد،

والديموطيقية وتعني الخط أو الكتابة الشعبية، واللغة اليونانية بالأبجدية اليونانية، ومن خلال المقارنة بينهم نجح في فك طلاسم الكتابة الهيروغليفية.

في حقيقة الأمر لم يتمكن شامبليون من الالتحاق بالمدرسة في صغره، فتلقى دروسا خاصة في اليونانية واللاتينية، ويقال أنه حين بلغ التاسعة من عمره كان يستطيع قراءة أعمال هوميروس وفرجليوس. انتقل شامبليون إلى جرينوبل للالتحاق بالمدرسة الثانوية، وهناك اتصل بفورييه، والذي كان سكرتيرا للبعثة العلمية التي رافقت حملة نابليون بونابرت، وكان لفورييه دورا أساسيا في دفع الصبي شامبليون لدراسة علم المصريات، وذلك من خلال اطلاعه على مجموعته الخاصة من المقتنيات الأثرية .

ظهر نبوغ شامبليون مبكرا جدا، فقبل أن يبلغ السابعة عشرة كان قد قدم بحثا عن الأصل القبطي لأسماء الأماكن المصرية في أعمال المؤلفين اليونان واللاتين، كما قضى ثلاث سنوات في دراسة اللغات الشرقية والقبطية على يد كبار علماء ذلك العصر، وأبدى موهبة لغوية نادرة، ثم رجع إلى جرنوبل مرة أخرى لتدريس التاريخ، ثم سافر إلى باريس ليعمل كأول أمين للمجموعة المصرية في متحف اللوفر، كما شغل وظيفة أستاذ كرسي الآثار المصرية في الكوليج دي فرانس، كما وضع شامبليون معجما في اللغة القبطية،وتوفي وهو في شرخ الشباب بعد أن ترك إنجازا علميا حافلا وشامخا أيضا.

<u>ماريت</u>

أوجوست ماريت أوجوست فردينان فرانسوا ماريت(Auguste Ferdinand François Mariette – 11)فبراير 19 — 1821 يناير1881 .مؤسس المتحف المصري في القاهرة عالم من علماء المصريات كان له الفضل الكبير في الاحتفاظ بآثار مصر، وعرف فيما بعد بمارييت باشا.

جاء المسيو مارييت مصر سنة1850 ، موفداً من قبل الحكومة الفرنسية للبحث عن بعض الآثار والمخطوطات، فعكف على التنقيب عن آثار سقارة، وأجرى حفائر عظيمة حتى كشف مدفن العجول السرابيوم ، وكان يعمل في التنقيب منفرداً، دون أن تكون له بالحكومة صلة رسميه، وقد نقل إلى فرنسا كثيراً مما عثر علية من العاديات واللوحات الأثرية، وظل يعمل على هذا النحو حتى جعله سعيد باشا سنة 1858مأموراً لأعمال العاديات بمصر، وكان ذلك بسعي المسيو فردينان دليسبس صديق سعيد الحميم، وقد بذل مارييت جهوداً في التنقيب عن العاديات والآثار ونقلت إلى مخازن أعدت لها ببولاق. ولما مات سعيد لقي مارييت من إسماعيل تعضيداً كبيراً، فأمره الخديوي بإصلاح مخازن بولاق وتوسيعها، وأفتتحها

في حفلة رسميه حافلة يوم 18 أكتوبر1863 ، وظلت دار العاديات في تقدم مستمر بفضل مثابرة ماريت ومؤازرة إسماعيل اياه طوال مدة حكمة.

ماسبيرو

جاستون كاميل شارل ماسبيرو Gaston Maspero عالم فرنسي من أشهر علماء المصريات ان ماسبيرو يجيد اللغة العربية ولم يكن بعد قد زار مصر حتى جاءته الفرصة عندما مرض مارييت مدير مصلحة الآثار المصرية التي قام بتأسيسها – جاء ماسبيرو إلى مصر في 5 يناير من عام1881 م وكان ذلك قبل وفاة مارييت بثلاثة عشر يوما، وتولى منصب مدير مصلحة الآثار المصرية وأمين المتحف المصري للآثار ببولاق وكان عمره حينها الرابعة والثلاثين. أكمل ماسبيرو الحفريات التي كان يقوم بها مارييت في سقارة ووسع من نطاق البحث، وكان مهتما بشكل خاص بالمقابر التي تحتوى على نصوص فرعونية مهمة تثرى اللغة الهيروغليفية وقد عثر على ٤٠٠٠ شطر قام بتصويرها وطباعتها.

قام ماسبيرو بإنشاء المعهد الفرنسي للآثار في القاهرة وكان أول مدير لهذا المعهد الذي لم يقتصر على الآثار الفرعونية بل أمتد لدراسة جميع الآثار المصرية سواء الإسلامية أو القبطية.

واصل ماسبيرو حفائر مارييت في معبدى إدفو وأبيدوس، كما أستكمال أعمال مارييت في أزالة الرمال عن أبو الهول بالجيزة حيث أزال عنه أكثر من ٢٠ مترا من الرمال محاولا إيجاد مقابر تحتها ولكن لم يجد ولكن حديثا عثر على عدد من المقابر في أماكن الحفر التي كان ينقب فيها ماسبيرو، وقام بإعادة ترتيب المتحف المصري ببولاق ونقل محتوياته إلى متحف القاهرة الحالى، كما اكتشفت في عهده خبيئة بالكرنك تحتوى على مئات التماثيل المنتمية لعصور مختلفة ونشر دراسات أثرية عديدة

ستانلي لينبول :

ولد المؤرخ والرحالة البريطاني ستانلي لينبول في مدينة لندن في الثامن عشر من شهر ديسمير سنة ١٨٥٤ ودرس في جامعة أكسفورد وجامعة دبلن وبدأ حياته العملية كمؤرخ وباحث في الآثار ،

وقد زار مصر أكثر من مرة وعمل بها وله مؤلفات عديدة تتناول تاريخها

وتوج في سنة ١٩٠٢ سلسلة مؤلفاته في تاريخ مصر بكتاب (سيرة القاهرة)

أو تاريخ القاهرة The Story of Cairo والذي قام بترجمته كل من د حسن إبراهيم حسن و د علي إبراهيم حسن ود إدوار حليم وفي هذا الكتاب وصف رائع للعاصمة المصرية

جيمس هنري برستد James Henry Breasted ١٨٦٥– ١٩٣٥ :

جيمس هنري برستد بالإنجليزية James Henry Breasted من ٢٧ أغسطس ١٨٦٥ إلى ٢ديسمبر ١٩٣٥ عالم آثار ومؤرخ أمريكي .من أشهر علماء الآثار والمصريات، له العديد من المؤلفات والاكتشافات الأثرية المصرية لكن كتابه الأكثر شهرة على الإطلاق هو كتاب "فجر الضمير "الذي أثبت فيه بالأدلة التاريخية والأثرية المؤكدة أن الحضارة المصرية القديمة هى مهد الأخلاق والقيم والحضارة ومنبعها الذي انتشرت منه إلى مختلف بقاع العالم.

تيوفيل جوتييه :

كان تيوفيل جوتييه صحفي وأديب فرنسي يعشق مصر ويحلم أن يعيش علي شاطئ النيل وقد أورد اسمه الدكتور ثروت عكاشة في كتابه الرائع – مصر في عيون الغرباء – فكتب عنه تحت عنوان – الحالم المفتون بمصر فقال أنه لم يتح له أن يري مصر إلا قبل وفاته بثلاث سنوات عام ١٨٦٩ حين دعي ضمن من دعوا لزيارتها مع الإمبراطورة أوجيني إذ كان مراسلاً للجريدة الرسمية في فرنسا وقام بوصف أحداث احتفالات افتتاح قناة السويس في البلد الذي طالما عاش فيه بفكره وخياله من خلال قراءاته لكتابات أصدقائه من الأدباء والأثريين والفنانين وكانت مصر مصدر فيض غزير لإنتاج جوتييه الروائي وفي عام ١٨٥١ نشر جوتييه قصيدته – حنين بين مسلتين – مسلتي الأقصر وباريس

بيير لوتي

عاشق مصر وآثارها – بيير لوتي– يقدم لنا بيير لوتي الأديب الفرنسي الكبير وأحد أساطين أدب الرحلات وعضو الأكاديمية الفرنسية كتابه الخالد – موت فيله – بعد رحله قام بها إلي مصر عام ١٩٠٧ طاف خلالها ببلدانها المختلفة واستطاع أن يلمح بعينيه الثاقبة الطابع الفرعوني والمسيحي والإسلامي لمصر ويتذوقه ، ذلك الطابع الذي يجعلها فريدة بين أمم العالم ، لها نكهتها الخاصة وشخصيتها المميزة وقد أهدي كتابه هذا إلي ذكري صديقه النبيل مصطفي كامل باشا الذي قضي نحبه عام ١٩٠٨ – – والكتاب بعد ذلك لا يحوي تحليلاً علمياً أو اجتماعياً بل هو مجرد انطباعات أديب لماح يملك أن يرسم بقلمه مختلف الألوان في بهجة تجذب القلوب وتشد العقول – – – ،

جان ليون جيروم Jean–Léon Gérôme

الرسام والنحات الفرنسي المشهور ١٨٢٤–١٩٠٤م من أشهر الفنانين المستشرقين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، زار مصر عام ١٨٥٤ ، وطاف بالعديد من بلدان الشرق الأدني إلا أن مصر ظلت هي معشوقته الأثيرة

وأمضي أكثر من شتاء في ذهبية علي النيل بالقاهرة يدرس بعناية شديدة المباني الإسلامية ومحتوياتها ، ويفتش بعيون كاتب الحوليات وعالم الآثار عن مشاهد الحياة اليومية المصرية والأحداث التاريخية – – حتي أذهل معاصريه باتساع الموضوعات التي تناولها – – ولمدة ثلاثين سنة احتلت لوحات جيروم مكان الصدارة في معارض صالون باريس سواء تصاوير القصص والشخصيات التاريخية

لويجي مايير Luigi Mayer

كان العديد من الرحالة الذين زاروا الشرق الأدني بكثرة قرب نهاية القرن الثامن عشر علي مستوي عالي من الكفاية الفنية ، فقد كان معظم أثرياء الإنجليز قبل اختراع التصوير الفوتوغرافي من هواة الرسم ، ومن لم يكن يجيد التصوير منهم اصطحب معه في رحلته رساماً وقد قام الفنان البريطاني لويجي مايير Luigi Mayer برسم ثلاثة عشر لوحة عن مصر في الفترة من سنة ١٨٠١م إلي سنة ١٨١٠م وكانت أبرز هذه اللوحات لوحة مقياس النيل ولوحات الأهرامات والنيل

وعلي أي حال قد يكون فاتني ذكر أحد المؤرخين الكبار أو أحد عشاق الحضارة المصرية وأرجو أن تلتمس لي العذر وتفترض حسن النية ، وإذا عدنا للحديث عن كتابة التاريخ والبحث التاريخي بشكل عام سنجد أن المؤرخين الأوائل من العرب والمسلمين لم يكن في أزمانهم قد تم اكتشاف المقابر الفرعونية ولم يكن قد تم حل لغز اللغة المصرية القديمة ، أما الآن فيمكن معرفة الكثير عن التاريخ الفرعوني من مصادره الأصلية ، وبالتالي يمكن حاليًا إلي حد ما كتابة موجز لتاريخ مصر بالكامل منذ العصر الفرعوني كما حاولت أن أفعل ، بل فعلت بالفعل ولا أعرف مدي صحة ما فعلت فكلها كما ذكرت فقرات منقولة من كتب ومصادر مختلفة والعهدة علي من كتبها ممن شارك في كتابة تاريخ مصر

وقد خصصت بعض العصور بكتابة كتاب مستقل عنها ، وأعتقد أنه قد حان الوقت لأخبرك بيان ما كتبته من كتب وأبحاث كما أفعل مع دور النشر عندما أقوم بإرسال سيرتي الذاتية الأدبية مع أي بحث أو كتاب جديد أرسله للنشر سواء ورقيًا أو الكترونيًا ، لأن السيرة الذاتية الأدبية تكون مطلب من مطالب دار النشر لتقبل العمل المقدم لها ، ويمكنني بالطبع استغلال هذه المذكرات في الدعاية لكتبي وزيادة عدد القراء والمتابعين لصفحتي علي الفيس بوك

وأنت عزيزي القارئ إذا كنت قد صبرت علي قراءة كل ما سبق ومستمر معي حتي الآن فأعتقد أنه قد أصبح لك الحق في معرفة المزيد[١٦] عني[١٧] وعن ما كتبته من أبحاث ومؤلفات[١٨] ، ولنبدأ بما هو منشور علي شبكة الانترنت ككتب pdf ويأتي علي رأسها بالطبع ما يمكن أن أسميه أبو جميع كتبي ورواياتي التاريخية وهو منشور في عدة مواقع وهو كتاب ١ –(موجز تاريخ مصر من العصر الفرعوني إلي العصر الجمهوري)

أما باقي الكتب المنشورة الكترونيًا[١٩] علي النت فبيانها كالآتي :

كتاب ٢ –(قرأت لك فقرات من كتب ممتعة) ، وكتاب ٣ –(من كتابات المؤرخين عن عصر الفراعين) ، وكتاب ٤ –(شارع المعز لدين الله الفاطمي) ، وكتاب ٥ –(مصر والمصريين) ، وكتاب ٦ –(سلاطين وبكوات) ، وكتاب ٧ –(من مينا إلي هرقل) ، وكتاب ٨ –(فرعون ذي الأوتاد) ، ورواية ٩ –(ولي النعم) ، ورواية ١٠ –(القاهرة ١٩٣٦) ، ورواية ١١ –(عودة الجبرتي)

أما الكتب المطبوعة والتي تم نشرها ورقيًا فأعتقد أنه من اللائق أن أذكر اسم كل كتاب مقرونًا باسم دار النشر التي قامت بإصداره ، لعدة أسباب منها علي سبيل الدعاية بالطبع للكتب ولدور النشر ، ومنها أيضًا لأنها مجموعة متميزة من أفضل دور النشر في مصر ، وبيانها وبيان الكتب كالآتي :

(١) دار كليوباترا للنشر والتوزيع[٢٠] ، كتاب ١٢ –(عزيز مصر محمد علي باشا) ، وكتاب ١٣ –(أيام أفندينا) وكتاب ١٤ –(من مذكرات الضباط الأحرار) ، ورواية ١٥ –(شياشكو) ، ورواية ١٦ –(أحلام قلاوون) ، كتاب ١٧ –(من الإسكندر الأكبر إلي كليوباترا)

---

[١٦] محمد عبد العزيز محمد مصطفي عرموش–مؤرخ وروائي مصري ، عميد سابق بالقوات المسلحة المصرية وحاصل علي ميدالية الخدمة الطويلة والقدوة الحسنة من الطبقة الأولي –خريج كلية الدفاع الجوي سنة ١٩٨٩ وحاصل علي بكالريوس هندسة اتصالات – مواليد القاهرة سنة ١٩٦٧ – البريد الإلكتروني mzizoihhm@gmail.com = محل الإقامة : مدينة الاسماعيلية –

رابط الحساب الشخصي علي الفيسبوك– محمد عبد العزيز عرموش–https://www.facebook.com/mzizoihhm رابط صفحة الكاتب محمد عرموش –علي الفيسبوك–
https://www.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AA%D8%A8-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%B4-109952991486930

رابط صفحة من عجائب تاريخ مصر علي الفيس بوك –https://www.facebook.com/Wonders.of.Egypts.history/

رابط صفحة من عجائب تاريخ مصر علي جوجل–https://wondersofegyptshistory.blogspot.com/–رابط صفحة قرأت لك فقرات من كتب ممتعة علي الفيس بوك–

https://www.facebook.com/enjoyablebooksforyou/---رابط صفحة الكاتب علي تويتر –https://twitter.com/mzizoihhm

[١٧] رابط صفحة الكاتب محمد عرموش –علي الفيسبوك
https://www.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AA%D8%A8-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%B4-109952991486930

[١٨] الملحق المرفق يتضمن صور الكتب والمؤلفات التي تم نشرها بحمد الله

[١٩] قمت باستخدام ثلاثة منصات متميزة للنشر الإلكتروني كالآتي
https://www.facebook.com/agpublishing/
https://www.noor-book.com/ar/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B2%D9%8A%D8%B2-%D8%B9%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%B4/books
https://foulabook.com/ar/author/%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B2%D9%8A%D8%B2-%D8%B9%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%B4

[٢٠] دار كليوباترا للنشر والتوزيع –شارع عبد الواحد خليفة –دار السلام –القاهرة–ت 01125574129 –dar.cleopatra@gmail.com

(٢) المكتبة العربية للنشر والتوزيع[٢١] ، كتاب ١٨ –(مات الملك عاش الملك) ، ورواية ١٩ –(أنا والباشا)

(٣) دار تويتة للنشر والتوزيع[٢٢] ، رواية ٢٠ –(اعترافات خاين بك)

(٤) دار إضافة للنشر والتوزيع[٢٣] ، كتاب ٢١ –(أحوال المماليك في مصر)

(٥) دار أكتب للنشر والتوزيع[٢٤] ، كتاب ٢٢ –(عندما حكموا مصر) ، كما تم التعاقد والحمد لله مع دار أكتب لنشر الكتب الآتية بعد وستصدر قريبًا إن شاء الله وبيانا كالآتي : كتاب ٢٣ –(من عجائب تاريخ مصر) ، كتاب ٢٤ –(دردشة تاريخية) ، كتاب ٢٥ –(تأملات عصرية في الحملة الفرنسية) ، رواية ٢٦ – (جئت مع نابليون ولكن) ، رواية ٢٧ –(يوم عاد الزعيم)

هذا بالنسبة للكتب المنشورة ، وقد كانت لي أيضًا تجربة تصوير فيديوهات أتحدث فيه عن بعض المقارنات بين بعض الأحداث التاريخية وهي موجودة علي صفحتي علي الفيس بوك[٢٥]

ومن المواقف التي تسعدني جدًا عندما أجد أحد كتبي قد تم الكتابة عنه في أحد المواقع[٢٦] أو تم استخدامه كمرجع لتوضيح موقف تاريخي معين[٢٧] ، أو عندما يتم الدعاية عن أحد كتبي علي صفحة دار النشر أو صفحة مكتبة توزيع ، أو أري صورة الكتاب علي رف أحد المعارض

ولننتقل للحديث عن تجربتي في كتابة الروايات التاريخية فقد قمت بتحويل بعض كتبي وأبحاثي التاريخية إلي روايات ، وإليك ما تم من محاولات لفعل ذلك

أنا والرواية

أود أن لا تخلو هذه المذكرات والخواطر من ذكر تجربتي في كتابة الرويات التاريخية ، ففي الحقيقة هي كتب تاريخ متنكرة في صورة روايات تاريخية ، ولعل اتجاهي لكتابة التاريخ في شكل روايات كان لعلمي أن

---

[٢١] المكتبة العربية للنشر والتوزيع–١٣٨ شارع الملك –فيصل –جيزة–ت 01014977934–almaktaba79@gmail.com–arabiclibrary2017.site123.

[٢٢] دار تويتة للنشر والتوزيع–٧ شارع محمد أبو العطا–فيصل–جيزة–ت 01017799799 –tweetpublishing2017@gmail.com

[٢٣] دار إضافة للنشر والتوزيع–٤٤ سيدي علي البدوي–كوم الدكة–الاسكندرية–ت 01006422066–info@idafabooks.com–http://www.idafabooks.com/

[٢٤] دار أكتب للنشر والتوزيع–١٢ شارع عبد الهادي الطحان من شارع الشيخ منصور –المرج الغربية–القاهرة–ت 01111947957–daroktob1@yahoo.com

[٢٥] https://www.facebook.com/%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%AA%D8%A8-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%B9%D8%B1%D9%85%D9%88%D8%B4-109952991486930

[٢٦] https://www.youm7.com/story/2021/7/5/%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D9%85%D8%B9%D8%B1%D8%B6-%D8%A7%D9%84%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%85%D9%86-%D9%85%D8%B0%D9%83%D8%B1%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%A8%D8%A7%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AD%D8%B1%D8%A7%D8%B1-%D9%8A%D8%B1%D8%B5%D8%AF-%D8%A3%D9%87%D9%85-%D9%81%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%AA/5177978

[٢٧] ورد اسم الكاتب وفقرات من كتبه في موقع اليوم السابع كالآتي :-أ – ذكري معركة امبابة بين المماليك والحملة الفرنسية بالرابط التالي :-_____

ب – الملكة زنوبيا ملكة تدمر تسيطر علي مصر لفترة في العصر الروماني وابنها وهب اللات يضع صورته علي العملة بالرابط التالي :_____

الكثير من الناس يحبون قراءة القصص والرويات ، وبما أنني أتمني أن تصل المعلومات التاريخية إلي اكبر عدد من القراء قررت أن تكون في شكل أدبي روائي ، ولأنني لست روائي في الأساس فقد حاولت التحايل علي ذلك ولجأت إلي أساليب أخري بعيدة عن الأسلوب المتبع في كتابة الروايات ، واعتبرت أن الشخصيات التاريخية تغنيني عن بناء شخصيات من خيالي إلا إذا اضطرتني الكتابة لذلك ، كما اعتبرت أن سخونة الأحداث التاريخية نفسها تغنيني عن الحبكة الدرامية المحكمة التي يجيد تأليفها الأديب الروائي الحقيقي وسأذكر لك بعض أمثلة علي أفكار الروايات التي قمت بكتابتها

فمثلًا رواية (أنا والباشا) رواية تاريخية تروي أحداث حقيقية من عصر محمد علي باشا وتعتمد علي ما ورد في عدة كتب تاريخ تم الإشارة إليها في نهاية الرواية كمراجع ومن أهمها كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي وكتاب عصر محمد علي لعبد الرحمن الرافعي وكتاب الفرعون الأخير لجلبرت سينويه وغيرها من الكتب ، وفي هذه الرواية تخيلت علاقة صداقة وطيدة بين بطل الرواية الأول محمد علي باشا والبطل الثاني محمد بك لاظ أوغلي حيث يجتمعان معاً قبل وبعد كل حدث من أحداث الرواية وكأن هذا اللقاء هو الذي تتكون فيه أفكار محمد علي قبل أي حدث ، وحاولت تخيل ما يدور في عقل محمد علي قبل إقدامه علي فعل أي حدث من خلال حواره مع لاظ بك البطل الثاني للقصة ، ومن أهم هذه الأحداث التي تتضمنها الرواية ما حدث في مصر خلال الخمسة سنوات التي تلت رحيل الحملة الفرنسية والصراع علي السلطة ودور محمد علي فيه وكيف استطاع الإطاحة بكل الولاة العثمانيين الذين تم تعيينهم بواسطة السلطان العثماني ، ثم كيف استطاع محمد علي اكتساب ثقة زعماء الشعب فساعدوه علي الوصول للحكم وكيف واجه حملة فريزر ثم كيف أطاح بالزعامة الشعبية ثم مذبحة القلعة ثم حروب محمد علي باشا في الحجاز والسودان واليونان وسوريا وتتوالي الأحداث التاريخية المثيرة مع ربطها باللقاءات والأحاديث التي تدور بين بطلي الرواية إلي أن يتم التحالف الدولي الأوروبي ضد محمد علي وهزيمة جيوشه وتدمير أسطوله وإجباره علي الانكماش داخل حدود حدود مصر وسحب قواته من خارجها وخفض عدد قواته إلي ١٨٠٠٠ جندي ومنعه من بناء السفن وتتدرج أحداث الرواية إلي أن تعتل صحته وتضعف قواه العقلية ثم يموت

أما رواية أحلام قلاوون فهي رواية خيالية من وحي تاريخ الدولة المملوكية وفكرتها وملخصها كالآتي : في إحدي ليالي شتاء سنة ١٢٨٠م بقلعة الجبل مقر الحكم في مصر المحروسة كان السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الألفي يحاول أن يخلد إلي النوم ولكنه لم يتمكن من ذلك ، ربما لكثرة الأفكار والهموم

والخواطر وتزاحمت في رأسه الذكريات بشكل عجيب ، إنه يحاول أن يتجاهل كل هذا ولا يستطيع ، فهو يتذكر حتي أدق تفاصيل الأحداث التي مر بها ، فقصة حياة بعض البشر هي مرحلة من تاريخ الوطن الذي يعيشون فيه ، فقد شارك قلاوون في أهم بل جميع الوقائع بل إن شئت فقل الملاحم والبطولات والأمجاد والنوازل والأحداث الجسام التي مر بها وطنه ، ووطنه كوطن غيره من المماليك هو مصر فهو لا يعرف غيره ولا ينتمي لسواه منذ نعومة أظفاره ، واستعرض قلاوون جميع ذكرياته منذ أن كان يحرك جسمه للأمام والخلف مع باقي الصبيان مردداً آيات القرآن أثناء تلقي دروس حفظ القرآن مع أقرانه من المماليك البحرية بجزيرة الروضة ، ما أجمل صوت الشيخ فكأنه يتردد في سمعه حتي الآن رقيقاً حالماً يملؤه الخشوع والسكينة ، لقد كانت دروس القرآن والحديث وتعلم القراءة والكتابة من أحب الدروس إلي نفسه بل ونفوس أقرانه جميعاً ، فقد كان الشيخ حليماً حنوناً يحتوي الجميع بعطفه وكأنه أم لهم حيث قد فقد الجميع معني الأمومة بل فقدوا معني جميع الصلات العائلية منذ أن تم بيعهم في أسواق الرقيق كمماليك ، وبيع هو بألف دينار كاملة عندما اشتراه الأمير علاء الدين آق سنقر بألف دينار، فعُرف قلاوون بالألفي ،

والعجيب أن ذكريات قلاوون لم تكن تمر بخاطره كما تمر الذكريات العادية بل إنها كانت أشبه بأحلام اليقظة ، فقد كان ينام ثم يستقيظ ويغفو ثم يفيق فكانت رأسه تسقط علي صدره فيغمض عينيه فيشعر بالأحداث وكأنه يعيشها بالفعل في أحلامه، فيخوض غمارها ويتفاعل معها ، ولا يستطيع أن يمنع نفسه من كل ذلك ، فيسمع جلبة الجيش المملوكي وهو خارج للقتال ، وقعقعة العجلات علي صخور الطرق ، وصهيل الخيل وجلجلة السلاح ، وصوت طبول الحرب ، وصيحات الشجعان وأنين الجرحي وسقوط القتلي ، ثم يفيق فجأة ويتأمل الأحداث والذكريات إلي أن يغلبه النوم فيعود مرة أخري لأحلامه ، فالنوم سلطان مثله تماماً بل هو سلطان أقوي منه فهو يتغلب عليه ، فمن منهما أحق بلقب سلطان ، هو أم النوم ، وظل قلاوون بين النوم واليقظة ، وكأنه يستدعي النوم ليعيش في حدث معين ويغمره تماماً بكل تفاصيله ، ثم يستقيظ ليتأمله ويفكر فيه وهكذا ، إنه لا يصدق ما يحدث له ، وظل قلاوون يحلم بما مضي ثم يحلم بما يتمني تحقيقه في المستقبل ، وقد تحققت بعض أحلامه وهو علي قيد الحياة ، وتحققت بقية أحلامه بعد وفاته ، وكان قبل موته قد روي لأولاده كل ما يعرفه عن تاريخ مصر وأوصاهم بتحقيق أحلامه ، فمات قلاوون ولم تمت أحلامه وآماله معه

أما رواية (عودة الجبرتي) فهي رواية تاريخية خيالية أيضًا تتحدث عن لقاء تم في خيالي مع المؤرخ الكبير الشيخ عبد الرحمن الجبرتي حيث أتخيل فيها أنني كنت نائمًا ورأيت الجبرتي في المنام ودار بيننا

حديث طويل حول موضوعات كثيرة ومتعددة ، تخص الماضي والحاضر فتكلم الجبرتي عن الماضي وتكلمت أنا عن الحاضر وتبادلنا الآراء ، كما استفسرت من المؤرخ الكبير عن عصر محمد علي باشا والسيد عمر مكرم وغير ذلك من المواقف التاريخية التي عاصرها الجبرتي ، والذي استفسر بدوره عما حدث في مصر والعالم الإسلامي من بعده وتعجب مما وصلت إليه أحوال المسلمين اليوم في العالم وسألني عن مراحل تطور الأحداث التاريخية وكيف تقدم الغرب وتخلف المسلمون

فقمت بسرد وشرح تاريخ مصر منذ وفاة الجبرتي إلي العصر الحديث وما حدث من أبناء وأحفاد محمد علي باشا وكيف سمحوا للغرب بالسيطرة علي مقدرات البلاد إلي أن قام الإنجليز باحتلالها ثم ماذا حدث بعد الاحتلال ، وتعتمد الرواية علي كتاب تاريخ الجبرتي فتستمتد منه الرواية آراء المؤرخ الكبير كما تعتمد علي عدة مراجع وكتب تاريخية لسرد الأحداث

أما رواية (اعترافات خاين بك) فهي رواية تاريخية خيالية من وحي ما كتبه المؤرخ الكبير محمد بن احمد بن اياس الحنفي المصري في كتابه الممتع بدائع الزهور في وقائع الدهور

وتحكي قصة الصراع بين المماليك والعثمانيين أثناء حكم السلطان قنصوة الغوري المملوكي والسلطان سليم الأول العثماني ، وقد انتهي هذا الصراع بهزيمة الغوري وضم مصر للحكم العثماني ، وتسلط الرواية الضوء علي خيانة نائب حلب للسلطان الغوري ودوره في معركة مرج دابق في شمال سوريا ، وكيف تحالف مع السلطان سليم الأول ضد السلطان قنصوة الغوري ، وتتناول الرواية الصراع الداخلي في نفس خاير بك بسبب ما فعله وهل كان علي حق أم لا ، وتناولت الرواية العديد من المواقف التاريخية الحقيقية مع اقتباسات مما كتبه ابن اياس ، مع إضافة بعض الأحاديث والحوارات التخيلية لزيادة توضيح الأحداث وتحويلها إلي قصة مشوقة بقدر الإمكان

ونأتي لرواية جئت مع نابليون ولكن ، وهي رواية تتناول شخصية خيالية وهي شخصية ضابط فرنسي اسمه تيوفيل جوتييه قَدِم مع الحملة الفرنسية ولكنه لم يغادر مصر مع الحملة ، وتوجه للقاء المؤرخ الكبير عبد الرحمن الجبرتي حيث كان الجبرتي يتردد علي المجمع العلمي الفرنسي وكان جوتييه من قوة تأمين علماء الحملة ، وتحكي الرواية تفاصيل اللقاء الخيالي الذي تم بين جوتييه والجبرتي وما دار بينهما من حوار مثير عن أحداث الحملة الفرنسية فكان كل منهما يروي ما شاهده من وجهة نظر مختلفة عن الآخر ، وجميع الأحداث التي وردت في هذه الرواية أحداث حقيقية ولكنها جاءت علي لسان شخصية خيالية ولقاء لم يتم في الحقيقة وقد تم الاستعانة بعدة مراجع لكتابة الرواية كالآتي : مذكرات ضابط في

الحملة الفرنسية علي مصر – ترجمة وتقديم كاميليا صبحي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار (الجبرتي)الجزء الخامس ، كتاب (صفحات من تاريخ مصر) للكاتب الكبير يحيي حقي ، موسوعة وصف مصر تأليف علماء الحملة الفرنسية ترجمة زهير الشايب ومني زهير الشايب

وإذا تكلمنا عن رواية (ولي النعم) فهي عبارة عن كتاب تاريخ عن عصر الخديو اسماعيل ولكن متنكر في صورة رواية تتضمن حوار بين شخصين من خيال الكاتب ولكنهما يتحدثان عن أحداث تاريخية حقيقية نقلاً عن المراجع والمصادر الآتية بعد ، وتتبلور الرواية في الحديث عن الفترة التي سبقت عصر اسماعيل بداية من عصر عباس الأول ثم عصر سعيد باشا ثم تتناول الرواية عصر اسماعيل من خلال الحديث عن أهم المواقف التي حدثت في عصره وعلاقته بالنخبة الحاكمة وأحلامه بتحويل مصر إلي قطعة من أوروبا واهتمامه بالتعليم والجيش وإنجازاته في كافة المجالات كما تتناول الرواية شغفه ببناء القصور وإقامة الاحتفالات الأسطورية ، كما تتطرق لتورطه في الديون ، وتركز الرواية في سرد السيرة الذاتية لاثنين من أكبر رجال الدولة في عصر اسماعيل وهما علي باشا مبارك واسماعيل صديق باشا المفتش ، فالأول يمثل الجانب المشرق من عصر اسماعيل والثاني يمثل سلبيات ذلك العصر ، ثم تنتهي الرواية بسرد أحداث تحول اسماعيل إلي بطل قومي وارتماؤه في أحضان الشعب مما أزعج انجلترا فضغطت مع فرنسا علي السلطان العثماني حتي قام بعزله ، وفيما يلي مراجع ومصادر الرواية : كتاب عصر اسماعيل ج١،ج٢– عبد الرحمن الرافعي – كتاب مصر من تاني – محمود السعدني – كتاب هؤلاء حكموا مصر – حمدي عثمان – كتاب مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلي اسماعيل ١٨٠٥–١٨٧٩ – د محمد حسام الدين اسماعيل – كتاب تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا – إلياس الأيوبي – كتاب تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم – تأليف محمد صبري –الطبعة الأولي – مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٦ – كتاب (صفحات من تاريخ مصر) الأستاذ يحيي حقي – كتاب (ضرب الإسكندرية في ١١ يوليو) بقلم عباس محمود العقاد –الطبعة الثانية ١٩٨٣ – كتاب (محمد علي وأولاده) تأليف جمال بدوي – كتاب (مصر من نافذة التاريخ) تأليف جمال بدوي –كتاب (مصر الخديوية –نشأة البيروقراطية الحديثة) تأليف ف روبرت هنتر – ترجمة : بدر الرفاعي –المجلس الأعلي للثقافة – المشروع القومي للترجمة –٦٣٧– طبعة ٢٠٠٥

كما توجد رواية أخري اسمها القاهرة ١٩٣٦ وهي بالطبع رواية تاريخية وتلقي الضوء كالعادة علي أحداث حقيقية في تاريخ مصر منذ نهاية الحرب العالمية الأولي وما قدمته مصر رغم أنفها لبريطانيا وحلفاءها

ومدي معاناة الشعب المصري في فترة الحرب ثم ما حدث بعد الحرب ، وملابسات تأليف الوفد المصري وقيام ثورة ١٩١٩ ثم تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذي أصدرته بريطانيا من جانب واحد بعد فشل جميع المفاوضات ثم صدور دستور سنة ١٩٢٣ والأحداث التي تلته وإجراء الانتخابات سنة ١٩٢٤ وقيام أول حكومة منتخبة برئاسة سعد باشا زغلول بعد الدستور وتستمر الأحداث التاريخية في ظل الاحتلال البريطاني والعصر الملكي

ويتم استعراض كل هذه الأحداث من خلال حوار عائلي يتم داخل منزل أسرة مصرية من خيالي وهي أسرة تعيش بالقاهرة سنة ١٩٣٦ وتلتقي كما تخيلتها كل مساء يشربون الشاي والقهوة بعد تناول الطعام فيتبادلون أطراف الحديث الممتع الهادئ والذي لا يخلو أحياناً من حدة الشباب خاصةً عندما يتطرق الحديث إلي شئون السياسة والحرب ، ورب الأسرة هو عبد اللطيف أفندي حسين الموظف في السكة الحديد وكان رجلاً حليماً يتحمل انفعالات أولاده عندما يتحدثون عن القضية الوطنية والاستقلال فهي قضية كل مصري منذ حدوث الاحتلال البريطاني لمصر ، وكان يعرف الأب بالطبع أن أولاده يشتركون في المظاهرات المعادية للإنجليز وكان يتظاهر بعدم المعرفة

ولعبد اللطيف أفندي ثلاثة أبناء من الذكور وإبنه واحدة والأبناء الذكور هم علي الترتيب حسين عبد اللطيف وهو يعمل محرر صحفي في أحد الصحف أما الأبن الثاني فهو شريف ويعمل موظف حسابات في أحد المتاجر الكبري أما شقيقهم الأصغر فهو سعد الذي تم تسميته علي اسم زعيم الأمة سعد باشا زغلول فقد كانت ولادة سعد هذا سنة ١٩١٩ خلال أحداث الثورة وهو حالياً يدرس الحقوق بجامعة فؤاد الأول أما الأبنة الوحيدة في الأسرة فيقع ترتيبها الثالث بين شريف وسعد وهي لم تلتحق بالجامعة ولكنها حصلت علي قدر كافي من التعليم في المدرسة وتحب قراءة الصحف وتجادل أشقائها وتثير الكثير من المتاعب أثناء النقاش معهم فهي كما يُقال تحب دائماً أن تُلقي بحجر في الماء الراكد

وكانت ليلي هي أول من يتكلم كل مساء ، وقد كان الأب حريص جداً علي هذا الاجتماع العائلي اليومي لأسباب عديدة ، أهمها بالطبع المحافظة علي الترابط الأسري وحتي لا يبحث أحدهم عن بديل لهذا اللقاء فيجلس علي المقاهي أو يختلط برفقاء السوء أو يتوجه إلي ملاهي شارع عماد الدين والأزبكية ووسط البلد أو قد ينضم إلي خلايا وجماعات سرية لها أنشطة غامضة

وحتي إذا لم يخرج أحدهم واختلي بنفسه في المنزل فسوف يفكر تفكير إيجابي أو سلبي من يدري ؟ فرأي الأب أن هذه اللقاءات يستطيع من خلالها معرفة ما يدور في عقول أبناءه فيجعلهم يفرغون ما بداخلهم

من أفكار ، ولكن عليه بالطبع أن يجعل الحديث ودي وحر ويتحمل حدة مناقشات الشباب المتحمس وكل هذا أهون كثيراً من البدائل الأخري لهذا اللقاء

إذن فالرواية هي استعراض لتاريخ مصر في تلك الفترة من خلال الحوار الذي يدور بين أفراد الأسرة التي تتباين شخصيات أفرادها وآراءهم ما بين مؤيد لسياسة التفاوض مع الإنجليز وبين معارض للمفاوضات حيث يري أن اللغة الوحيدة التي يفهمها الاحتلال هي المقاومة فقط ، وهذا الاختلاف في الآراء يضفي علي الحوار بعض التشويق والمتعة حيث يتم تحليل الأحداث التاريخية والتعليق عليها والاستفادة منها ، ويمكن اعتبار الرواية كتاب تاريخ عن العصر الملكي في ظل وجود الاحتلال البريطاني لمصر

ومما سبق يتضح أنني أعتمد في كتابتي للرواية علي ضرورة وجود حوار بين شخصين أو عدة أشخاص حتي أتمكن من سرد الأحداث التاريخية من خلال الحوار بين أبطال الرواية

أما عن أسلوب كتابة الرواية فيمكن كعادتي في هذه المذكرات أن أبحث عنه علي مواقع الانترنت ، وقد بحثت بالفعل ووجدت من نتائج البحث ما يلي :

تحت عنوان (كيفية كتابة رواية) كتبت : دينا عويس مقال علي موقع موضوع[٢٨] بتاريخ ٧ مايو ٢٠١٨ :

(تساهم القراءة المستمرة للكتّاب العظماء بشكل كبير في صقل موهبة الكتابة لدى الكاتب، فمن لا يقرأ لا يعرف كيف يكتب، ومن خلال هذه القراءة يمكن للكاتب محاكاة أسلوب روائيّ ما، والاستفادة من أسلوبه ومحتوى تأليفه.

ممارسة الكتابة وتدوين الأفكار

تعدّ الكتابة اليومية المستمرة وسيلة ناجحة لتحسين مستوى الكاتب في الكتابة، فالكتابة ما هي إلّا مهارة كغيرها من المهارات التي تحتاج إلى تمرين وتدريب حتى تتحسن، فبإمكان الكاتب أن يتدرب على الكتابة من خلال كتابة المدونات، أو الكتابة لنفسه،كما يحتل تدوين الأفكار وصيد الخواطر أهمية كبيرة في تطوير حبكة الرواية وتحديد موضوعها وأفكارها الرئيسية، ومن هنا فإنّه من الأفضل أن يحمل الكاتب معه بشكل دائم دفتر ملاحظات صغير يدون عليه ما يطرأ على فكره من ملاحظات وأفكار.

التخطيط لكتابة الرواية

يحدد الكاتب العناوين العريضة للرواية والأفكار الرئيسة التي ستشملها، وقبل أن يستهل الكاتب بكتابة الفصل الأول فإن عليه أن يطرح بعض الأسئلة على نفسه، مثل: ما هو نوع القصة التي سأقوم بكتابتها؟،

[٢٨] https://mawdoo3.com/%D9%83%D9%8A%D9%81%D9%8A%D8%A9_%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8%D8%A9_%D8%B1%D9%88%D8%A7%D9%8A%D8%A9

الجمهور الذي سأخاطب وأوجه له الرواية؟، وهذه الطريقة في طرح الأسئلة ستسهل البدء بكتابة الرواية، وتجعل نوع الرواية ومواضيعها أكثر وضوحًا.

الاهتمام بعناصر الرواية

يجب على الكاتب أخذ عناصر الرواية بعين الاعتبار، وأول هذه العناصر هو الخيال، فعلى الكاتب أن يعتني بتأليف ما يمكن للقارئ من خلاله أن يبدع مشاهد تخيلية، وأن يجعلهم يتعرفون على شخصيات جديدة أفضل من تلك التي يعرفونها في حياتهم الواقعية، ويستطيع الكاتب ذلك باختيار الكلمات المناسبة، ووضع نفسه مكان القارئ، ثم يعود لتعديل ما يرى أنه يستطيع تعديله من متن الرواية

أما فيما يخص شخصيات الرواية فإن وجود شخصيات مثيرة تعد من أهم أسباب نجاح الرواية، إذ أن أحداث الرواية جميعها من حبكة، وعقدة، وحل، تدور حول الشخصيات، أما البطل فيعدّ أهم شخصية في الرواية، وعلى الكاتب أن يولي اهتمامًا خاصًا به.) انتهي المقال

ومن نتائج البحث[٢٩] أيضًا تحت عنوان (أدباء: الرواية التاريخية تغري المبدعين وتثير شغف القراء) كتب السيد حسين بموقع العين الإخبارية بتاريخ الأحد ٢٣/٢/٢٠٢٠ ١١:٠٨ م بتوقيت أبوظبي ما يلي :

("العين الإخبارية" تتحدث مع بعض الكتاب والأدباء العرب؛ ممن كتبوا روايات تسجل حقب مختلفة من التاريخ العربي.--شهدت الفترة الأخيرة حماساً من المبدعين لكتابة الرواية التاريخية، والتي وجدت إقبالاً جماهيرياً لافتاً، نظراً لما يحمله التاريخ من خيال وقدرة على إثارة ذهن ومشاعر القارئ .

"العين الإخبارية" استطلعت آراء بعض الكتاب والأدباء العرب؛ ممن كتبوا روايات تسجل حقب مختلفة من التاريخ العربي.

وقال الروائي الجزائري واسيني الأعرج، وهو صاحب خبرة في كتابة الرواية التاريخية: "أثناء الكتابة كما يقول المثل الفرنسي أكون بقبعتين، الأولى قبعة الكاتب، والثانية قبعة المؤرخ، وهذه حتمت عليّ العمل طويلاً على الوثائق، وقد انتقلت إلى بلدان عربية كثيرة عاشت زمن التمزيق."

وأضاف "الأعرج": "عملت على مشروع التاريخ العربي روائياً، من حيث الأمكنة والأزمنة والتواريخ، من وثائق وكتب وفيديوهات."

[٢٩] https://al-ain.com/article/writers-historical-novel-passion-readers

وتابع: "واحدة من وظائف كاتب الرواية التاريخية أن يهيمن على المساحة التي يعمل عليها، ولا يترك شيئاً للصدفة، وإلا سيفشل في مشروعه في النهاية."

وأكد الروائي الجزائري أنه ليس مؤرخاً في النهاية، لكن يكتب بشكل إبداعي، ولذلك كان عليه أيضاً أن يرتدي قبعة الكاتب، وهي قبعته الأساسية، وهي المهمة الأصعب.

وأوضح: "صعوبتها تكمن في كيفية جعل مادة جافة وميتة عملياً مادة تاريخية حية وديناميكية، بها أنفاس وروائح وبشر يتحركون، وهذا ليس أمراً سهلاً؛ لأننا داخل مادة متضاربة متناقضة ولغات متعددة فرنسية عربية وإنجليزية وإسباني، وعليّ أن أجد مسلكا للحكاية ."

وتناولت الكاتبة العراقية إنعام كجه جي، في روايتها "النبيذة" ٨٠ عاماً من تاريخ عراق معذب، وأحداث تدور بين فلسطين، بيروت، العراق، كراتشي، فنزويلا وباريس.

وقالت: "أنا أسير مع السائرين، وأتقدم في العمر، وأتفرج على الملهاة الجارية من حولنا، وأغضب وأيأس ثم أبتسم وأواصل التقدم والفرجة."

وأضافت: "أتعامل كروائي. أي كمنبع لسرد يجتهد ليجعله مشوقاً وذا دلالة، لكنني أعود وأقول إنني لم أستعر من التاريخ القريب سوى ذيوله التي عبثت بحياتنا الحاضرة."

أما الروائية البحرينية لمى سخنيني فقالت: "ما أكتبه هو ليس نبشاً في التاريخ، بقدر ما هو اتكاء وسرد لحقبة تاريخية مازلنا نعيش صداها إلى الآن."

وأضافت: "أحداث نكبة ١٩٤٨ ونكسة ١٩٦٧، وكل النكبات والنكسات اللاحقة، لا تزال حاضرة في ذاكرة الشعب الفلسطيني الحية، فالرواية هي عمل إبداعي يزيد التاريخ توهجاً وحضوراً."

وأكدت "سخنيني": "لا أسعى إلى محاكمة التاريخ أو الحكم عليه، بل أسرد وقائعه، وأعرض وقع تأثيره على شخصيات رواياتي."

ويرى الروائي اليمني محمد الغربي عمران أنه رغم تخصصه في التاريخ، إلا أنه يعتبره أداة للتحليق بالخيال، والإتيان بشخصيات وأحداث لم تكن إلا في الرواية ."

وأشار الغربي عمران إلى أنه لا يوجد في أعماله توثيق، وليس من وظيفة الرواية التوثيق، وإن اتكأت الرواية الحديثة على شتى الفنون والعلوم كالجغرافيا والتاريخ والسينما والمسرح، في سبيل تقديم عمل فني يدهش القارئ، ويقدم ثقافة في قالب شيق .

وأكد عمران: "الرواية لا تستهدف تقديم علوم أو معلومات، والتاريخ وغيره ضمن ذلك، عدا ما يأتي ضمن السياق، وليس من وظيفتها تقديم نصائح أو حلول، هي فقط تناقش وتطرح أسئلة، وغايتها تحريك واستدراج العقل للغوص في أعماق النص، لينطلق محلقاً باحثاً عن أجوبة للوجود، وجدوى إنسانيتنا على هذه البسيطة."

الروائي السوداني أمير تاج السر، تناول أيضاً في بعض كتاباته التاريخية حقب مختلفة من تاريخ السودان، وحول معرفة كيف يمكن للرواية التاريخية أو التوثيق التاريخي للأدب أن ينقذ التاريخ من التزوير، وخاصة في تلك الظروف السياسية المتغيرة.

وقال: "ذكرت كثيراً أن الأدب أكثر صدقاً من التاريخ؛ لأن الأديب يكتب مشاهدات عرفها، والتاريخ يحاول أن يفعل ذلك وربما لا يصدق، ويُكتب من وجهات نظر متعددة، والذي يقرأ رواية "ليلة لشبونة" للألماني أريك ماريا، يجد تاريخاً قوياً وملهماً، وفيه صدق، عما يكتب عن تاريخ الحرب العالمية الثانية."

كما تناولت الروائية المصرية ضحى عاصي، في روايتها الأخيرة "غيوم فرنسية"، إحدى الشخصيات التي دار حولها جدل كبير في التاريخ المصري نتيجة تعاونه مع الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨-١٨٠١)، وهو المعلم يعقوب.

وقالت "عاصي": "دراستي للمصريات، وعملي سنوات طويلة كمرشدة سياحية، جعلني لا أرى التاريخ بعيداً كما نتصور، ولذا إذا كان هذا النص كاشفاً؛ فلا أعتقد أنه يكشف أسرار اللعبة التاريخية وعبث الإنسان بالتاريخ، بقدر ما كان محاولة لقراءة واقع ومشاعر وأحلام وأفكار شخصيات النص التي عاشت قبلنا بمائتي عام."

وأضافت: "بالنسبة لي الكتابة في التاريخ ليست نبشاً في الأسرار، ولا للكشف أو حتى المراجعة، ولكنها تواصل مع روافد الحاضر الذي نعيشه، بما فيه من استمتاع بجزء من حدوتة الإنسانية الكبرى الممتدة والمتصلة.") انتهي المقال

والآن يمكنني الانتقال لموضوع آخر لأتكلم فيه معك عزيزي القارئ فكما تعلم أن هذه مذكراتي ولي أن أنتقل للحديث من موضوع إلي موضوع طبقًا لما يخطر علي بالي ، ومن حقك بالطبع عدم الاستمرار في القراءة ، ولك جزيل الشكر بالطبع لأنك تحملتني إلي الآن ، ولعلك وجدت في هذه المذكرات خلاف ما كنت تتوقعه تمامًا ، فأنا نفسي لم أكن أتوقع أن أكتب في هذه الموضوعات عندما شرعت في الكتابة ، أما الموضوع الذي أود الإنتقال إليه فيخص الحياة بالمعاش وقد يكون مفاجأة بالنسبة لك وهو بعنوان (المعاش والحيوان

الأليف) ، فقد يرغب المحال للمعاش أن يستبدل مرافقة البشر بمخلوقات أخري لا تتوفر فيها صفات البشر ، ولا ينبغي أن نمضي بهذه الفكرة بحد أبعد من ذلك.

المعاش والحيوان الأليف :

من الأمور التي قد يفعلها المحال للمعاش إقتناء وتربية حيوان أليفة فهو كأنه يستبدل البشر بكائنات ومخلوقات أخري ، ولكن ما أنواع تلك المخلوقات التي يمكن اقتنائها علي المعاش ؟

هناك بالطبع أسماك وطيور الزينة والكلاب والقطط والحمام والسلاحف والقرود والببغاوات والهامستر وغير ذلك وتختلف الحيوانات طبقًا للمساحة المتوفرة والبيئة والإمكانيات بل والدولة التي يعيش فيها الإنسان ، ففي بعض البلاد يمكنك أن تربي غزال في حديقة منزلك ، وهناك عدة حقائق مؤكدة عن الحيوان الأليف ، أولها أنه ليس من البشر فمن المستحيل أن يخدعك أو يجاملك فلن تري منه نفاق أو كذب او رياء كما أنك لن تحتاج أي مهارات اجتماعية كي تتعامل معه ، فهو كالكتاب المفتوح بالنسبة لك ، ومشاعره كلها صادقة ، وستجد متعة كبيرة عندما تطعمه أو توفر له ما يحتاجه فهو أسير لديك ، وعلي ذكر المتعة فأنت كلما تقدمت بالسن ستستمتع بكل شئ أضعاف ما كنت تستمتع به في صغرك ، بل والعجيب أنك ستقبل علي الحياة وتحرص عليها أكثر مما يحرص عليها الشباب ، فأنت إذا وجدت مشاجرة مثلًا بين بعض الناس في الشارع ستجد أن الشباب فقط غالبًا هم من يتدخلون لفضها وستجد كبار السن يقفون بعيدًا نسبيًا يحاولون تهدئة الأمور بالكلام فقط ، فالكبير في السن لا يريد أن يفقد كل المكتسبات التي عاش طيلة حياته علي توفيرها لنفسه ولأسرته ، وأسرته نفسها تعد من مكتسباته التي لا يحب الابتعاد عنها

والظريف أن الإنسان في بداية حياته قد يمتلك الصحة والوقت ولكنه لا يمتلك المال ، ثم تبدأ مرحلة العمل وجمع المال فيمتلك الصحة والمال ولكنه لا يمتلك الوقت فوقته كله تقريبًا يكون مشغول بجمع المال ، ثم تأتي في النهاية المرحلة الأخيرة من حياته حيث يمتلك المال والوقت ولكنه لا يمتلك الصحة ، وسبحان الله مغير الأحوال ، لذلك تكون السعادة الحقيقية للإنسان في الرضا عن جميع أحواله ، في جميع مراحل حياته فيعرف الغرض من وجوده في الحياة وهو العبادة وتقوي الله

وإذا عدنا للحديث عن وجود حيوان أليف في حياة الإنسان أو في مرحلة المعاش تحديدًا سنجد أن أفضل صديق للإنسان من الحيوانات الأليفة هو الكلب بلا شك ولكن لا يجوز اقتناءه إلا في حالات خاصة جدًا ، والكلب يحب ويفرح ويغضب ويخجل ويخاف ويمزح ويقوم بالكثير من الأمور المبهجة وينتمي للشخص الذي يمتلكه فهو صاحبه وليس كالقطط مثلًا تنتمي للمكان أكثر مما تنتمي للشخص ، ولكنها تتميز

بالعديد من المزايا التي تجعل الإنسان يشعر بالدفء والحنان ، والحيوانات عمومًا مطالبها واضحة ومحددة فهي تحتاج الطعام والشراب والمأوي أما غريزة التكاثر فتحتاجها لبقاء النوع فقط وليس للمتعة ، فمن المستحيل أن تقبل أنثي أي حيوان التزاوج إذا كانت حامل باستثناء أنثي الأسد فيما أعتقد ، فالحفاظ علي النوع في الأساس هو الغرض من التزاوج ، وعلي أي حال من السهل توفير الحاجات الأساسية للحيوان الأليف فهو يحتاج إلي كما قلت للطعام والشراب والمأوي والتزاوج وقبل كل ذلك الأمان ، فالأمان هو الحاجة الأساسية في هرم الحاجات ، وليس للحيوانات فقط بل لجميع المخلوقات ، وقد بحثت بالطبع علي شبكة الانترنت كعادتي عن موضوع تربية الحيوانات الأليفة ووجدت في نتائج البحث عدة مقالات ممتعة

فتحت عنوان (هوس تربية الحيوانات: هروب من الوحدة أم افتقار للصداقة؟) ، كتبت فادية عبود "مصر"، ورحمة ذياب "السعودية" بتاريخ 18 يوليو ٢٠١٥ --19 / 1-دكتور شريف- علي موقع (لها)٣٠ ما يلي : (تربية الحيوانات الأليفة هوس يجتاح الكثيرين، لكن ما هي أسبابه؟ هل هو محاولة للهروب من إحساس بالوحدة؟ أم افتقار إلى الصداقة الحقيقية بين البشر فيبحث البعض عنها لدى حيواناتهم الأليفة؟ وهل صحيح أن المرأة أكثر ميلاً إلى تربية الحيوانات من الرجل؟ هذا التحقيق من مصر والسعودية يجيب عن العديد من الأسئلة التي تُطرح حول هذا الموضوع.

أحمد محمود: «الخل الوفي» خير رفيق في وحدتي

لجأ أحمد محمود "مونتير، ٢٦ عامًا" إلى تربية الكلاب عندما قرر الانفصال عن أسرته والعيش في منزله المستقل في مدينة أخرى ليكون أقرب إلى عمله. يقول: «بدأت تربية الكلاب منذ استقللت عن أسرتي في منزلي الجديد، كنت مضطراً للاستقلال لأن عملي بعيد جداً عن منزل الأسرة. حينها شعرت بالوحدة، فقررت إيناس وحدتي بالخلّ الوفي وهو الكلب، فاقتنيت «لي لي» وكانت نعم الصديق والرفيق.«

بعدما نفقت «لي لي» اقتنى أحمد كلباً آخر، وارتبط به عاطفياً إلى درجة كبيرة، ويحكي قائلاً: «كنت أشعر بأنه صديقي الصدوق، كان يرفض النوم ليلاً على الأرض أو في بيته الخشبي، بل كان يقاسمني السرير. إنه أكثر من مجرد كلب، فهو كان نعم الصديق في الوحدة، وعندما يخطئ يختبئ مني حتى لا أوبخه أو أعاقبه.«

أسماء أبو شال: مع السلاحف والقطط والكلاب والصقور والأرانب

---

٣٠ https://www.lahamag.com/article/41474-%D9%87%D9%88%D8%B3-%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA-%D8%B1%D9%88%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%AA-%D9%87%D8%B1%D9%88%D8%A8-%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%AF%D8%A9-%D8%A3%D9%85-%D8%A7%D9%81%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B1-%D9%84%D9%84%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D9%82%D8%A9

أسماء أبو شال "٣٤ عامًا" نشأت في منزل عاشق للحيوانات الأليفة، فورثت حبها لها من أبيها وعماتها. بدأت في تربيتها منذ كان عمرها سبع سنوات، عندما أهداها والدها أول قطة وأصبحت صديقتها المقربة. تقول: «أحياناً يتحول منزلي إلى جزء من حديقة حيوان، فقد ربيت قططاً وكلاباً بمختلف أنواعها وسلاحف برية ومائية، وصقوراً. كما ربيت ثعابين لكنها لم تستهوني طويلاً، فبغض النظر عن استخراج السم منها، كنت أضطر لخلع أسنانها كل فترة حتى لا تعض أو تؤذي. كما اقتنيت الـ«هامستر» التي تشبه فئران التجارب، لكني لم أكرر التجربة، لأنها في حاجة إلى نظافة فائقة.«

تتابع: «حتى الحمام الزاجل والحمام العادي اهتممت بتربيته، وكذلك العصافير وأسماك الزينة. ولكن تظل القطط عشقي الأول والأخير، لديَّ حالياً ثلاث قطط هي، «لولو» عمرها ١٢ عاماً، فهي صديقتي ولم أصادق بشراً لمدة ١٢عاماً متصلة، إلى درجة أنها تشعر بي دونما التحدث، فبمجرد أن أكون مكتئبة أو يراودني شعور بالبكاء تقترب مني وتمسح وجهي بيدها، وتنظر إليَّ وكأنها أمي عندما تقول لي ماذا بك وتطبطب عليَّ.«

تضيف: «أما «بيبيسي» فهو ابن «لولو» وعمره تسع سنوات، يغار عليَّ وكأنني محبوبته أو أمه، فإذا اقتربت مني قطة غيره أو أي حيوان آخر يجري باتجاهي ويقترب مني، وكأنه يقول لي «أنا هنا»، ولا يهدأ إلا عندما أداعبه. أما «توتي» فعمرها عامان تقريباً، وهي قطة شيرازية وجدتها في الشارع تائهة من أصحابها لا تستطيع الأكل كبقية قطط الشارع، فاعتنيت بها وانتظرت أحداً يسأل عنها.«

ليلى عبد الحميد: في رفقة قططي لا أشعر بالوحدة

ليلى عبد الحميد، ناشطة حقوق حيوان، تؤكد أنها تطوعت في هذا المجال بناءً على حبها للحيوانات، وتقول: «الحيوانات لديها رادار عاطفي تستشعر به من يحبها فتقبل عليه.«

تربي ليلى أربع قطط في بيتها، فضلاً عن القطط والكلاب التي تعتني بها في الشارع، وتقول: «المشكلة أن الحيوانات بصفة عامة والأليفة بصفة خاصة تلاقي سوء معاملة في مصر، لذا تطوعت مع أكثر من جمعية لرعاية الحيوانات الأليفة، وكلما وجدت قطة أو كلباً أو أي حيوان مجروح في الشارع آخذه إلى تلك الجمعيات من أجل علاجه.«

وتتابع: «مرة وجدت كلباً صدمته سيارة على الطريق الدائري السريع، ولا أحد حاول وضعه على جانب الطريق، وكان عرضة للاصطدام ممن لا يبالون بالأرواح، حتى أوقفت سيارتي وأخذته للعلاج.«

ترى ليلى أن الحيوانات الأليفة هي مصدر الأنس وقت الوحدة والسعادة وتقول: «لا أشعر بالوحدة مطلقاً طالما أنا برفقة قططي.«

أسماء مصطفى: بعض أصدقائي تغلّبوا على وحدتهم بتربية الحيوانات

تؤكد أسماء مصطفى "٢٥ عاماً" أن تربية الحيوانات الأليفة حل رائع لمن يعانون مشكلة الوحدة، وأن بعض أصدقائها خرجوا من أزمة الوحدة بتربية الحيوانات الأليفة، أما هي فتشبع هوايتها فقط. وتقول: «أحياناً أتعجب من حبي الشديد للقطط. وعندي قطة اسمها «بوليتا» وهي أغلى كائن لدي، رغم أنني لا أعاني من الوحدة، ورغم أنني اجتماعية جداً إلا أنها الصديقة الأقرب إلي.«

وتتابع: «بدأت تربية القطط منذ كان عمري ست سنوات، لكني كنت أميل أيضاً إلى تربية الكتاكيت، رغم أن عمرها قصير سرعان ما تموت، لكن أذكر أنني كنت شديدة التعلق بكتكوت كبر وصار ديكاً كبيراً، وعندما حان وقت ذبحه، أعطته أمي لأحد الأقارب حتى لا نذبحه وتصيبني عقدة من أكل الدجاج.«

تطرقت أسماء أيضاً إلى تربية الكلاب والسمك، وتقول: «رغم تعدد الحيوانات التي ربيتها، إلا أنني أجد القطط الأقرب لي، فهي تتمتع بذكاء يقترب من ذكاء البشر، فلديَّ قط، عندما يجوع يقترب مني ويدق على باب الثلاجة إذا كان يريد أن يأكل الجبنة، وإذا أراد أن يأكل سمكاً يصعد إلى فريزر الثلاجة ويدق فهو يعرف مكان السمك.«

تضيف: «أتعلم الحنان من القطط، وعندما سقطت «بوليتا» من الدور السابع بعد ولادتها لأطفالها، كسرت رجلها ووضعناها في الجبس، وبمجرد تعلم أولادها السير كانت تقفز بكل قوة لتعيدها إلى جوارها خوفاً عليها من المخاطر، ثم تتألم من رجلها بعد إعادتها والاطمئنان عليها.«

أمل سلام: الحيوانات الأليفة تسد الفراغ الذي يتركه البشر في حياتنا

أما أمل سلام "٣٨ عاماً" فتؤكد أن الحيوانات الأليفة تسد فراغاً كبيراً في حياتها، خاصة وقت سفر أمها وزوجها.

تضيف: «بدأت تربية الحيوانات الأليفة منذ كان عمري عشر سنوات، وأعشق على وجه الخصوص القطط والكلاب ذات الحجم الكبير، فالكلب صديق وفي، أما القطط فلا يخلو منها منزلي فهي رفيقاتي دائما، تواسيني في حزني ووحدتي وكأنها تشعر بمكنون قلبي.«

تلفت أمل إلى تألمها إذا أصاب أحد قططها مكروه، فسرعان ما تهرول به إلى الطبيب البيطري، وتقول:

«ماتت قطتي فبكيت عليها بحرقة، وأصابني الاكتئاب فترة لا بأس بها، وامتنعت عن الطعام لمدة ثلاثة أيام، فأنا أعتبرها أحد أفراد العائلة». وتنهي كلامها قائلة: «هذه المشاعر لا يفهمها إلّا من يربّي الحيوانات الأليفة، البعض يعتقد أننا مجانين عندما نتحدث عن حيواناتنا.«

دكتور شريف: قردتي خطفت الأضواء في فرح صديقي وكلبي يضعني في مواقف كوميدية

أما الدكتور شريف الحيوان، مساعد مدير المستشفى البيطري الدولي، فقد ساقه حبه للحيوانات الأليفة إلى التطوع في منظمات حقوق الحيوان، ثم دخول كلية الطب البيطري ليهب حياته لرعاية الحيوانات الأليفة.

يقول: «تجولت بلاداً كثيرة حباً بالحيوانات الأليفة، فقد درست في ألمانيا العلاج الطبيعي للحيوانات، وأعددت ماجستير في القلب في البرتغال، وعملت في مستشفى كلاب وقطط بالهند، وعملت بحديقة الحيوان في روسيا.«

وقع الدكتور شريف في غرام القردة «كوكي»، عندما وجدها في محل متخصص لبيع الحيوانات وقد عجز العاملون فيه عن معاملتها وترويض شراستها، فاشتراها ودربها حتى أصبحت ترافقه في كل مكان، رحلات وعملاً، ولا مانع من الحفلات والأفراح أيضاً، ويقول: «سافرت إلى الصين خصيصاً حتى أشتري لها ملابس للمناسبات، فاشتريت لها فساتين لحضور الأفراح إضافة إلى ملابس أخرى من أجل الرياضة والنادي، حتى في رحلات السفاري لم تفارقني.«

بالإضافة إلى «كوكي» يقتني الدكتور شريف كلباً سويسرياً ضخماً اسمه «سامبو» لا يفارقه بدوره، ويقول: «كثيراً ما أتعرض إلى نوادر بسبب حبي للحيوانات، فذات مرة اصطحبت كوكي إلى حفلة زفاف صديقي، فقفزت من على كتفي وخطفت «مصاصة» كانت تأكلها أخت العريس لتأكلها هي، وبعدها بفترة قفزت مرة أخرى لتتناول كوباً من العصير، أما العروسان فأهملا المعازيم ليلعبا معها، وبذلك خطفت الأضواء كلها». يبتسم ويضيف: «أما «سامبو» عندما يكون معي في السيارة، فإن كثيراً من الأطفال يحبون أن يقتربوا ليلعبوا معه، وذات مرة اصطحبته إلى البحر فكان يجري إلى الماء ليصطاد سمكاً، البعض غضب فربطته بجواري فغضب آخرون من تقيدي لحريته، فشعرت وقتها أنني بطل قصة «جحا وحماره.«

الدكتور هاشم بحري: الرجال والنساء يتساوون في الهوس بالحيوانات الأليفة وكل حيوان يكشف عن شخصية صاحبه

هل النساء أكثر ميلاً إلى تربية الحيوانات الأليفة؟ وهل يمكن أن تكون الحيوانات بديلاً للبشر وصداقاتهم؟ هل يمكن أن تعالج الشعور بالوحدة؟ هذه الأسئلة يجيب عليها الدكتور هاشم بحري، أستاذ الطب النفسي

في جامعة الأزهر، مؤكداً أنه لا إحصاءات علمية دقيقة تفيد بأن المرأة الأكثر ميلاً لتربية الحيوانات الأليفة، بل يتساوى الجنسان في ذلك، لافتاً إلى كونه مغرماً بتربية القطط.

ويتابع: «الفارق بين النساء والرجال في تربية الحيوانات الأليفة، أن النساء عاطفيات يتعلقن بالحيوانات ويشعرنّ بأنها من أفراد الأسرة، لا يمكن أن يبعنها بمقابل مادي، بينما الرجال رغم مشاعر ارتباطهم بالحيوانات الأليفة، إلا أن معظمهم يتعامل معها كـ«بزنس» في النهاية، فغالبية من يربون الكلاب من الرجال يبيعونها بعد الكبر ويجنون مكاسب مادية.«

وعما إذا كانت الحيوانات الأليفة قد تكون بديلاً للبشر وصداقاتهم، أو علاجاً للوحدة، يقول الدكتور هاشم بحري إن التعلق بالحيوانات الأليفة لا يمكن أن يغني عن البشر، وإنما من الممكن أن تسد الفراغ الذي يتركه غياب البشر فتكون علاجاً فعالاً للوحدة، كما تكون علاجاً فعالاً لوحدة المعاقين، فمثلاً الكلب بالنسبة إلى فاقدي البصر قد يكون نظارته التي يرى بها، ويعتمد عليه في الكثير من الأمور الخاصة بالحركة. ويلفت أستاذ الطب النفسي إلى أن الحيوان الأليف يكشف شخصية مربيه، فمثلاً القطط يحبها الإنسان هادئ الطباع، لأن عدد ساعات نومها أكثر من عدد ساعات استيقاظها، وبالتالي يشعر الإنسان الهادئ أنها منعزلة عنه ويلعب معها وقتاً قليلاً حسبما يشاء، أما الكلاب فيحبها الأشخاص الأكثر نشاطاً وذوو العضلات البدنية الأقوى، وهذا يفسر اقتناء الرجال لها، فالكلاب تحب الحركة الكثيرة، وبالتالي الشخص المربي للكلاب يحب المشاركة، والخيل يعشقه محبو الرياضات القوية، ومحبو المشاركة الجادة، فالفارس والحصان يندمجان في الفروسية ليصبحا كياناً واحداً.

ويحب مربو الحيوانات الأخرى، كالتماسيح والقردة وغيرها، التميز، لذا يلجأون إلى حيوانات مختلفة.

النجوم وغرائب تربية الحيوانات!

تفسير نفسي

الاختصاصية النفسية منيرة الدرعان تقول: «بعض الفتيات يلجأن إلى تربية الحيوانات كنوع من التسلية أو التقليد، أو الجري وراء مظهر اجتماعي معين، وهذه الفئة نستطيع أن نقرأها بسهولة من خلال توفر بعض المؤشرات كأن تكون تربية الحيوان في فترات قصيرة متقطعة، أو الملل السريع من الحيوان، ومحاولة تغيير أكثر من نوع، وعدم الاستمتاع بتمضية وقت معه وعدم الاهتمام به، وأن تكون تربية الحيوان شيئاً جديداً في حياة الفتاة وليس ممتداً من الطفولة.«

تضيف: «رعاية الحيوانات الأليفة هي في كل الأحوال فرصة جيدة للاستثمار في الجانب التربوي لأبنائنا»، إذ يمكن من خلال الحيوانات أن تتعلم الفتاة والطفل، بل أفراد الأسرة كافة، جملةً من المعاني الجميلة ومنها تحمل المسؤولية وتقديم الرعاية والرحمة والحنان والصبر والنظافة والرفق بالحيوان والقدرة على استنباط حاجة الحيوان من حركاته، وبالتالي تُشكل للأطفال فرصة لتنمية مهاراتهم وقدراتهم العقلية. كما تُشكل للفتاة فرصة لغرس معاني الأمومة والاهتمام والنظافة. فقد وجدنا بالتجربة أنه عندما توكل إلى الفتاة مهمة الاعتناء بحيوان مثل القطة تنمو لديها غريزة الأمومة وما تحمله من معانٍ جميلة، وكذلك الاهتمام بالآخرين والعناية والرأفة بهم، إلا أن البعض يصل إلى حد الإدمان وهنا تبدأ الخطورة.»)

ومما وجدته في نتائج البحث عن هذا الموضوع ما يلي علي موقع مفاهيم[٣١]: (كتابة Reham : آخر تحديث: ٢٠٢٠/١٠/٣٠ أنواع الحيوانات الأليفة :

الحيوانات الأليفة هي أنواع من الحيوانات التي لا تؤذي البشر بل تكون مصاحبة له ومؤنسة وكانت الكلاب أول أنواع الحيوانات الأليفةالتي استأنسها الإنسان، وتختلف الغاية من تربية الحيوانات الأليفة فالبعض يقتنيها من أجل الرفاهية والشعور بالأنس أما البعض الآخر قد يقتنيها للحراسة أو للصيد أو رعي الماشية ومنهم من يتخذ تربيتها تجارة لكسب الأموال أو لإشراك الحيوان في سباقات لربح المال.

يوجد الكثير من أنواع الحيوانات الأليفة التي تربى في كل مكان بالعالم وهناك من الأشخاص الذين يقتنون حيوانات أليفة معروفة ومشهورة أما بعض الناس يربون حيوانات غير معروفة لدى الكثير من الناس. كما أن البعض الآخر يربي الحيوانات المفترسة مثل النمور والأسود والقردة والتماسيح وعلى الرغم من كونها حيوانات مؤذية وغير أليفة ألا إنهم يستخدمون طرق لرعايتهم دون أن تضرهم بسوء. ويكون الهدف من تربية هذه الحيوانات المفترسة هو الربح والكسب المادي عن طريق إشراك الحيوان في تدريبات معينة لآداء بعض الأعمال في السيرك. ويمكننا أن نقسم الحيوانات الأليفة للأنواع التالية:

حيوانات أليفة منزلية وهي الحيوانات التي يربيها الإنسان في المنزل مثل القطط والكلاب والطيور مثل الكناري والببغاء والقيق والعقعق.

حيوانات أليفة تعيش في الحظائر الزجاجية وهي من أنواع الحيوانات التي تحتاج لظروف معينة لتنمو وتكبر مثل ظروف المناخ والرطوبة والحرارة ومنها الضفادع والسلاحف والأفاعي.

[٣١] https://mafahem.com/%D8%A3%D9%86%D9%88%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%8A%D9%88%D8%A7%D9%86%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%8A%D9%81%D8%A9

حيوانات أليفة تعيش في أحواض مائية مثل الأسماك بأنواعها المختلفة والسلاحف المائية والأخطبوط وغيرهم.

حيوانات أليفة تعيش في أقفاص وهي عبارة عن حيوانات يتم تربيتها في أقفاص داخل المنزل أو خارجه عند بعض الشروط الهامة التي توفر الحماية للحيوان مثل الأرانب والفئران والخنازير، والهامستر والشنشيلة.

حيوانات أليفة تعيش في الإسطبل وهي حيوانات تعيش في اسطبلات خارج المنزل لأنها تحتاج لمكان كبير مثل الخيول والبغال والحمير.

أنواع الحيوانات الاليفة المنزلية

الكلاب :

هي من أكثر الحيوانات الأليفة وفاءاً للإنسان حيث يتم تربيته في المنزل والحديقة وله فوائد كثيرة للإنسان حيث يمكنه حراسة الناس أو رعي الأغنام والماشية. كما يمكن أن يعتمد عليه للأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، كما يوجد من الكلاب أنواع يحبها الكثير من الناس للتسلية والترفيه ولمظهرها الجمالي أو للعب مع الأطفال.

القطط

تعد القطط من الحيوانات الأليفة التي يفضل أن يقتنيها الكثير من الناس للعب معها والترفيه فتكون مصدر للمرح والضحك ويوجد منها أنواع مختلفة. ويجب أن يتم تنظيفها ورعايتها والاهتمام بغذائها وبالكشف الدوري عليها حتى لا تتسبب في نقل الأمراض للإنسان، وتتراوح أسعار القطط من مائتان جنيه وحتى ألف جنيه مصري.

السلحفاة

تعد من الزواحف الأليفة ويمكن تربيتها ولكنها لا تستطيع تمييز صاحبها عن باقي الناس، ويمكن أن يدربها صاحبها فتستجيب لبعض الأوامر وتتميز بحجمها الصغير. حيث يتراوح طول السلحفاة البرية من خمسة إلى عشرون سنتيمتر ويكون وزنها من مائتان جرام وحتى كيلو جرام، وتتراوح أسعارها من خمسون ومائتان جنيه مصري.

القردة

هو أحد أنواع الحيوانات الأليفة التي يمكن تربيتها في المنزل ولكن ليس كل أنواع القردة فهناك قرود متوحشة يمكن أن تأكل الإنسان، أما بعض القرود الصغيرة ذات الأنواع الأليفة يمكن للإنسان تربيتها وأن يخصص لها غرفة لتنام بها. ومن أفضل أنواع القردة التي يمكن اقتناؤها في المنزل القرد السنجاب والقرد المارموست وهذين النوعين أنهما من أكثر الأنواع المنتشرة في تربية القرود بالإضافة إلى نظافتهما وتتميز هذه الأنواع بالمرح وحب اللعب، وتتراوح أسعار القردة من ثلاثة آلاف وحتى عشرة آلاف جنيه.

الهامستر

هو حيوان أليف يعد من القوارض ويشبه الفأر ويتميز بعدم وجود ذيل، ويتميز أيضاً بأذنيه القصيرتان، ويعد من الحيوانات المفضلة لدي الكثير من الفتيات ومنه أنواع هي الهامستر السوري والهامستر الصيني والأرميني والأوروبي. ويتراوح سعر الهامستر الواحد من خمسون وحتى مائة جنيه.

أنواع الحيوانات الاليفة للاطفال

يفضل الأطفال الحيوانات الأليفة ليمرحوا ويلعبوا معها ويمكن أن نقدم أفضل الحيوانات الأليفة للأطفال والمحببة لهم وهي:

الأسماك

يفضل الكثير من الأطفال الأسماك الموجودة في أحواض ليراقبوا حركاتها ويشاهدون ألوانها وأشكالها الجميلة ويمكن أن يتعلم الطفل من خلال تربيتها مفهوم الحيوان الأليف وتعد السمكة الذهبية هي الخيار الأفضل لأنها تتأقلم سريعاً مع المياه الراكدة والمساحات الصغيرة.

الطيور

يفضل الأطفال تربية العصافير الملونة والببغاء والاستماع لتغريداتها الجميلة، ويمكن أن يتعلم الطفل تحمل المسؤولية لأنه يرعى الطيور ويقدم لها الطعام والشراب.

القطط

تعد تربية القطط من أفضل أنواع التربية التي يفضلها الأطفال في البلاد الغربية والعربية على حد سواء، ويتعلم الأطفال من الأهل كيفية الاعتناء بها ورعايتها وإطعامها.

الكلاب

تعد الكلاب من الحيوانات الأليفة التي يرغب في رعايتها الأطفال والكبار وبخاصة الكلاب اللولو ويعتبر الكلب حيوان أليف وصاحب جيد، ويذهب به الأهل والأطفال للتنزه في الحدائق وفي الطرقات.

فوائد تربية الحيوانات الأليفة

لاقتناء الحيوانات الأليفة فوائد متعددة للبشر ومنها

تعزيز شعور الفرد بالمسؤولية حيث أن الأفراد الذين يعتنون بالحيوانات الأليفة يتحسن لديهم الشعور بالرحمة والشفقة والرعاية ويمكن أن يصبحوا أكثر التزاماً من غيرهم.

يمكن أن يساعد اقتناء الحيوانات الأليفة على التقليل من الربو والحساسية بشرط ألا يكون الطفل مصاباً به تجاه الحيوان الذي يربيه ينشط روح التعاون بين الأفراد ويقلل من السلوك السيء بين الأطفال كما يقلل من فرط الحركة والانتباه عن الأطفال كثيري الحركة،

كما يمكن أن يساعد تربية الحيوانات الأليفة على علاج الأطفال المصابون بالتوحد.

يشجع تربية الحيوانات الأليفة على ممارسة الأنشطة البدنية واللعب والحركة مع القطط والكلاب وغيرها.

يساعد تربية الحيوانات الأليفة على تقليل التوتر والقلق والمساعدة على المرح واللعب وقضاء أجمل الأوقات.

يمكن أن يتخذ الحيوان الأليف كحارس للإنسان من اللصوص مثل الكلاب التي تربى في المنازل الكبيرة للحماية.

يتم اقتناء الحيوانات الأليفة أيضاً لرعي الأغنام والماشية ولمساعدة ذوي الاحتياجات الخاصة في العثور على الأدوات والطرق.

للحيوانات الأليفة فائدة للأطفال لخلق جو من المرح واللعب وبخاصة عندما يكون الطفل وحيد.

تقليل الشعور بالوحدة وبخاصة عندما يكون شخص يعيش بمفرده ولا يتواجد معه أحد بالمنزل.

تستخدم الحيوانات الأليفة كالكلاب في رعاية الطيور مثل البط والإوز من هجوم الثعلب عليها أو أكلها.

ونصيحة

يمكن لمحبي تربية الحيوانات أن يلجؤوا لشراء أنواع الحيوانات الأليفة المناسبة لحياتهم ولظروفهم ويجب أن يتم الكشف الطبي عند طبيب البيطري للتأكد من سلامة الحيوان كما يجب تدريب الحيوان على دخول الحمام وبعض الأنشطة الجيدة ليكون حيوان ظريف.)

ومما سبق يتضح أنواع وأهمية تربية الحيوانات الأليفة لبعض البشر ومن بينهم في تقديري الشخصي كبار السن في مرحلة ما بعد العمل والخروج للمعاش ، ولأن الكلاب من الحيوانات الأليفة المحببة للكثيرين وجب علينا أن نبحث علي الانترنت عن حكم تربية الكلاب حتي لا نقع في المحظور

وقد بحثت فوجدت من يسأل الفقهاء عن هذا الموضوع ووجدت الجواب أيضًا وإليك ما عثرت عليه في بعض المواقع علي النت[٣٢]

(الشق الأول من السؤال: ما هو حكم اقتناء الكلب في المنزل على وجه العموم؟

أما الشق الثاني فهو: قرأت أن اقتناء الكلاب لغير الصيد أو الحراسة لا يجوز، مع ضرورة أن يقوم من يرغب بذلك بتدريب الكلب بنفسه، وعلى هذا فهل يجوز لمن يرغب في شراء أرض وتحويلها إلى مزرعة إحضار كلب صغير" جرو" إلى المنزل وتربيته وتدريبه من أجل الحراسة أو الصيد ومن ثم نقله إلى المزرعة ؟ وهل هناك شرط لبعد المزرعة عن المدينة حتى تستوجب وجود كلب حراسة فيها؟ أم أن خلوها من السكان كاف لذلك؟ وأخيرا كيف يتم التعامل مع الكلب من حيث الطهارة والنجاسة في حالة الاقتناء؟ وبارك الله فيكم؟

الإجابـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن اقتناء الكلب لا يجوز، فهذا هو الأصل، ويستثنى منه ما كان لحاجة، ففي الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط.

وسبق أن بينا أن عادة تربية الكلاب واقتنائها عادة سيئة دخلت على المسلمين من قبل أعدائهم وهي منافية للأحكام الشرعية. انظر الفتوى رقم99109 :، وما أحيل عليه فيها.

ومجرد نية شراء أرض ثم تحويلها إلى مزرعة لا يبيح تربية الكلاب واقتنائها، فربما لا يشتري الشخص الأرض.. وربما تكون في مكان لا يحتاج إلى حراسة كلب..

ولكنه إذا احتاج إلى حراسة الكلب فعلا فإن الشرع أباح له استعماله، ولا يشترط لذلك قرب المزرعة أو بعدها.. ولا يلزم أن يكون هو القائم على تدريبه بنفسه، وأما كيفية التعامل معه فقد بيناها في الفتوى المشار إليها. والله أعلم) .

وإليك سؤال وإجابة عن نفس الموضوع

(حماتي سيدة مسنة وأنا متزوجة منذ عام وشهر لذا قضيت معها رمضان السابق ولكن توجد مشكلة تؤرقني وهي وجود كلب بالمنزل هو لحراستها خوفاً من أي لص لأنها معظم الوقت بمفردها بالمنزل وهي

[٣٢] https://www.islamweb.net/ar/fatwa/156115/%D8%AD%D9%83%D9%85-%D8%A7%D9%82%D8%AA%D9%86%D8%A7%D8%A1-%D8%A7%D9%84%D9%83%D9%84%D8%A8-%D9%88%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%AA%D9%87-%D9%88%D8%AA%D8%AF%D8%B1%D9%8A%D8%A8%D9%87

وأخو زوجي يصليان ويصومان بشكل عادي جداً والكلب يتجول في الشقة، لكن وقت قضاء حاجته يعرف جدا المكان في البلكونة الكبيرة، هم يرون أن هذا عادي وأنه ليس بحرام، وأنهم يعطفون على الكلب لأنه عندهم منذ حوالي ١٢ سنة تقريباً، هم يحبون الكلب جداً وأهم حاجة التفكير في أكله ويرفقوا به جداً، لكن أنا أريد أن أعرف هل هذا صحيح أم خطأ، وبالنسبة لي هل صومي وصلاتي وقراءة القرآن تصح لي في ذلك المنزل، وهل لو كان هذا خطأ أترك زوجي في رمضان وأقعد لوحدي بمنزلي تفادياً للكلب وبالتالي غضب زوجي وحماتي مني، لا أعرف ماذ أعمل، رجاء سرعة الرد؟

الإجابـة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإن إدخال الكلاب إلى البيوت ومشاركتها لأهلها في المعيشة من العادات الدخيلة على المسلمين من قبل أعدائهم والمنافية للأحكام الشرعية التي حثت على البعد عن النجاسات والتنزه عنها، فاقتناء الكلاب لغير حاجة لا يجوز، لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط .وقاس جمهور العلماء كلب حراسة الدور ونحوها على كلب الصيد وكلب الماشية، لكن بشرط الاحتياج إلى ذلك.

فإن احتيج إلى تربية كلب للحراسة من اللصوص أو الأعداء أو نحو ذلك فلا حرج، لكن يجب أن يكون في مكان بعيد عن أثاث وحاجات أهل البيت، لأن الكلب نجس العين، وإذا ولغ في إناء لزم غسله سبع مرات إحداهن بالتراب.

وأما عن الصلاة في المحل الموجود فيه كلب، فإنها تصح في الأرض التي لم يصبها شيء من نجاسة الكلب، وأما إن كان الأرض قد أصابها شيء من نجاسته فلا تصح الصلاة فيها حتى تطهر، وسبق في الفتوى رقم72089 **:، بيان ما تطهر به الأرض من نجاسة الكلب.**

أما الصوم وقراءة القرآن فلا يشترط فيهما طهارة المكان، ولا ننصحك بترك البيت، وإنما بنصح زوجك وأهله وبيان الحكم الشرعي لهم، ويمكنك منع الكلب من دخول غرفتك التي تصلين فيها وتقرئين القرآن، وفقك الله لما يحب ويرضى. والله أعلم.)

وعلي أي حال ومما سبق يتضح أن اقتناء الكلاب لغير حاجة لا يجوز وقد تم تحديد نوع الحاجة لتربية الكلاب بوضوح شديد ، وبالتالي لا يمكنني اقتناء كلب في حالتي وظروفي الحالية لعدم الحاجة المشار

إليها ، ويمكنني الاستعواض عن ذلك باقتناء قطة وقد كانت لي بالفعل تجربة في تربية القطط وكنت أعتني بها وبنظافتها عندما كانت حالتي الصحية تسمح بذلك والحمد لله في جميع الأحوال

وأعتقد أنني وصلت بحمد للمرحلة التي يمتلك فيها الإنسان المال والوقت ولكن لا يمتلك الصحة ولكن بفضل الله أنا في زحام من النعم ، وأنا في صحة تسمح لي بالعبادة وهي النعمة التي يجب أن نشكر المولي عز وجل عليها في كل وقت

والآن أريد الانتقال للحديث عن موضوع آخر وهو المعاش وقرب الوصول ونحن في الطريق إلي الله

علي المعاش توشك أن تصل :

كما هو معروف نحن في حياتنا نسير إلي لقاء الله فإذا تقدم العمر بالإنسان أوشك أن يصل لنهاية الطريق ووجب عليه أن يستعد للقاء الله وقد بحثت كعادتي عن هذا الموضوع علي النت وإليك ما وجدته

فتحت عنوان (وصايا قبل المنايا) كتب الشيخ ندا أبو أحمد بتاريخ ٢٠١٣/٩/١٢ ميلادي -١٤٣٤/١١/٨ هجري بموقع الألوكة[٣٣] ما يلي :

وصايا قبل المنايا

الوصية الأولى

اغتنِم نعمةَ الصحة والفراغ قبل السَّقم والانشغال

فليس في الوجود أغلى من الوقت، وليس في الحياة نعمة بعد الإيمان أعظم من نعمة الصحة والفراغ.

أخرج البخاري من حديث عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم":– نعمتان مغبونٌ فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ."

يقول ابن الجوزي كما في "فتح الباري" (١١/٢٣٤): "قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون مُتفرِّغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعت – أي: الصحة والفراغ – فغلَب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربْحها عن الآخرة، فمَن استعمل فراغه وصحَّتَه في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقُبه الشغل، والصحة يعقُبها السَّقم، ولو لم يكن إلا الهموم.

جاء في كتاب "قصر الأمل" (ص١٠٥)؛ لابن أبي الدنيا عن عبدالواحد عن صفوان قال:

[٣٣] https://www.alukah.net/sharia/0/59837/%D9%88%D8%B5%D8%A7%D9%8A%D8%A7-%D9%82%D8%A8%D9%84-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%A7%D9%8A%D8%A7/

"كنا مع الحسن في جنازة، فقال: رحِم الله امرأ عمل لمِثل هذا اليوم، إنكم اليوم تَقدِرون على ما لا يَقدِر عليه إخوانكم هؤلاء من أهل القبور، فاغتنِموا الصحة والفراغ، قبل يوم الفزعة والحساب."

يقول سعيد بن جبير – رحمه الله –: "كل يوم يعيشه المؤمن غنيمة."

الوصية الثانية

اتقِ الله فيما بقي من عمرك يُغَفرْ لك ما قد مضى

قال الفضيل بن عياض لرجل: "كم عمرك؟ فقال الرجل: ستون سنة، قال الفضيل: إذًا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله تُوشِك أن تَصِل، فقال الرجل: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فقال الفضيل: يا أخي، هل عرفتَ معناه، قال الرجل: نعم، عرفت أني لله عبد، وأني إليه راجع، فقال الفضيل: يا أخي، مَن عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع، عرف أنه موقوف بين يديه، ومَن عرف أنه موقوف عرف أنه مسؤول، ومَن عرف أنه مسؤول فليُعدَّ للسؤال جوابًا، فبكى الرجل، فقال: يا فضيل، وما الحيلة؟ قال الفضيل: يسيرة، قال الرجل: وما هي يرحمك الله؟ قال الفضيل: أن تتقيَ الله فيما بقي، يَغفِر الله لك ما قد مضى وما قد بقي.

يقول أحمد بن عاصم الأنطاكي: "هذه غنيمة باردة، أصلح ما بقي من عمرك، يُغْفَر لك ما مضى."

الوصية الثالثة

حَاسِبْ نفسك قبل أن تُحاسَب

فلقد أمرنا الله – عز وجل – بمحاسبة النفس؛ فقال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾]الحشر: ١٨]، فالله تعالى يأمُر المؤمنين بالتقوى، ويَحُثهم على مداومة طاعته، ويدعو كلَّ مؤمنٍ إلى مراقبة نفسه، ومراجعة حسناته وسيئاته، عسى أن يتزوَّد المُحسِن من الطاعات، ويتدارك المسيء ما مضى وفات، ويعلم المُقصِّر أن أمامه يومًا يُحاسَب فيه، وربًّا هو ملاقيه، فيجتهد ويَجِد ويعمل ويكِد.

وقد رُوي في الحديث: "الكَيِّس مَن دان نفسَه وعمِل لِما بعد الموت، والعاجز مَن أتبَع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأماني"؛ "أخرجه الترمذي، والحاكم بسند فيه مقال."

وكان عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول: "حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنُوا أعمالكم قبل أن تُوزَنُوا، وتهيَّؤوا للعرض الأكبر، يومئذ تُعرَضون لا تخفى منكم خافية."

فالمُفرِّط المُقصِّر يقف مع نفسه وقفةَ صدْق، ويقول لها:

ويحك يا نفس! تنشغلين بعمارة دُنياك مع كثرة خطاياك كأنك غير مُرتَحِلة عنها. أما تنظرين إلى أهل القبور، كيف جمعوا كثيرًا؛ فأصبح جمْعهم بورًا، وبنوا مشيدًا؛ فصار بنياهم قبورًا، وأمَّلوا بعيدًا؛ فصار أملهم زورًا. ويحك يا نفس! أما لك بهم عِبْرة، أما لك إليهم نظرة. أتظنين أنهم دُعوا إلى الآخرة، وأنت من المخلَّدين. ويحك يا نفس! هيهات هيهات! ساء ما تتوهَّمين.ما أنت إلا في هدْم عمرك منذ أن سقطتِ من بطن أمك. ويحك يا نفس! تُعرضين عن الآخرة وهى مُقبِلة عليك، وتُقبلين على الدنيا وهى فارَّة مُعرِضة عنك. فكم من مستقبلٍ يومًا لا يستكمِله، وكم من مؤمِّل غدًا لا يبلُغه.

ويحك يا نفس، ما أعظمَ جهلك! أما تعرفين أن بين يديك الجنة أو النار، وأنت سائرة إلى أحدهما.

فما لك تفرحين وتمرحين وباللهو تنشغلين؟! وأنت مطلوبة لهذا الأمر الجسيم، عساك اليوم أو غدًا بالموت تختطفين. ويحك يا نفس! أراك تَرين الموتَ بعيدًا والله يراه قريبًا، فما لك لا تستعدين للموت، وهو أقرب إليك من كلِّ قريب، أما تتدبَّرين؟!

الوصية الرابعة

بادِر بالأعمال الصالحة قبل أن يأتيَك الأجلُ

اعلم أن قِصَر الأمل مع حبِّ الدنيا مُتعذِّر، وانتظار الموت مع الانكباب عليها غير متيسِّر، فالقلب إذا امتلأ بأحدهما، فإنه لا يسعُ الأخرى، كالدنيا والآخرة، والمشرق والمغرب، بقدر ما تقترب من أحدهما تبتعِد من الأخرى، فقِصَر الأمل يجعل الإنسان يُسارِع بحسن العمل، وبهذا يقترب من الآخرة، ويبتَعِد عن الدنيا.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ""بادِروا بالأعمال فتنًا كقطعِ الليل المُظلِم، يصبح الرجل مؤمنًا، ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا"".

وأخرج الحاكم في "المستدرك" والبيهقي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لرجل وهو يَعِظه: ""اغتنِم خمسًا قبل خمس؛ شبابك قبل هَرَمك، وصحتك قبل سَقَمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شُغلك، وحياتك قبل موتك""؛"صحيح الجامع: ١٠٧٧."

المبادرة المبادرة:

وقال الحسن – رحمه الله – في موعظته: "المبادرة المبادرة؛ فإنما هي الأنفاس، لو قد حُبِست انقطعت عنكم أعمالكم التي تقرَّبون بها إلى الله – عز وجل، رحِم الله امرأ نظر لنفسه، وبكى على ذنوبه! ثم قرأ

هذه الآية :﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ "مريم: ٨٤"، ثم يبكي ويقول: آخر العدد خروج نفسك، آخر العدد فِراق أهلك، آخر العدد دخولك في قبرك"؛ "قصر الأمل: ص ١٠٦"

وعن محمد بن علي الباقر في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾، قال: النَّفَس؛ "صفة الصفوة: ١٥٩/٣" "قصر الأمل: ص ١٢٦" ونُقِل هذا القول عن ابن عباس – رضي الله عنهما – كما في "تفسير ابن كثير": ١٣٧/٣" ، وكان حسان بن أبي سنان يقول: "بادِر انقطاعَ عملك؛ فإن الموت إذا جاء انقطَع البرهان"؛ "قصر الأمل: ص ١١١". وقال المنذر أبو يحيى: سمعتُ مالك بن دينار يقول لنفسه: "ويحك! بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحك، بادري قبل أن يأتيك الأمر! ويحك بادري قبل أن يأتيك الأمر! قال: فسمعتُه يقول ذلك ستين مرة"؛ "قصر الأمل: ص ١٠٥"، وصدق أبو محمد حبيب العجمي حيث قال: "لا تقعدوا فُرَّاغًا؛ فإن الموت يطلُبكم"؛ "قصر الأمل: ص ١٠٥"

قال عمر بن عبدالعزيز – رحمه الله – لأبي حازم: "أوصني، فقال له أبو حازم: اضجَع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر إلى ما تحب أن يكون فيك الساعة، فخُذ به الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن، فلعل تلك السَّاعَة قريبة."

وكان أبو معاوية الأسود يقول لنفسه: "إن كنت يا أبا معاوية تُريد لنفسك الجزيل، فلا تنامنَّ الليل ولا تَقيل، قدِّم صالِح الأعمال، ودعْ عنك كثرة الأشغال، بادِر ثم بادر قبل نزول ما تُحاذر، ولا تهتم بأرزاق من تُخَلِّف، فلستَ أرزاقَهم تُكَلَّف"؛ "حلية الأولياء: ٢٧٢/٨"، و"صفة الصفوة: ٢٧١/٤"

قال بعضهم يُوبِّخ نفسه ويَعِظها: "يا نفس، بادري بالأوقات قبل انصرامها، واجتهدي في حراسة ليالي الحياة وأيامها، فكأنك بالقبور وقد تشقَّقت، وبالأمور وقد تحقَّقت، وبوجوه المتقين وقد أَشرقت، وبرؤوس العصاة وقد أَطرَقتْ، قال – تعالى وتقدَّس :- ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ "السجدة: ١٢" ، يا نفس، أما الوَرعون فقد جدُّوا، وأما الخائفون فقد استعدُّوا، وأما الصالحون فقد فرِحوا وراحوا، وأما الواعظون فقد نصحوا وصاحوا، العلم لا يحصل إلا بالنَّصَب، والمال لا يُجمَع إلا بالتعب. ، أيها العبد الحريص على تخليص نفسه، إن عزمتَ فبادر، وإن هممتَ فثابر، واعلم أنه لا ينال العِزَّ والمفاخر إلا مَن كان في الصف الأول.

جاء في "حلية الأولياء" "٦٩/٩" و"قِصَر الأمل"؛ لابن أبي الدنيا "ص٩٢" عن أبي زكريا التيمي قال: "بينما سليمان بن عبدالملك في المسجد الحرام إذ أُتي بحجر منقور" فطلَب مَن يقرؤه، فأُتي بوهب بن منبه، فقرأه، فإذا فيه: "ابن آدم لو رأيتَ قرب ما بقي من أجلك، لزهِدت في طول أملك، ولرغِبت في الزيادة من عملك،

ولقصرت من حرْصِك وحِيَلِك، وإنما يلقاك غدًا نومك، لو قد زلَّت بك قدمُك، وأسلمك أهلك وحشمك، فبانَ منك الولد القريب، ورفضك الوالدُ والنسيب، فلا أنت إلى دنياك عائد، ولا في حسناتك زائد، فاعمل ليوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فبكى سليمان بكاءً شديدًا."

أحبتي في الله، مَن خاف هجوم الأجل قَصر الأمل، وبادَرَ بحسن العمل.

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم–: "مَن خاف أدلج"، ومَن أدْلَج بلغَ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة."

أدرك الصالحون خطورةَ الأمر، فشمَّروا عن ساعد الجِد، وأيقنوا أن الحياة الحقيقية والسعادة الأبديَّة، إنما هي حياة الأبرار في دار الرحمن؛ حيث جنات النعيم، فكان كل ما يَشغَل بالهم ويسيطر على وِجدانهم أن يبذُلوا قُصارى جهدهم؛ ليفوزوا بهذا النعيم، وينعموا برؤية وجه الله الكريم.

فها هو ابن عمر – رضي الله عنهما –: "كان يقوم من الليل فيتوضأ ويُصلِّي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم فيتوضأ ويُصلِّي، ثم يغفو إغفاء الطير، ثم يقوم يُصلِّي، يفعل ذلك مرارًا."

واجتهد الصحابي الجليل أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه – قبل موته اجتهادًا شديدًا، فقيل له: "لو أمسكتَ أو رفقتَ بنفسك بعض الرِّفق؟، فقال: إن الخيل إذا أُرسِلت فقاربتْ رأس مجراها، أخرجت جميع ما عندها، والذي بقي من أَجَلي أقل من ذلك! قال: فلم يَزل على ذلك حتى مات!"؛ "قصر الأمل: ص ١٠٨."

وكان أبو مسلم الخولاني – رحمه الله – يقول كما في "صفة الصفوة": "لو رأيتُ الجنة عيانًا ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عيانًا ما كان عندي مُستزاد."، وقال أبو حمزة – رحمه الله – كما في "تذكرة الحفاظ": "لو قيل لصفوان بن سليم: السَّاعَة غدًا، ما كان عنده مزيد عملٍ ."وكان عمير بن هانئ: "يُسبِّح كل يوم مائة ألف تسبيحة."

ونحن ربما يمرُّ اليوم ولا نُسبِّح حتى تسبيحة واحدة في اليوم، في حين أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال فيما يرويه الترمذي:""مَن قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غُرِست له نخلة في الجنة""، فكم ضيَّعنا من نخيل؟! ، وقال أبو بكر بن عياش – رحمه الله –: "ختمتُ القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة."

وهكذا بادر القوم بالعمل؛ مخافة أن يُفاجئهم الأجل، فبذلوا النفس والنفيس؛ لأنهم يعلمون أن ما عند الله خير وأبقى. ، قال اللبيدي – رحمه الله –: "وجدتُ بعد موت أبي إسحاق الجينياني – رحمه الله – رقعة

تحت حصيرة مكتوبة بخطه: رجل وقف له هاتف، فقال له: أحسن أحسِن عملك، فقد دنا أجلك، فقال لي ولده عبدالرحمن: إنه كان إذا قصَّر في العمل، أخرج الرقعة فنظر فيها ورجع إلى جِدِّه."

وقال سفيان الثوري – رحمه الله –: "رأيت شيخًا في مسجد الكوفة يقول: أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظِر الموت أن ينزل بي، لو أتاني ما أمرتُه بشيء، ولا نهيتُه عن شيء، ولا لي على أحدٍ شيء، ولا لأحد عندي شيء!"؛"قصر الأمل: ص ٧١"، "وإحياء علوم الدين: ٤/٦٦٣"

وقال القعقاع بن حكيم: "لقد استعددتُ للموت منذ ثلاثين سنة! فلو أتاني ما أحببت تأخيرَ شيء عن شيء "؛"قصر الأمل: ص ٧١"، "إحياء علوم الدين: ٤/٦٦٣."

بل كانوا يحرِصون على التزوُّد من الطاعة حتى في آخر لحظات حياتهم.

يقول أبو محمد الجريري – رحمه الله –: "كنتُ واقفًا على رأس الجُنيد في وقت وفاته، وكان يوم الجمعة، وهو يقرأ القرآن، فقلت له: يا أبا القاسم، ارفق بنفسك، فقال: يا أبا محمد، رأيت أحدًا أحوج مني في هذا الوقت؟ هو ذا تُطْوَى صحيفتي."

وقال بِشر بن عبدالله النهشلي: "دخلنا على أبي بكر النهشلي وهو في الموت، وهو يومئ برأسه – يرفعه ويضعه – كأنه يُصلِّي، فقال له بعض أصحابه: في مِثل هذه الحال رحِمك الله؟ قال: إنني أبادر طيَّ الصحيفة!"؛ "سير أعلام النبلاء: ٧/٣٣٣"، "وقصر الأمل: ص١١٣"

بل انظر لهذا الموقف الجليل لعُمير بن الحمام؛ فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: إنه في غزوة بدر لما دنا المشركون قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ""قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض""، فقال عُمير بن الحُمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض، قال: نعم، فقال عمير: بَخ بخ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ""ما يَحمِلك على قولك: بخ بخ""، قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: ""فإنك من أهلها""، فأخرج تَمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن حييتُ حتى آكل تمراتي هذه، إنها لحياة طويلة، فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتل حتى قُتِلَ"؛ "مسلم"

ومما وجدته أيضًا عن هذا الموضوع وعن الرقائق علي النت[٣٤] ما يلي :

تأخير المحاولة ليس في صالحك ، وتأجيل جرعة الدواء عن ميعادها يزيد المرض رسوخا ، والمقاومة انهيارا ، والنفس إلفا لما يضرها ، وبغضا لما ينفعها ، لأن التأخير يمنح الفرصة للسم بأن يسري إلى القلب

[٣٤] http://alheweny.me/classes/classes_show/13

ويتمكن منه ، والقلب منبع الحياة ، فينشأ عن ذلك أبشع الأثر ، وبتأخِّرك عن تناول الجرعة المقررة مرة من بعد مرة ستصل حتما إلى الجرعة الحرجة التي لو لم تتناولها لمات قلبك في الحال ، ولا عزاء في القلوب الغافلة!!

أخي .. التسويف سم الأعمال وعدو الكمال ، ومن ترك المبادرة اليوم وارتمى في أحضان"سوف" وقع فريسة لأسدين عظيمين : أحدهما تراكم ظلمة المعصية على قلبه حتى تصير رينا وطبعا وأقفالا يستحيل معها الشفاء ، والثاني أن يباغته الموت فتضيع فرصة للنجاة ، لذا صاح فيك الصاحب شرف الدين الأنصاري:

دع التسويفَ وامضِ إلى المعالي ... بعزمٍ من ذبابِ السيفِ أمضى

وخذْ في الجدِّ وارفضْ من أباهُ ... من الأهلين وخلانٍ رَفْضا

وأصغِ لما أشرتُ به فإني ... صحبتُكَ منه كأسَ النصحِ مَحْضا

أخي المريض:

لا تشغل نفسك كثيرا بسؤال : كيف حال قلبي الآن ، وليكن همك همك الأول : هل بدأت رحلة العلاج أم ليس بعد ، فإن هذا الطريق من مشى فيه خطوة تلقَّفته أيادي الرحمة الإلهية والعناية الربانية لتوصله إلى ألذ نهاية وفي سرعة البرق.

يا من اشتكى قلبه.. أوجع الألم حرقة الندم ، ومن راقه طعم الأماني فاته أسمى المعالي ، ومن أقلقه خوف الهلاك هجَرَ أرجو وسوف وعسى ، ومن أيقن أن الأماني تُنقِص العقل عافت نفسه كل تأخير ؛ وعلم أن المرء كلما كبر صعبت عليه المحاولة ، ذلك أنه ليس أشد من فطام الكبير ، ومن العناء رياضة الهَرِم.

أخي طالب الشفاء ": إحالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس. "

هكذا قالها ابن عطاء وصدق ، فإن كنت تظن أن الشيطان سيعطيك مهلة للتوبة ، أو سيمنحك الفرصة لتلتقط أنفاسك ، أو سيتركك فارغا لتراجع نفسك وتتعافى ، فاعلم أنك واهم ، فالعجل العجل .. والبدار البدار ، واذكر أن الكسل آفة أعجز المرضى ، وما بسقت فروع ندم إلا من بذرة كسل ، ومن ملَّ الحركة حُرِم البركة ، ومن أضاع الفرصة تجرَّع الغُصة ، فخاطب نفسك بقولك : إن كان لك في الشفاء نصيب فالآن وإلا فهيهات ، فإن من أجَّل أمره إلى الغد لم يفلح إلى الأبد ، وفي المقابل : ما حُرِم مبادِر إلا فى النادر ، فهيا!! الآن .. وفي التو واللحظة .. ليس الأمر شاقا .. ووالله ما هي إلا سفرة قلب وأنت على الفراش .. دون أن تفارق مكانك .. كل المطلوب منك أن تُشهِد ربك على إرادة الشفاء ، وأن تبرم العقد معه على شراء العفو ، وتقطع تذاكر الرجوع إليه ، فإن فعلت .. فاجعل دون الوفاء بعهدك الموت!!

وسر عن قريب واستجب واجتنب"غدا "وشمِّر عن الساق اجتهادا بنهضةِ

وكن صارما كالسيف فالموت في"عسى" وإياك"مهلا" فهي أخطر علـةِ

وجُذَّ بسيف العزم) سوف (فإن تجُدْ * تجِدْ خيرا فالنفس إن جُدْتَ جَدَّتِ

كم عمرك الآن؟!

وفي ضوء نشاطك أو كسلك ، ومبادرتك أو تقاعسك ، وانتباهتك أو غفلتك تستطيع أن تحدِّد عمرك الحقيقي اليوم ، وأعني بذلك عمرك المحسوب بميزان الإيمان لا بذاكرة الأيام ، وبحساب الكرام البررة لا بسجلات موظَّف الحي الذي تسكنه ، وهو ما قال به ابن القيم :

"فما كان من وقته لله وبالله فهو حياته وعمره ، وغير ذلك ليس محسوبًا في حياته وإن عاش عيش البهائم ، فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة ، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة ، فموت هذا خير له من حياته ، وإذا كان العبد – وهو في الصلاة – ليس له من صلاته إلا ما عقل منها ، فليس له من عمره إلا ما كان فيه بالله ولله. "

تزوّجت البطالة بالتواني * فأولدها غلاما مع غلامة

فأما الابن سمَّوْه بفقـر * وأما البنت سمَّوْها ندامة

وفيما يلي خطبة قصيرة عن الموت من موقع الألوكة[٣٥] :

الْخُطْبَةُ الْأُولَى : عِبَادَ اللهِ! حَدِيثُنَا الْيَوْمَ عَنْ سَاعَةٍ وَلَحْظَةٍ حَاسِمَةٍ لَا تَتَكَرَّرُ، سَيَمُرُّ بِهَا كُلٌّ مِنَّا، شَاءَ أَمْ أَبَى! إِنَّهَا سَاعَةُ الْمَوْتِ! وَالِانْتِقَالُ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ، قَالَ اللهُ – جَلَّ فِي عُلَاهُ :- ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾"آل عمران: ١٨٥"؛ فَالْمَوْتُ نِهَايَةُ كُلِّ مَخْلُوقٍ:

كُلُّ ابْنِ أُنْثَى وَإِنْ طَالَتْ سَلَامَتُهُ *** يَوْمًا عَلَى آلَةٍ حَدْبَاءَ مَحْمُولُ

فَسَاعَةُ الْمَوْتِ، سَاعَةٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ – كَائِنًا مَنْ كَانَ – أَنْ يُؤَخِّرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، أَوْ غَيْرِهِ، وَلَوْ لِسَاعَةٍ، حَتَّى يَتَدَارَكَ مَا فَاتَهُ، وَيُصَحِّحَ مِنْ أَوْضَاعِهِ، قَالَ اللهُ :﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ "يس: ٥٠"؛ فَهِيَ تَأْخُذُهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ فِي جِدَالِهِمْ وَخِصَامِهِمْ فِي مُعْتَرَكِ الْحَيَاةِ، لَا يَتَوَقَّعُونَهَا، وَلَا يَحْسِبُونَ لَهَا حِسَابًا، فَإِذَا هُمْ مُنْتَهُونَ، كُلٌّ عَلَى حَالِهِ الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا، لَا يَمْلِكُ أَنْ يُوصِيَ لِمَنْ بَعْدَهُ، وَلَا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، فَيُوصِيهِمْ بِمَا فِيهِ مَصَالِحِهِ وَإِنْقَاذِ نَفْسِهِ.

[٣٥] https://www.alukah.net/sharia/0/130547/%D8%AE%D8%B7%D8%A8%D8%A9-%D9%82%D8%B5%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%AA/

وَهَذَا إِنْذَارٌ لِأَهْلِ الْغَفْلَةِ الَّذِينَ غَفَلُوا عَنِ الْمَوْتِ، وَشَغَلَتْهُمُ الدُّنْيَا عَنْ تَذَكُّرِهِ، فَفَاجَأَهُمُ الْمَوْتُ؛ فَلَا يُسْعِفُهُمُ الْوَقْتُ لِيُصْلِحَ مَا يُمْكِنُ إِصْلَاحُهُ؛ فَالْمَوْتُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَبْطِئَهُ مِنَّا أَحَدٌ؛ فَلَا أَحَدَ يَعْلَمُ مَوْعِدَ رَحِيلِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ لَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ عَمَلٍ وَلَا تَوْبَةٍ وَلَا اسْتِدْرَاكِ شَيْءٍ وَلَا تَصْحِيحِ وَضْعٍ.

سُبْحَانَ اللهِ !إِذَا نَزَلَ الْمَوْتُ لَا يَسْتَطِيعُ الْوَاحِدُ مِنَّا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ، فَكَيْفَ إِلَى فِعْلٍ يَحْتَاجُ إِلَى زَمَانٍ طَوِيلٍ مِنْ أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَرَدِّ الْمَظَالِمِ، وَاخْتِيَارِ التَّوْصِيَةِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْكَلِمَاتِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَى أَهَمِّ الْكَلِمَاتِ؛ فَإِنَّ الْحَاجَةَ فِي وَقْتِ الْمَوْتِ إِلَى التَّوْصِيَةِ أَمَسُّ وَالتَّنْكِيرَ فِي التَّوْصِيَةِ لِلتَّعْمِيمِ؛ فَلَا يَقْدِرُ عَلَى تَوْصِيَةٍ مَا، وَلَو كَانَت بِكَلِمَةٍ يَسِيرَةٍ، وَلِأَنَّ التَّوْصِيَةَ قَدْ تَحْصُلُ بِالْإِشَارَةِ، فَالْعَاجِزُ عَنْهَا عَاجِزٌ عَنْ غَيْرِهَا، قَالَ – تَعَالَى :– ﴿ وَلاَ إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾، بَيَانٌ لِشِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى التَّوْصِيَةِ؛ لِأَنَّ مَنْ يَرْجُو الْوُصُولَ إِلَى أَهْلِهِ قَدْ يُمْسِكُ عَنِ الْوَصِيَّةِ لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا، فَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ مَعَ الْحَاجَةِ دَلَّ عَلَى غَايَةِ الشِّدَّةِ.

وَقَالَ – تَعَالَى :– ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ "المؤمنون: ٩٩، ١٠٠"، فَسُؤَالُ الرَّجْعَةِ فِي الْآيَةِ لَيْسَ خَاصًّا بِالْكَافِرِ، بَلْ يَعُمُّ كُلَّ مُفَرِّطٍ، فَيُخْبِرُ اللهُ – تَعَالَى – عَنْ حَالِ مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ، مِنَ الْمُفَرِّطِينَ الظَّالِمِينَ، أَنَّهُ يَنْدَمُ فِي تِلْكَ الْحَالِ، إِذَا رَأَى مَآلَهُ، وَشَاهِدَ قُبْحَ أَعْمَالِهِ فَيَطْلُبُ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا، لَا لِلتَّمَتُّعِ بِلَذَّاتِهَا وَاقْتِطَافِ شَهَوَاتِهَا وَإِنَّمَا ذَلِكَ كَمَا قَالَ – تَعَالَى :– ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾"المؤمنون: ١٠٠" وَفَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ .﴿ كَلَّا ﴾، أَيْ: فَلَا رَجْعَةَ لَهُ وَلَا إِمْهَالَ، فَقَدْ قَضَى اللهُ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ، ﴿ إِنَّهَا ﴾، أَيْ: مَقَالَتُهُ الَّتِي تَمَنَّى فِيهَا الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا، ﴿ كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ﴾، أَيْ: مُجَرَّدُ قَوْلٍ بِاللِّسَانِ، لَا يُفِيدُ صَاحِبَهُ إِلَّا الْحَسْرَةَ وَالنَّدَمَ.

﴿ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ "المؤمنون: ١٠٠"، أَيْ: حَاجِزٌ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَفِي هَذَا الْبَرْزَخِ، يَتَنَعَّمُ الْمُطِيعُونَ، وَيُعَذَّبُ الْعَاصُونَ، مِنِ ابْتِدَاءِ مَوْتِهِمْ وَاسْتِقْرَارِهِمْ فِي قُبُورِهِمْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، فَلْيَعُدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ، وَلْيَأْخُذُوا لَهُ أُهْبَتَهُ.

فَفَكِّرْ يَا عَبْدَ اللهِ !فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ شَهْوَتِكَ وَمَحَابِّكَ، وَانْقَطَعَتْ عَنْكَ فُرْصَةُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَهَجَمَتْ عَلَيْكَ الشَّدَائِدُ الْعِظَامُ، وَوَقَعْتَ فِي الْأَخْطَارِ الْجِسَامِ، فَنَادَيْتَ عِنْد ذَلِكَ نَادِمًا :﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ "المؤمنون: ٩٩، ١٠٠" فَلَمْ يُجَبْ نِدَاؤُكَ، وَلَمْ تُعْطَ سَاعَةً وَاحِدَةً تَتُوبُ فِيهَا إِلَى اللهِ – تَعَالَى – وَتَسْتَرْضِيهِ.

وَلْيَكُنْ يَا عَبْدَ اللهِ !هَذَا النِّدَاءُ ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ عَلَى بَالِكَ طَالَمَا أَنَّكَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ؛ لَا تَغْفَلْ عَنْهُ أَبَدًا؛ فَإِنَّهُ إِذَا بَاشَرَ الْقَلْبَ أَحْدَثَ فِيهِ خَوْفًا شَدِيدًا؛ فَحَصَّلْتَ بِعَوْنِ اللهِ –تَعَالَى – التَّقْوَى، وَانْخَلَعَ الْعَبْدُ مِنَ الْمَعَاصِي، وَبَادَرَ بِالصَّالِحَاتِ سَاعَةَ الْأَجَلِ.

وَقَالَ – تَعَالَى :– ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ "المنافقون: ١١"، فَالْآجَالُ لَا مَجَالَ فِيهَا لِلتَّأْجِيلِ؛ فَهِيَ مَحْتُومَةٌ، مُحَدَّدَةٌ مَوْقُوتَةٌ، فَكُلُّ غَافِلٍ وَمُفَرِّطٍ يَنْدَمُ عِنْدَ الِاحْتِضَارِ، نَدَمًا لَا يُجْدِي، وَيَسْأَلُ أَنْ يُطَالَ فِي عُمُرِهِ، وَلَوْ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ؛ لِيَسْتَدْرِكَ مَا فَاتَهُ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! وَكَانَ مَا كَانَ، وَأَتَى مَا أَتَى وَكُلٌّ بِحَسَبِ تَفْرِيطِهِ، وَمُحْتَضِرٌ يَفِيقُ إِفَاقَةً وَيَنْتَبِهُ انْتِبَاهًا لَا يُدْرِكُهُ مَنْ حَوْلَهُ، انْتِبَاهٌ لَا يُوصَفُ، وَيَقْلَقُ قَلَقًا لَا يُتَصَوَّرُ، وَيَتَلَهَّفُ حَسْرَةً عَلَى زَمَنِهِ الْمَاضِي، وَيَتَمَنَّى لَوْ تُرِكَ كَيْ يَتَدَارَكَ مَا فَاتَهُ بِإِعْلَانِ تَوْبَةٍ، لَعَلَّهَا تُنْقِذُهُ وَمِنْ عَذَابِ اللهِ تُخَلِّصُهُ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ! لَقَدْ فَرَّطَ فِي زَمَنِ الْعَمَلِ، وَتَسَاهَلَ فِي فَتْرَةِ الزَّرْعِ، مَعَ أَنَّ النَّذِيرَ قَدْ جَاءَهُ وَالتَّحْذِيرَ قَدْ وَصَلَ إِلَى مَسَامِعِهِ، وَلَكِنَّ التَّسْوِيفَ وَالتَّأْجِيلَ وَطُولَ الْأَمَلِ وَالْخُضُوعَ لِإِبْلِيسَ، حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ وَسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ وَالرَّجْعَةِ!

وَلَوِ اسْتَشْعَرَ الْعَاقِلُ وَهُوَ فِي أَوَانِ عَافِيَتِهِ تِلْكَ السَّاعَةَ، لَحَصَلَ كُلُّ مَقْصُودٍ، وَنَالَ كُلَّ مَطْلُوبٍ، فَطَالَمَا نَعْلَمُ أَنْ سَنَنْدَمَ عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِي جَنْبِ اللهِ، وَأَنَّنَا سَنَتَحَسَّرَ عَلَى ذُنُوبِنَا؛ فَلِمَاذَا لَا نُبَادِرُ قَبْلَ الْفَوَاتِ؟ وَنَسْتَعِدُّ لَهُ غَايَةَ الِاسْتِعْدَادِ.

اللَّهُمَّ أَحْسِنْ خَاتِمَتَنَا وَتَوَفَّنَا وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا غَيْرَ غَضْبَانَ، اللَّهُمَّ رُدَّنَا إِلَيْكَ رَدًّا جَمِيلًا. أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ الْعَلِيَّ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ؛ فَاسْتَغْفِرُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الْخُطْبَةُ الثَّانِيَةُ : عباد الله! عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِدَّ لِلْمَوْتِ حَقَّ الِاسْتِعْدَادِ، وَأَنْ نَصْحَى مِنْ هَذِهِ الْغَفْلَةِ وَنَفِيقُ مِنْ هَذِهِ الْغَفْوَةِ، وَقَدْ نَبَّهَنَا اللهُ بِقَوْلِهِ :﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ "الأنبياء: ١"، فَالْآيَاتُ فِيهَا النَّذْرُ وَالْحَسْرَةُ مِنَ الظَّالِمِ عِنْدَ اقْتِرَابِ الْمَوْتِ وَرُؤْيَةِ الْعَذَابِ تَتَابَعَتْ فِي الْقُرْآنِ، كَمَا قَالَ – تَعَالَى :– ﴿ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ "الشورى: ٤٤"، فَيَا لَهُ مِنْ مَرْأًى وَمَنْظَرٍ فَظِيعٍ وَصَعْبٍ شَنِيعٍ، بِظُهُورِ النَّدَمِ الْعَظِيمِ، وَالْحُزْنِ الَّذِي لَا يُضَاهِيهِ حُزْنٌ عَلَى مَا سَلَفَ، يَا لِعِظَمِ تَعْبِيرِ الْقُرْآنِ :﴿ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴾، أَيْ: هَلْ لَنَا مِنْ طَرِيقٍ أَوْ حِيلَةٍ حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا لِنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ طَلَبٌ مُحَالٌ أَنْ يَتَحَقَّقَ أَجَارَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكَ.

فَأَدِمْ – أَيُّهَا الْمُسْلِمُ – التَّفَكُّرَ فِي الْمَوْتِ، وَاجْعَلْ تَحْتَ نَاظِرَيْكَ النَّارَ، وَسَتَرَاهَا عَيَانًا يَنْخَلِعُ مِنْهَا الْقَلْبُ؛ فَأَنْتَ – أَيُّهَا الْمُؤْمِنُ – موقِنٌ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتَعْلَمُ أَنَّهُ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ، فَتَيَقَّظْ قَبْلَ أَنْ يُفَاجِئَكَ هَوْلُ الْمَوْتِ

وَسَكْرَتُهُ، وَيَحُلُّ بِكَ أَلَمُ الْفَوْتِ وَحَسْرَتُهُ، وَتُوضَعُ فِي حُفْرَةٍ، إِمَّا أن تكون مُنِيرَةً أَوْ مُظْلِمَةً، إِنَّ هُنَاكَ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يُحِبُّ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَلَا ذِكْرَ الْقُبُورِ، وَذَاكَ وَرَبِّي مِنْ تَلْبِيسِ إِبْلِيسَ، حَتَّى يَعِيشَ فِي غَفْلَةٍ؛ لِذَا: يَقُول الرَّسُول – صَلَّى اللهُ عَلَيْه – فِي الحَدِيث الصَّحِيح: «فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ»؛ فَلَا يَعْبَثَنَّ بِكَ الشَّيْطَانُ، فَالْقَبْرُ لَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَهُ شِئْتَ أَمْ أَبِيْتَ؛ فَلَا تَخْدَعْ نَفْسَكَ، وَلَا تَغُضَّ الطَّرْفَ عَنْ حَقِيقَةٍ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مَاثِلَةً أَمَامَ عَيْنَيْكَ. – أَحْسَنَ اللهُ خَاتِمَتَنَا.

وفيما يلي خطبة بعنوان حسن الظن بالله[٣٦] :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن استن بسنته إلى يوم الدين، أما بعد؛

فإنَّ من العبادات القلبيَّة التي ندب إليها ديننا: حسن الظن بالله، فما هو حسن الظن؟ وماذا فيه من فضل؟ وما مواطنه؟ وماذا يحمل عليه؟ وما الفرق بينه وبين الغرور؟ أسئلة ستكون الإجابات عنها مادةَ هذه المقالة بمشيئة الله.

معنى حسن الظن –توقُّع الجميل من الله تعالى.

الترغيب في حسن الظن بالله

حُسن الظن بالله من حسن العبادة –فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن حسن الظن بالله تعالى من حسن العبادة» رواه أبو داود والترمذي.

من أحسن ظنه بالله آتاه الله إياه –ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي» متفق عليه. وفي المسند عنه رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل قال: أنا عند ظن عبدي بي، إنْ ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله.«

والمعنى: "أعاملُه على حسب ظنه بي، وأفعل به ما يتوقعه مني من خير أو شر"

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "والذي لا إله غيرُه ما أُعطي عبدٌ مؤمن شيئاً خيراً من حسن الظن بالله عز وجل، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله عز وجل الظن إلا أعطاه الله عز وجل ظنَّه؛ ذلك بأنَّ الخيرَ في يده» رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن.

[٣٦] http://www.saaid.net/Doat/mehran/89.htm

قال سهل القطعي رحمه الله: رأيت مالك بن دينار رحمه الله في منامي، فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري، ماذا قدمت به على الله عز وجل؟ قال: قدمت بذنوب كثيرة، فمحاها عني حسن الظن بالله رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن.

مواطن حسن الظن بالله

ينبغي للمؤمن أن يحسن ظنه بالله في كل موطن وحال، فإنما نحن بالله، ولا حول ولا قوة لنا إلا به، ومن أشقى ممن وكله الله إلى نفسه؟ وأيُّ هلاكٍ ينتظره؟!

ويتأكد حسن الظن بالله في مواطن، منها:

عند الموت

فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتَنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل» رواه مسلم.

ودخل واثِلَةُ بن الأسْقَع على أبي الأسود الجُرَشي في مرضه الذي مات فيه، فسلم عليه وجلس. فأخذ أبو الأسود يمين واثلة، فمسح بها على عينيه ووجهه، فقال له واثلة: واحدةٌ أسألك عنها.

قال: وما هي؟

قال: كيف ظنك بربك؟

فأومأ أبو الأسود برأسه، أي حسن.

فقال واثلة: أبشر؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء» رواه أحمد.

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال: «كيف تَجِدُكَ»؟ قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمَنه مما يخاف» رواه الترمذي.

وفي كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا، قال حاتم بن سليمان: دخلنا على عبد العزيز بن سليمان وهو يجود بنفسه، فقلت: كيف تجدك؟ قال: أجدني أموت. فقال له بعض إخوانه: على أية حال رحمك الله؟ فبكى، ثم قال: ما نعول إلا على حسن الظن بالله. قال: فما خرجنا من عنده حتى مات.

عند الشدائد والكرب

فإنَّ الثلاثة الذين تخلَّفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تبوك لم يُكشف عنهم مابهم من كرب وضيق إلا بعدما أحسنوا الظن بربهم، قال تعالى: "لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" "التوبة/ ١١٧-١١٨". وتأمل في قوله: "وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه"، فلما أحسنوا الظن بالله رزقهم الله إياه.

عند ضيق العيش

ففي جامع الترمذي، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقتُه، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشِكُ الله له برزق عاجل أو آجل». وإنزالها بالله: أن توقن وتظن أن الله تعالى يفرِّجُ عنك ويزيلها.

عند غلبة الدَّين

ومن عجيب ما قرأتُ في هذا الباب ما ثبت في صحيح البخاري من قول الزبير بن العوام لابنه عبد الله رضي الله عنهما: يا بني إن عجَزت عن شيء من ديني فاستعن عليه مولاي. قال عبد الله: فو الله ما دريت ما أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟. قال: الله. قال: فو الله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه، فيقضيه.

عند الدعاء

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» رواه الترمذي.

فإذا دعوت الله -أيها المؤمن- فعظم الرغبة فيما عنده، وأحسن الظن به.

وإني لأدعو الله حتى كأنني --- أرى بجميل الظن ما الله صانعُه

عند التوبة

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم -فيما يحكي عن ربِّه عز وجل- قال: «أذنب عبد ذنبا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى:

عبدي أذنب ذنباً فعلم أنَّ له ربَّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. اعمل ما شئت فقد غفرت لك» رواه مسلم. أي: ما دمتَ أنَّك تذنب وتتوب فإني أتوب عليك ولو تكرر الذنب منك.

وإني لآتي الذنب أعرف قدره --- وأعلم أن الله يعفو ويغفرُ

لئن عظَّم الناس الذنوب فإنها --- وإن عظمت في رحمة الله تصغُرُ

قال أحمد بن أبي الحواري: وقفت بجانب أبي سليمان الداراني وهو لا يراني، فسمعته يناجي ربَّه ويقول: "لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني بتوبتي لأطالبنك بسخائك، ولئن أدخلتني النار لأخبرنَّ أهلها أني أحبك" رواه البيهقي في شعب الإيمان.

فما الذي يحمل على حسن الظنِّ بالله؟

آية في كتاب الله: "وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا" "الأحزاب/٤٣."

فيحمل على حسن الظن رحمةُ الله التي وسعت كلَّ شيء..

يقول نبينا صلى الله عليه وسلم: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه –فهو عنده فوق العرش–: إن رحمتي غلبت غضبي» رواه البخاري.

يأتي جبريلُ عليه السلام إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فيقول: "لما أغرق الله فرعون قال: "آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل" "يونس/٩٠"، فلو رأيتني يا محمد وأنا آخذ من حال البحر" فأدسُّه في فيه؛ مخافةَ أن تدركَه رحمة الله» رواه الترمذي.

السبية التي أضاعت صبيَّها، ماذا كان حالها بعدما وجدته؟ أخذته –أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه– وأغرقته بعطفها وحنانها، وملأت جسده بقبلاتها، واحتوته بصدرها، وبللت وجهه بدمعها، ورفرفت من الفرح أجنحةُ قلبها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار»؟ فقالوا: لا والله، وهي تقدِر على أن لا تطرحَه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لله أرحمُ بعباده من هذه بولدها» متفق عليه.

يخبرُ صلى الله عليه وسلم عن آخر أهل النار خروجاً منها ومحاورتِه لربه: «ربِّ اصرف وجهي عن النار؛ فإنه قد قَشَبَنِي" ريحها وأحرقني ذكاؤها. فيدعو الله ما شاء الله أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل عسيتَ إن فعلت ذلك بك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا أسألُك غيره. ويعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله. فيصرف الله وجهه عن النار، فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: أي رب قدِّمني إلى باب الجنة. فيقول الله له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك؟

ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: أي رب، ويدعو الله حتى يقول له: فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسأل غيره؟ فيقول: لا، وعزتك. فيعطي ربه ما شاء الله من عهود ومواثيق، فيقدمه إلى باب الجنة، فإذا قام على باب الجنة انْفَهَقَت" له الجنة، فرأى ما فيها من الخير والسرور، فيسكت ما شاء الله أن يسكت" ثم يقول: أي رب أدخلني الجنة. فيقول الله تبارك وتعالى له: أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسأل غير ما أعطيت؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك! فيقول: أي رب لا أكونُ أشقى خلقك. فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله تبارك وتعالى منه، فإذا ضحك الله منه قال: ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له: تمنه. فيسأل ربه ويتمنى، حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى: ذلك لك، ومثله معه» متفق عليه.

فما أعظمَ رحمةَ الله! وما أوسع فضله!!

يقول سفيان الثوري رحمه الله: "ما أحبُّ أن حسابي جُعل إلى والدي؛ فربي خيرٌ لي من والدي" رواه البيهقي في شعب الإيمان.

أفلا يحمل هذا كلُّه المؤمن على أن يكون حسن الظن بربه؟؟

الفرق بين حسن الظن والغرور

حسن الظن الذي يثيب الله عليه هو الذي يحمل على أمرين: فعل الصالحات، وترك المنكرات. وأما أن يدعي أحد أنه يحسن الظن بربه وهو سادر في غيِّه، منهمك في المعصية، تارك للفضائل والخيرات، فهذا عبد تسلَّط الشيطان عليه.

قال ابن القيم رحمه الله: "وقد تبين الفرق بين حسن الظن والغرور، وأنَّ حسن الظن إن حمَل على العمل وحث عليه وساعده وساق إليه فهو صحيح، وإن دعا إلى البطالة والانهماك في المعاصي فهو غرور، وحسن الظن هو الرجاء، فمن كان رجاؤه جاذباً له على الطاعة زاجراً له عن المعصية فهو رجاء صحيح، ومن كانت بطالته رجاءً ورجاؤه بطالةً وتفريطاً فهو المغرور"

وقال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: وإحسان الظن بالله لابد معه من تجنُّب المعاصي، وإلا كان أمنًا من مكر الله، فحسن الظن بالله مع فعل الأسباب الجالبة للخير وترك الأسباب الجالبة للشر هو الرجاء المحمود. وأما حسن الظن بالله مع ترك الواجبات وفعل المحرمات فهو الرجاء المذموم، وهو الأمن من مكر الله" –فالمؤمن يجمع بين حسن الظن وحسن العمل والخوف من الله تعالى، ولا تعارض بين هذا كلِّه. ثبت في سنن الترمذي، عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه

الآية:"وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ" "المؤمنون/٦٠" فقالت: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال لها نبينا صلى الله عليه وسلم: «لا يا بنت الصديق! ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يُقبل منهم، "أولئك الذين يسارعون في الخيرات""

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : "إني لأعرف اليوم ذنوبا هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر" رواه أحمد.

ويقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه فقال به هكذا" رواه البخاري.

ويقول الحسن البصري رحمه الله: "إن المؤمن أحسنَ الظن بربه فأحسن العملَ، وإن الفاجر أساءَ الظن بربه فأساءَ العمل" رواه أحمد في الزهد.

اللهم املأ قلوبنا حسنَ ظن بك.

ربِّ صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمدُ لله رب العالمين.

(أولادنا يشبون ونشيب، ويزيدون وننقص، ويصحون ونعتل، ويكملون ونعود...لكننا رغم ذلك أسعد ما نكون بما ينقص منا، طالما أنه يزيد عندهم!!

عجيبة هذه الغريزة الأبوية..

تعطي حد السرف، وتحمي حد الهلاك، وتعفو حد السذاجة، وتجود ولو بالروح، وترضى ولو بنظرة ود!!

ثم هي ذاتها التي تستحي من عطاء الولد مع أنه حق، وتكبر فيه بره مع أنه فرض، وتعذره حتى فيما لا يقبل العقل أنه عذر!!

لذلك لا تتعجب عندما يقرب ربنا رحمته إلى عقولنا بالأم الرؤوم، ويجعل أوسط أبواب الجنة للأب الرحيم..

يتعاظمني ذنبي فلما أرى من نفسي رحمتي بولدي أزداد أملا في رحمة ربي..

وهل الأبوة إلا أنموذجا للرحمة البشرية، ليطمع الناس معها في الرحمة الإلهية؟!)[٣٧]

إلي هنا أكتفي بهذا القدر من المذكرات والخواطر والهموم والأفكار وأسأل المولي عز وجل أن يغفر لي ويرحمني ويتجاوز عن سيئاتي ما علمت منها وما لم أعلم وأن يغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات

---

[٣٧] https://www.facebook.com/Dr.KhaledHamdy73/

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

الملحق المرفق